

الظهر والعصر

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ

العشاء والفجر

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ

المغرب

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى

لماذا نصلي

خمس مرات في اليوم والليلة ؟





د. رشيد الجراح

Certificate of Registration
CopyrightFrance

Copyright Registration Number: 9H2F1R2

CopyrightFrance.com. Website registered under number 2104 by the State Prosecutor of the High Court of Evreux (FRANCE) certifies having delivered the certificate of the original following registration

Name of the registrant: Rasheed Saleem Al-Jarrah

Title or URL of the registered document: https://www.dr-rasheed.com/

Description: Dr. Rasheed's blog documents his lifelong reflections on the Quran, offering linguistic and analytical insights without adhe ring to any specific sect. The goal is to officially archive and le gally protect his writing, ideas and stories presented in the blog.

Date / time of the registration: 15-02-2025 à 20:46

The submitted document has been time stamped by a RGS qualified Certification Authority and ETSI TS 102 023 certified.

Paris (date) 15-02-2025 - The publication manager G.E.E. :

Reminder : (code of the intellectual property, extracts) :

✔ **Point L.335-2.** All publishing of written documents, musical composition, drawing painting or any other totally or partly printed, engraved production regardless of the laws and regulations concerning author's property is a forgery and any forgery is an offence. In France, forgery of published work in France or abroad is punished by 3 years in prison and a 300.000 euros fine. Will be punished the same way selling export and import of counterfeit work.

✔ **Point L.335-3.** Is also considered a forgery offence all reproduction , representation or circulation by any mean, of piece of spiritual work by violating the author's rights, as they are set and regulated by law. Is also considered as a forgery offence the violation one of the owner of the software's rights.



3c14c5091f191db578780f4e846d7a176d3cb058592f3b129f067ba1aa063728

كلمة فريق عمل مدوّنة روح

الحمد لله الذي علّم الإنسان بالقلم، وخصّه بنعمة البيان، وجعل تدبّر كتابه العزيز سبيلًا للهداية.
أمّا بعد،

يمرّ الفكر الديني المعاصر بمنعطفٍ تاريخي يفرض إعادة تأسيس العلاقة مع النصّ المؤسِّس؛ فكثير من المفاهيم والمناهج قد ترسّخت عبر القرون حتى غدت في الوعي العام بمنزلة المسلّمات المطلقة. في خضمّ هذه الحاجة الملحة للمراجعة والتجديد، يأتي مشروع الأستاذ الدكتور رشيد سليم الجرّاح ليقدّم قراءةً مغايرة للقرآن الكريم، قراءةً لا تكتفي بحدود التفسير الموروث بل تتجاوزه نحو فهمٍ جديد يتأسّس على منهجٍ علميٍّ دقيق، يلامس روح النصّ بعمق ويقترب من منطق العقل والفطرة السليمة.

لعلّ في الاسم الذي يحمله الدكتور رشيد سليم الجرّاح إشارةً بالغة الدلالة؛ فهو بحقٍّ يُجري عمليةً جراحية للكلمة القرآنية. إنه يتعامل مع مفردات الوحي برُشدٍ متناهٍ، كأنّه يضعها تحت مجهر الفكر واللغة، فيُريك نسيجها العضوي، ويكشف عن أعصابها الصرفية وعروقها الدلالية، لتتجلّى بذلك أبعادها النفسية والمادية العميقة. هكذا تتحوّل الكلمة في مشروعه من مجرّد رمزٍ صوتي إلى كيانٍ حيٍّ نابضٍ بالمعنى، يحمل إمكانات التأويل التي تنتظر التحرير.

لقد كانت أبحاث الدكتور الجرّاح ومقالاته بمثابة أطروحات نوعية تميّزت بالعمق والجرأة الفكرية، فمثّلت دعوةً صريحةً لإعادة بناء علاقتنا التلقّائية بالوحي، لا على قاعدة التلقّي الجامد، بل على أساس الفهم المتدبّر والتحليل العلمي المحكم. وهي دعوةٌ ضرورية تُعيد إلى النصّ حيويته الجوهرية، وإلى الفكر الديني توازنه المنشود، وتُحيي مسؤولية الباحث في إعمال العقل وكسر حاجز السؤال الموقوف.

وانطلاقًا من قناعتنا الراسخة بأهمية هذا المشروع الريادي، وبضرورة حفظه وتوثيقه ليكون مرجعًا للباحثين والمهتمين، تضافرت جهود فريق المدوّنة. لقد قمنا بجمع هذه المقالات والدراسات المنشورة، ومن ثم تنظيمها وتصنيفها وتحريرها بعناية فائقة، لتصدر الآن في هذا العمل المتكامل الذي نضعه بكل تقدير بين يدي القارئ الكريم.

نحن نؤمن يقينًا بأنّ هذه الكتابات تمثّل إسهامًا محوريًا في مسار الفكر القرآني المعاصر، وأنها تفتح آفاقًا رحبة للتأمّل والمراجعة والتجديد، بما يليق بكتابٍ أنزله الله للعقل قبل التقليد، وللحياة قبل التاريخ.

إنّ هذا العمل ليس سوى نقطة انطلاق في مسارٍ نأمل أن يكون مستدامًا؛ وفاءً لصاحب هذا المشروع العلمي الرائد، وإيمانًا بما قدّمه من اجتهادٍ صادق ورؤيةٍ علمية مغايرة تستحقّ كل التقدير والاحتفاء.

فريق عمل مدوّنة الدكتور رشيد الجراح:

- المهندس **عامر محمد العوض، مهندس نظم المعلومات من مايكروسوفت.**
- المهندس **زكرياء مصباح، مهندس مدني.**
- الأستاذ **مصطفى عيسى، مصمم ديكور ومستشار في العقارات.**
- الأستاذ **محمد عادل الخولي، مستشار في العقارات.**
- الدكتور **يوسف فرمي، مهندس البحث والتطوير في الإلكترونيات الدقيقة والبصريات.**

للإتصال بالفريق : roohblog2025@gmail.com

الفهرس:

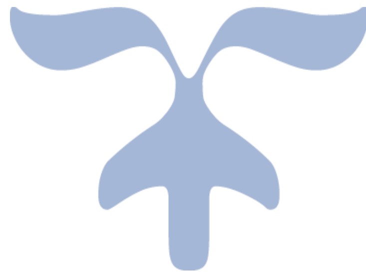
الفهرس

الفهرس



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟

الجزء الأول



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟ – الجزء الأول

سؤال: غالباً ما سألني الكثيرون عن عدم لجوئي إلى النبش عن معاني المفردات في قواميس اللغة وفي أشعار العرب وأقوال العلماء.

فأرد على ذلك بسببين وهما:

1. إن تلك القواميس والأشعار هي صناعة بشرية لا يمكن أن تكون كاملة لا يعتريها عيب، أو أنها منزهة عن النقص والتشويه. فمادامت كذلك، فلابد من وجود الأخطاء والعثرات التي ستشكل سبباً كافياً في إعاقة الفهم
2. أما السبب الآخر والأهم فهو ما دام أننا نستطيع أن نستنبط المعاني من كتاب الله فلم الحاجة إلى اللجوء لغيره؟! وقد افترينا القول في مقالة سابقة لنا تحت عنوان (مصادر التشريع في الإسلامي) بأنّ الذي دفع بأهل العلم إلى الزج بالمصادر الأخرى (كالسنة والإجماع والقياس) في استنباط الأحكام هو – في رأينا- عدم قدرتهم على استنباط الدليل على كل الأحكام التي طرحت بين أيديهم من كتاب الله، لذا كان اللجوء إلى مصدر آخر للتشريع أمراً لا مناص منه. ونحن على يقين أنه لو توافر لهم الدليل من كتاب الله على كل تشريع تعرضوا له، لما كانوا أصلاً بحاجة إلى اللجوء إلى مصادر أخرى للتشريع. وقد ذكرنا هناك إنّ هذا الزعم مبني على الاعتقادات التالية:

أولا: أن كتاب الله كامل، لا نقص فيه ولا زيادة، قال تعالى:

- ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ [الأنعام: 38]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: 41-42]

ثانيا: يستحيل على بشر الإحاطة الكليّة بما في كتاب الله، فالظن بأن فئة من الناس قد امتلكت العلم، ولا بد من الرجوع إليهم في كل صغيرة وكبيرة، والوقوف عند أرائهم مخالفة فاضحة للاعتقاد بأن كتاب الله لا يمكن الإحاطة بعلمه، قال تعالى:

- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: 255]

- ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: 85]

ثالثا: أن العلم من كتاب الله لا ينقضي، فما زال العلم المكنوز في ذلك الكتاب تتوالى صفحاته مع تقدم الزمان

- ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۢ ٨٨﴾ [ص: 87-88]

إن كارثة الأمة تتمثل – في رأينا- أنهم وقفوا عند أفهام السلف لهذا الكتاب، وهم بذلك مقتنعون (وإن كانوا لا يجهروا القول بذلك) أن أولئك السلف الصالح قد أحاطوا علماً بكل ما في كتاب الله. وفي الوقت الذي يدافعون عن موقفهم أنهم لا يزعمون ذلك، لا تنفك تصرفاتهم عن التأكيد على مثل هذا السلوك، فمن يتجرأ (وقليل ما هم مثل رشيد الجراح بالتأكيد) على الزعم أن أبن عمر ربما يكون قد أخطأ في أمر ما، أو أن ابن عباس (كما نقل عنه) قد شطح بعيداً عن الصواب في قضية ما، أو أن مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل وابن تيمية قد عجزوا جميعاً عن حل إشكالية ما في الفكر الديني؟ إن مثل هذا التساؤل لوحده كفيل أن يخرج من يقوله (رشيد الجراح) – في نظرهم – من الملة بأكملها، لا بل وتنصب له المحاكم للنظر في ما يجب أن يفعل به.

أقول لمثل هؤلاء إن كانت مفاتيح الجنة بأيديكم (كما تظهر في فتاواكم)، فلا تسمحوا لمن يخالفكم الرأي دخولها، ولكني لن أتوقف عن الإيمان اليقيني بأن السلف الصالح (على صلاحه الذي لا يمكن التشكيك فيه) قد أخطأ ولم يمسك بناصية الحقيقة في الكثير الكثير من قضايا الأمة الفقهية والعقائدية، ولا زال هناك كثير من التساؤلات تنتظر إجابات شافية يجب استنباطها من كتاب الله. فنحن هنا نتحدث عن علم وليس عن صلاح. فالسلف الصالح لا شك خير مني في الصلاح، لكني أظن أن هناك مجال ولو من الناحية النظرية أن أكون أكثر منهم علماً، ولا يعينني على ذلك أكثر من دعائي ربي:

اللهم أسألك علماً لا ينبغي لأحد غيري إنك أنت العليم الحكيم.

وقد رد عليّ الكثيرون (كما سمعوها من شيخ المفسرين الشعراوي رحمه الله) بالقول: إذا كان كلامك هذا صحيحاً، فأين الصلوات في القرآن الكريم؟ هل يذكر القرآن الكريم عدد الصلوات ووقتها وعدد ركعاتها؟ ألم نأخذ ذلك عن النبي محمد وعن أقوال أهل العلم؟ ألم يقل النبي – هم يرددون- صلّوا كما رأيتموني أصلي؟

رأينا: لابد من التنبيه إلى أمرين أثنين وهما:

1. لا يجب أن يفهم من كلامنا السابق أننا قوم ننكر السنة أو أننا لا نأخذ بها، ولكن جل ما نطلب هو التثبت مما جاء فيها وذلك بتدبر آيات الكتاب المبين، وعرض ما جاء في السنة على كتاب الله،

فنحن نظن أن هناك من ما نقل عن رسول الله ما قد يتعارض مع ما جاء في كتاب الله، وهنا يجب التثبت ألف مرة قبل الخروج للناس بعقيدة قد يبين أنها غير سليمة مع توالي الأيام. ولنقدم المثال التالي:

مثال: حديث الرجل الذي قتل المئة نفس

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فأراد أن يتوب، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إني قتلت تسعة وتسعين نفساً فهل لي من توبة؟ فقال الراهب: لا أجد لك توبة، فقتله فكمل به المائة، ثم أراد أن يتوب، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم فقال إني قتلت مائة نفس فهل لي من توبة؟ فقال ومن يحول بينك وبين التوبة، ولكنك بأرض قوم سوء فلا ترجع إليهم وأت إلى قوم كذا وكذا فاعبد الله معهم، ففعل الرجل، وفي الطريق نزل به الموت، فنزلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب يختصمون فيه، تقول ملائكة الرحمة: إنه جاء تائباً إلى الله، وتقول ملائكة العذاب: إنه قتل مائة نفس، فبعث الله من يحكم بينهم، فقال قيسوا ما بينه وبين القريتين، فإن كان لقرية السوء أقرب قبضته ملائكة العذاب، وإن كان لقرية الصلاح أقرب قبضته ملائكة الرحمة، فأمر الله قرية السوء أن تباعدي، وقرية الصلاح أن تقاربي، فقاسوا فوجدوه أقرب لقرية الصلاح بشبر فقبضته ملائكة الرحمة". انتهى الاقتباس.

إن ما يهمنا هنا –عزيزي القارئ- هو التثبت من متون مثل هذه الأحاديث وذلك بعرضها على نصوص الكتاب الكريم، وجل ما نطلب من القارئ الكريم هو تدبر ما وضعنا تحته خط لنطرح بعد ذلك التساؤلات التالي:

أولاً، هل فعلاً للملائكة الحق أن تتخذ قرار كهذا؟ هل لهم الحق في أن يتنازعوا على من يأخذ الرجل؟ أليس من واجب الملائكة أن تنفذ أمر الله فقط:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: 6]
- ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: 26]

ثانياً، والأهم من ذلك كله هو: لم يكون قرار الذي حكم بينهم على نحو أن يقيسوا المسافة بين المكانين، ألم يسمع هذا الحكم قول الحق في كتابه الكريم:

- ﴿۞وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠﴾ [النساء: 100]

فهل بعد هذا الكلام الإلهي نحتاج إلى أدوات قياس المسافة؟ من يدري!!!

التثبت مما في كتاب الله (الذي لم يفرط بشيء) قبل الخروج بمسلمات قد يبين خطأها مع توالي الأيام، ولنقدم مثال الصلاة بعددها ووقتها وعدد ركعات كل واحدة منها، طارحين التساؤل التالي: إذا كان النبي عليه أفضل الصلاة والسلام يدعونا أن نصلي كما يصلي، ألا يدل ذلك على أن السؤال نفسه يبقى قائماً: كيف عرف النبي نفسه أن الصلوات في اليوم والليلة خمس صلوات؟ وكيف عرف وقت كل صلاة منها؟ وكيف عرف عدد ركعات كل صلاة؟ هل يشرّع محمد بن عبد الله للناس من عنده؟ أليس هو وحي يوحي؟ كيف أوحي للنبي عدد الصلوات ووقتها وعدد ركعاتها؟ ألم ينزل قرآنا يتلى يدله على كيفية الوضوء؟

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]

إذن، لِم لمْ ينزل قرآن يتلى يا أهل العلم والدراية – نحن نصيح- يبين لّنا كيف يقيم محمد الصلاة؟ لِمَ لمْ ينزل قرآن يتلى – نحن نستهجن القول- بعددها وعدد ركعاتها؟ هل يعقل أن تكون الصورة في كتاب الله مجزوءة؟

جواب: كلا وألف كلا، لابد أن الصورة في كتاب الله كاملة غير منقوصة شريطة أن نعرف كيف نقرأ كتاب الله. لذا نحن نقدم الإفتراء التالي الذي هو بلا شك من عند أنفسنا:

افتراء من عند أنفسنا: نحن نزعم الظن بأن عدد الصلوات ووقتها وعدد ركعات كل واحدة منها مفصلة في كتاب الله كتفصيل الوضوء، ونتمسك بالعقيدة التي لا تخرج عن الاعتقاد اليقيني باستحالة أن يسن محمد شيئاً لا أصل له في كتاب الله.

سؤال: إنْ كان كلامك هذا صحيحاً، هل تستطيع أن تبين لنا أين خبر الصلاة بعددها ووقتها وعدد ركعاتها في كتاب الله؟ فأين الدليل على ذلك من كتاب الله؟

جواب: لنبدأ القصة من أولها: لنبدأ بتشريع الصلاة ثم ننتقل إلى أحكام الصلاة، كالطهارة والوضوء وأخيراً إلى عددها ووقتها.

أما بعد،

تشريع الصلاة: أين فرضت الصلاة؟

غالباً ما تناقل أهل العلم والدراية الرأي الذي مفاده أن الصلاة فرضت على النبي محمد فيما يسمّونه بحادثة الإسراء والمعراج. ونحن إذ لا نريد أن ندخل مع أهل العلم والدراية (والعامة من ورائهم) في جدل فكري، فإننا نود أن نطرح عدة تساؤلات علّها تصل إلى أسماعهم فيسعفوننا بعلم من عندهم يساعدنا على فهمها.

تساؤلات حول وقت ومكان فرض الصلاة

أولاً، تقول الرواية (كما فهمناها نحن) أن الرسول قد صلّى إماماً بالأنبياء عندما وصل إلى بيت المقدس ثم عُرِج به إلى السماء، ثم تزيد الرواية نفسها أنه ما أن وصل إلى السماء السابعة حتى فرضت عليه الصلاة هناك، وهنا يأتي سؤالنا على النحو التالي:

كيف يكون النبي قد صلى قبل أن يعرج به والصلاة قد فرضت أصلاً (حسب الرواية نفسها) بعد أن عُرِج به؟ فما نوع الصلاة التي صلاها بإخوانه من الأنبياء؟

ثانياً، ها هو النبي محمد (حسب الرواية نفسها) يصعد السموات، الواحدة بعد الأخرى، وكان كلما وصل إلى واحدة من السموات وجد أحد إخوانه من الأنبياء.

وقد جاء هذا مبنياً على تصور مفاده أن السموات السبع هي بناء بعضه فوق بعض (وهو ما سنحاول تفنيده في مقالة منفصلة بحول الله وتوفيقه).

وهناك يبادر جبريل – كما تقول الرواية – بالسؤال عن ذلك النبي الرسول بالقول: من هذا يا جبريل؟ فيرد جبريل بالقول هذا أخوك موسى، وهذا أخوك إبراهيم، وهذا عيسى، وهذا...، الخ. وهنا يأتي سؤالنا الثاني على النحو التالي:

ألم يصلي النبي بهم في بيت المقدس قبل أن يصعد إلى السماء حسب الرواية؟ هل نسي من كان قد قابلهم قبل قليل؟ لِمَ لَمْ يسأل جبريل عنهم عندما صلّى بهم في بيت المقدس؟ لماذا انتظر حتى وجدهم قد سبقوه إلى السماء ليسأل عنهم هناك؟!

ثالثاً، ها هي الصلاة (حسب الرواية تلك) تفرض خمسمائة (أو خمسون) صلاة في بادئ الأمر، ويبقى الرسول ينتقل بين موسى والعرش ليطلب التخفيف بعد مشورة من موسى، فيا سبحان الله! هل موسى أكثر رأفة بالناس من ربهم؟ والأهم من ذلك أن النبي محمد (كما تقول بعض أجزاء الرواية) يخجل أن يعود في رحلة أخرى بعد أن أصبحت خمس صلوات، إذن نحن نصلي خمس صلوات باليوم والليلة – حسب ما يمكن أن نفهمه من تلك الرواية- بسبب حياء النبي، فلو لم يخجل النبي من العودة ثانية – نحن نتساءل فقط- هل كانت الصلاة ستصبح مرة واحدة في اليوم؟ وماذا لو عاد النبي مرة أخرى إلى ربه؟ هل كان من الممكن أن تصبح مرة واحدة في الأسبوع (كما يفعل أهل الديانة النصرانية مثلاً)؟ ألا تظنون – يا

سادة- أن في هذا اتهام خطير لجوهر ركن مهم من أركان الدين ألا وهو ركن الصلاة الذي غالباً ما أفهمنا سادتنا وعلماؤنا بأنها عامود الدين.

رأينا: نحن لا نتردد أن نلقي بظلال الشك على تلك الرواية برمتها لنعيد فتح ملف الصلاة كله من جديد.

الوضوء للصلاة

لا يتوقف تشككنا عند مسألة وقت ومكان مشروعية الصلاة، بل يتعدى إلى المشكلة الثانية التي نود طرحها وتخص فقه فعل الصلاة نفسها، ونقصد على وجه التحديد الوضوء للصلاة، فالصلاة – كما يعلم الجميع- لا تتم إلا بالوضوء مصداقاً لقوله تعالى:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: 6]

وهنا نتوقف لنطرح سؤالين اثنين وهما:

1. إن صح كلام من سبقونا، فربما يحق لنا أن نسأل: لماذا جاء أمر الوضوء مفصلاً في كتاب الله ولم يأتي مثل ذلك فيما يخص عدد الصلوات في اليوم والليلة وعدد ركعات كل صلاة منها؟
2. هل ما تناقله أهل العلم عن أحكام الوضوء صحيحاً بناء على ما جاء في هذه الآية الكريمة؟

جواب: لنبدأ النقاش هنا بمحاولتنا الإجابة على التساؤل الثاني أولاً، لنزعم القول أن أهل العلم (وبالتالي العامة الذين ينقادون لرأيهم دون عناء التفكر) قد أخفقوا في فهم آية الوضوء هذه، وذلك لسبب بسيط وهو أن فهمهم كان مدفوعاً بالفهم الشعبي السائد الذي قد لا يستند على الحجة من كتاب الله. ولكن كيف؟

رأينا: لنبدأ النقاش هنا بجلب الانتباه إلى معنى مفردتين اثنتين وردتا في هذه الآية الكريمة وهما مفردة الوجه ومفردة الرأس، لنسأل بعدئذ بعض التساؤلات التي قد تبدو للكثيرين بأنها بسيطة وغريبة (وربما غير ضرورية):

1. ما هو الوجه؟ ما المقصود بالوجه في هذه الآية الكريمة؟
2. ما هو الرأس؟ ما المقصود بالرأس في هذه الآية الكريمة؟

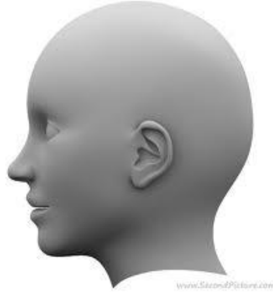
لا أظن أن مثل هذه المفردات قد استوقفت أهل العلم كثيراً، فهي تعتبر عند الكثيرين من المسلّمات التي يظنون أنهم يعرفونها، ولم يظنوا أنهم بحاجة إلى الخوض فيها عند شرح ما جاء في الآية الكريمة التي تفصل الوضوء للصلاة، فلم نجد الكثير في مؤلفاتهم فيما يتعلق بالنبش في مثل هذه المفردات الدارجة جداً على لسان العامة وأهل العلم على حد سواء. وسنحاول – إن أذن الله لنا بشيء من علمه- تبيان كيف أن معرفتهم تلك كانت على الدوام معرفة مغلوطة (وبالتالي فقد بنوا كثيراً من الأحكام التشريعية على معلومة مغلوطة – نحن نزعم القول- لا ترقى أن يبنى عليه أحكام في الفقه والعقيدة) وذلك لسببين رئيسيين:

1. كانت معرفتهم مستندة على ما ألفوا من أفهام عند العامة
2. لم يحاولوا تهذيب معرفتهم تلك بالحجة المستنبطة بالدليل القاطع من كتاب الله

ولكن كيف؟

لو فاجأت أحدهم بالسؤال عن معنى مفردة الوجه أو معنى مفردة الرأس، لربما أثار هذا السؤال السخرية في الرد عند الكثيرين لظنهم أن هذا سؤال عن بديهيات ومسلّمات لا يمكن المجادلة فيها، وكأن لسان حالهم يقول: ألا تعرف ما الوجه وما الرأس؟ هل أنت فعلاً جاد في سؤالك هذا؟

وعندما كنت ألح في السؤال (حتى في محاضرات طلبة الدراسات العليا) محاولاً أن أطلب من أي شخص أن يحدد لي ذاك الشيء الذي نسميه رأساً مثلاً، كان يفعل ذلك بالإشارة إلى الجزء من الجسم الذي يعرف الناس أنه هو الرأس، مشيراً بكلتا يديه إلى كل ذلك الجزء من الجسم الذي يعتلي الكتفين كما في الصورة التالية:



(المصدر)

وهنا كنت أفاجئهم بالتساؤل التالي: إذا كان الرأس هو كل هذا الجزء من الجسم الذي يظهر في الشكل كما يحدده الناس عندما تسألهم عنه، إذن: كيف يمكن أن نفهم قول الله في كتابه (وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ) في الآية التي تتحدث عن الوضوء؟

لم يكون المسح فقط على ذلك الجزء العلوي والخلفي من الرأس الذي يكون عادة مغطى بالشعر؟ لم لا نمسح على الوجه مادام أن الوجه (كما يظهر في الصورة وكما يفهم الناس) هو جزء من الرأس؟ فالرأس يحدده العامة على أنه كل ذلك الجزء الذي يعتلي الكتفين، أليس كذلك؟

رأينا: كلا وألف كلا، ذلك ليس هو الرأس، إن ما يظهر في الصورة السابقة هو كينونتان اثنتان وليس كينونة واحدة، وهما: (1) رأس (الجزء العلوي والخلفي) و (2) وجه (الجزء الأمامي)، وهناك فرق كبير بين الرأس والوجه سيترتب عليه فهم الآيات التي تتحدث عن الرأس والوجه بطريقة مختلفة كلياً.

نتيجة: إننا نفهم أن الرأس هو ذلك الجزء الذي يمسح مسحاً في الوضوء، بينما الوجه هو ذلك الجزء الذي يغسل غسلاً، فما يظهر في الصورة في الأعلى ليس كله رأساً بل هو رأس (الجزء العلوي والخلفي) ووجه (الجزء الأمامي).

وربما يصدق ظننا هذا ما جاء في القرآن الكريم في الآية الكريمة التالية التي تتحدث عن بعض شعائر الحج والعمرة:

- ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾ [البقرة: 196]

تأمل – عزيزي القارئ- هذه الآية الكريمة جيداً، وركز على الفعل الذي تأمرنا الآية الكريمة به فيما يخص الرأس، ألا تأمرنا الآية الكريمة بحلق الرأس بعد أن يبلغ الهدى محله؟ فكيف بنا نحلق رؤوسنا إن كان الرأس يشمل الوجه أيضاً؟ أي إن كان الرأس يشمل كل تلك الكينونة التي تعتلي الكتفين كما يدل على ذلك الفهم الشعبي السائد للمفردة، ألا ينبغي علينا أن نحلقه كله؟ فتخيل – عزيزي القارئ- ما الذي يجب فعله حسب هذه الآية الكريمة لو كانت مفردة الرأس تشمل الرأس والوجه معاً (كما فهم علماؤنا الأجلاء)؟ ألا نصبح عندها ملزمين بحلق الشعر الذي ينبت في الوجه كاللحية والحاجبين وحتى رموش العينين حسب النص القرآني (وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ)؟ من يدري!!!

نتيجة مهمة جداً: الوجه ليس جزءاً من الرأس (والرأس لا يشمل الوجه) لأنه لو كان الوجه جزءا من الرأس لجاز المسح عليه مسحاً ما دام أن الأمر الإلهي جاء بالمسح بالرؤوس (أي جزء منها)، ولأصبح حلق شعر الوجه واجباً في الحالات التي طلب فيها منا بحلق رؤوسنا كشعيرة من شعائر الحج والعمرة مثلاً.

وغالباً ما أخطأ الناس في الفهم عندما ظنوا أن رأس الشيء هو أعلاه، فلو كان كلامهم هذا صحيحاً لما خرج الناس – برأينا- بمفردات مثل رأس البصل، ورأس الثوم، ورأس الملفوف، ورأس الزهرة من الخضروات مثلاً (على الأقل هذا ما نقوله نحن في الأردن)، لأن الرأس من هذه النباتات هو أسفلها أو ما

يكون أحياناً تحت التراب، ولو طرحنا السؤال التالي:لم يستخدم أبناء العربية مفردة الرأس مع هذه الخضروات مثلاً ولا يستخدموها مع الطماطم أو البطاطا أو مع الفواكه كالتفاح والبرتقال وغيرها بالرغم أنها متشابهة جداً في شكلها الدائري؟

عواقب هذا الفهم على أحكام الوضوء

الرأس: مادام أن الرأس – حسب فهمنا الآن- هو الجزء العلوي الخلفي من الشكل الذي يظهر في الصورة وهو – بلا شك- منفصل عن الوجه، فإن كل جزء منه يمسح مسحاً في الوضوء، لذا يمكننا الآن الإجابة على السؤال التالي: لماذا لا نغسل الآذان في الضوء ونكتفي بالمسح عليها (بالرغم أن الآية الكريمة التي تتحدث عن الوضوء لا تأتي على ذكر الآذان)؟

الجواب: لأن الآذان جزء من الرأس، لذا فهي تمسح مع الرأس مسحاً.

الوجه: مادام أن الوجه – حسب فهمنا الآن- هو فقط الجزء الأمامي من الشكل الذي يظهر في الصورة وهو مفصل عن الرأس، فإن كل جزء من الوجه يغسل غسلاً في الوضوء، وبهذا الفهم ربما يمكننا الإجابة على التساؤل التالي: لماذا نغسل الفهم (بالمضمضة) والأنف (بالاستنشاق) (بالرغم أن الآية الكريمة التي تتحدث عن الوضوء لا تأتي على ذكر الفم والأنف)؟

الجواب: لأنهما جزء من الوجه، لذا فهما يغسلان غسلاً، يكون ذلك غسلاً متى توافر الماء، وإن لم يتوافر الماء يصبح الوجه مسحاً ويتعذر عندها المضمضة والاستنشاق

نتيجة: غالباً ما اختلف أهل العلم في بعض أفعال الوضوء، فقسّموها إلى فروض (كغسل الوجه ومسح الرأس) وسنن (كالمضمضة والاستنشاق)، ونحن إذ لا نريد أن نخوض في آرائهم تلك، لكننا نطلب منهم أن يقدموا لنا حادثة واحدة توضأ الرسول الكريم فيها بالماء ولم يغسل فمه بالمضمضة أو أنفه بالاستنشاق (بل على العكس فقد طلب منّا المبالغة بالاستنثار عند الوضوء)، فأنا لا أعلم من أين جاءت تقسيماتهم هذه إلى فرائض وسنن غير فهمهم الخاطئ لمفردات النص القرآني، فعندما ظنوا أن الآية الكريمة لم تأتي على ذكر الآذان والفم والأنف جعلوها من السنن، واقتصرت الفرائض عندهم على الوجه واليدين إلى المرفقين والوجه والرأس، مدفوعين بالفهم الشعبي لهذه المفردات (كما فهموها بالطبع)، ولم يتوقفوا عند المعاني الحقيقية لهذه المفردات كما تجلّيها آيات الكتاب الحكيم.

لهذا، نحن نستميح – سادتنا العلماء- العذر مرات ومرات لمخالفتهم الرأي لنقول لهم: لو تدبرتم - يا علماءنا الأجلاء- معنى مفردة الوجه كما يحددها النص القرآني (وليس كما فهمتموها من آبائكم)، لربما علمتم أن كل ما في الوجه (كالفم والأنف) يغسل غسلاً مادام أنه جزء منه، ولو تدبرتم معنى مفردة الرأس لعلمتم أن كل ما في الرأس (كالأذنين) يمسح عليه مسحاً ولا يغسل غسلاً. ولما استعصى عليكم الفهم أن الرأس شيء والوجه شيء آخر.

سؤال: هل هناك مفردة واحدة في العربية تجمع الوجه والرأس معاً؟ أو ما هو ذاك الشيء الذي يظهر في الصورة السابقة ككتلة واحدة؟

الجواب: لازالت الغالبية الساحقة (إن لم يكن كل) أبناء العربية يظنون أن الرأس هو ذلك الشيء الذي فوق العنق، أليس كذلك؟ لكننا نستوقفهم هنا لنقول لهم بأننا لا نظن أن هناك مفردة في العربية تجمع الرأس والوجه معاً، وجل ما يمكن أن نسمي به ذلك الشيء الذي يجمع الرأس والوجه معاً هو "فوق العنق"، فالعنق مثلاً ليس جزءاً من الرأس أو الوجه:

- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: 12]

إننا نظن أنه لو جاء الأمر الإلهي بضرب الرؤوس بدلاً من الضرب فوق الأعناق لأصبح لزاماً أن يأتي الضرب من الخلف فقط، ولكن لما كان الضرب فوق الأعناق فلا ضير إذاً أن تأتي الضربة من أي اتجاه.

فمادام العنق ليس جزءاً من الوجه فهو لا يغسل في الوضوء، ومادام العنق ليس جزءاً من الرأس فلا يمسح عليه في الوضوء.

لاحظ كيف خاطب هارون أخاه موسى يوم أخذ برأسه وبلحيته:

- ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: 94]

فلو كان الرأس واللحية جزءاً واحد لما كان هناك حاجة للتفصيل فيهما، ولكن لما كان الشعر الذي ينمو على الرأس شيئا والشعر الذي ينبت على الوجه شيئا آخر كان لزاماً الفصل بينهما.

وقد طلب الله منا أن نضرب من يقاتلنا في المعركة فوق عنقه، ولو طلب منا أن نضرب رأسه، لأصبح لزاماً علينا أن نضربه فقط في المنطقة التي تمسح في الوضوء (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) أو التي تحلق في الحج والعمرة (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ).

عدد الصلوات في اليوم والليلة

بعد أن قدمنا تشككنا في وقت ومكان فرض الصلاة، والغلط الذي وقع به – حسب زعمنا- كثير من أهل العلم فيما يخص أحكام الوضوء، ننتقل الآن إلى القضية الأكثر جدلاً وهي عدد الصلوات في اليوم والليلة، ولمّا كانت منهجيتنا تتمثل بالاعتقاد اليقيني بأن الحاجة ملحة على الدوام للتفكر بما في كتاب الله وعدم الوقوف عند أفهام من سبقونا من أهل العلم، (وكأن العلم قد وقفت به عجلة الزمن هناك)، لا نجد بداً من طرح التساؤل الكبير التالي: إذا كان الوضوء للصلاة قد جاء مفصلاً في كتاب الله في الآية الكريمة التي أوردناها سابقاً وعلقنا على معاني بعض مفرداتها كمفردة الرأس والوجه، فلم لم يأتي التفصيل كذلك بشأن

عدد الصلوات الخمسة التي نؤديها في اليوم والليلة؟ هل فعلاً لا يفصّل القرآن الكريم عدد الصلوات في اليوم والليلة؟

الرأي السائد عند أهل العلم والدراية: كان الاعتقاد السائد عند جمهور العلماء يتمثل في أن عدد الصلوات في اليوم والليلة هو أمر توقيفي أخذ عن النبي محمد مباشرة، ونحن مأمورون أن نأخذ ما ورد عن النبي كما هو مصداقاً لقوله تعالى:

- ﴿... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: 7]

فالصلاة – هم يدلّلون- عمل لم ينقطع يوما واحداً من حياة المسلمين، ولما كان هذا العمل قد نقل بالتواتر، فلا يحق لأحد – هم يفتون- أن يحتج عليه.

تساؤلات: ونحن إذ لا نشكك بالصلاة، ولا بعددها، ولا بعدد ركعاتها، ولا بطريقة تنفيذها، لكننا نتساءل فقط عن السبب لم لم يأتي تفصيلها صراحة في كتاب الله كما كان الحال بالنسبة للوضوء مثلاً. ثم، ألا يوجد بعض الاختلافات بين المدارس والمذاهب الدينية الإسلامية في الصلاة؟ فلو راقبت كيفية صلاة المسلمين المنتمين إلى بعض الفرق والمذاهب الدينية الإسلامية، لوجدت العجب العجاب، فمن أين –يا ترى- جاءت هذه الاختلافات مادام أن الصلاة التي تناقلها الناس عن النبي لم تنقطع يوماً؟

موقفنا العقائدي: أما نحن فنستميح السادة العلماء العذر أن نخالفهم الرأي لنعبر عن موقفنا العقائدي التالي: جاء عدد الصلوات مفصلاً في كتاب الله كما هو الحال بالنسبة للوضوء، فنحن نحمل الاعتقاد اليقيني أن كتاب الله قد ذكر عدد الصلوات وأوقاتها وعدد الركعات في كل واحدة منها، وجل ما نحن بحاجة إليه هو أن نعرف كيف نقرأ ما هو موجود في كتاب الله، ونتدبره كما أمرنا الله أن نتدبره، فكتاب الله – نحن نؤمن- الذي لم يفرط في شيء يستحيل أن يكون قد فرط بشيء من أمر الصلاة التي تعتبر عامود الدين.

سؤال: وأين ذلك في كتاب الله إن صح ما تزعم؟

جواب: سأحاول في الصفحات التالية – إن أذن الله لي بشيء من علمه- تفصيل الأمر، ولكن لابد من التنبيه أولاً إلى جملة من منطلقات التفكير عندنا:

1. لابد أن يكون الدليل سهلاً يستطيع فهمه الصغير والكبير، العالم وغير المتعلم، فأمر الصلاة لا يحتاج إلى تخصصيّة وشهادات عليا موسومة بتواقيع أهل العلم والدراية، فمادام أن كل مسلم بلغ سن التكليف مطلوب منه تأدية تلك الفريضة، فهو إذن يستطيع أن يستوعب الدليل، والله هو من قال في كتابه الكريم:

- ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝١٧﴾ [القمر: 17]

وهنا ننبّه إلى أنه في اللحظة التي يصبح الحديث غامضاً متسماً بجسامة الألفاظ، وتعقيدات الحجة، تضيع الحقيقة وينقلب الأمر إلى صراع فكري قد لا يمت إلى الموضوع قيد التفكر بصلة.

2. لابد من فهم الأمر في سياق القرآن الكريم الكلي، وهنا نقصد على وجه التحديد الحقيقة الثابتة بأن القرآن الكريم قد جاء مفرقاً:

- ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: 106]
- ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: 16-19]

لذا ليس لزاماً أن يأتي ذكر الصلوات جميعاً في آية واحدة، فما دام أن القرآن نزل مفرقاً فلا ضير – نحن نعتقد- أن الوحي للنبي بالصلوات قد جاء مفرقاً أيضا، لذا نحن بحاجة أن نبحث عن الآيات التي تفصل عدد الصلوات في القرآن كله.

3. لا بد من الوقوف عند الألفاظ كما تجليها آيات الكتاب الكريم وأن نبتعد عن الأفهام التي تكون مدفوعة بالفهم والتصورات الشعبية كما وضحنا سابقاً عندما تعرضنا لمفردات مثل الوجه والرأس سابقاً.

إنْ صحّت منطلقات التفكير هذه، فنحن نزعم القول أن باستطاعتنا- بحول الله وتوفيقه - استنباط عدد الصلوات وأوقاتها وعدد ركعات كل واحدة منها من كتاب الله الكريم، فنسأل الله تعالى أن يأذن لنا الإحاطة بشيء من علمه الذي لم يحط به غيرنا، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

أما بعد

ما هي الصلاة؟

جاء الأمر الإلهي بالمحافظة على الصلاة في 63 موقعاً في كتابه الكريم :

- ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: 3]
- ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: 43]
- ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: 45]
- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة: 83]

- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة: 110]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة: 153]
- ﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة: 177]
- ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: 238]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾ [البقرة: 277]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [النساء: 43]
- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء: 77]
- ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١﴾ [النساء: 101]
- ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢﴾ [النساء: 102]
- ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء: 103]
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: 142]

- ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء: 162]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]
- ﴿۞وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾ [المائدة: 12]
- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ [المائدة: 55]
- ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨﴾ [المائدة: 58]
- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة: 91]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾ [المائدة: 106]
- ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢﴾ [الأنعام: 72]
- ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾ [الأعراف: 170]
- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [الأنفال: 3]
- ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [التوبة: 5]
- ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١﴾ [التوبة: 11]
- ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ [التوبة: 18]

- ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: 54]
- ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: 71]
- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس: 87]
- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: 114]
- ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: 22]
- ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: 31]
- ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: 37]
- ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: 40]
- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: 78]
- ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: 31]
- ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: 55]
- ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: 59]
- ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: 14]
- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: 132]
- ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: 73]
- ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: 35]
- ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: 41]

- ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج: 78]
- ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور: 37]
- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾ [النور: 56]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨﴾ [النور: 58]
- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣﴾ [النمل: 3]
- ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت: 45]
- ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١﴾ [الروم: 31]
- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾ [لقمان: 4]
- ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: 17]
- ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب: 33]
- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ [فاطر: 18]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ [فاطر: 29]
- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾ [الشورى: 38]
- ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾ [المجادلة: 13]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة: 9]
- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: 10]

- ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ [المزمل: 20]
- ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: 5]

والحالة هذه كان لابد أن نفهم أولاً معنى مفردة الصلاة، ومن ثم استنباط الاحكام الخاصة بها.

أولاً، جاءت مفردة الصلاة في القرآن الكريم بمعنى "القول أو التلفظ"، قال تعالى:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

فالصلاة على النبي كما ترد في هذه الآية الكريمة تتم بالقول وليس بالفعل، فليس هناك عمل تقوم به للصلاة على النبي، وجل ما يمكن أن تفعله هو أن تقول كلاماً محدداً يقصد به الدعاء للنبي الكريم.

نتيجة: لما كان بحثنا هنا يتعلق بفعل الصلاة وليس بالصلاة بالقول، فإن أبسط ما يمكن أن نستنبطه من هذه الآية الكريمة هو أننا لن نبحث في كتاب الله هنا عن الصلاة التي تتم بالقول، ولكننا بحاجة أن نبحث عن الصلاة التي تتم بالفعل.

ثانياً، لابد من التميز بين الصلاة والتسبيح، فالتسبيح ربما يحدث في أي وقت من اليوم والليلة:

- ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧﴾ [المزمل: 7]
- ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ [طه: 130]

ثالثاً، الصلاة التي نبحث عنها ليست التهجد:

- ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: 79]

إذن، ما هي الصلاة التي نبحث عنها؟

جواب: إنها ما نجده في كتاب الله تحت لفظ "إقامة الصلاة":

- ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة: 3]

فالصلوات التي نؤديها في اليوم والليلة خمس مرات تقع ضمن نطاق إقامة الصلاة، فما معنى إقامة الصلاة؟

جواب: لا شك عندنا أن الصلاة على النبي مثلاً يمكن أن تتم في أي وقت في اليوم والليلة، فهي غير مرتبطة بزمن محدد في اليوم والليلة، ويمكن أن تستمر لفترة غير منقطعة، وكذلك الأمر بالنسبة للتسبيح، ولكن كيف يكون الأمر بالنسبة لإقامة الصلاة؟

لو تدبرنا طبيعة الفعل في عبارة " وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ " التي ترد في الآية الكريمة السابقة لوجدناه يختلف عن الفعل الذي يرد في عبارة "يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" في الآية الكريمة نفسها. وهنا نستميح أهل اللغة العذر لندقق في جزئية لغوية مهمة جداً تخص طبيعة ما يسمى بالفعل المضارع كما في عبارتي " يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ". فعلى الرغم أن الفعلين جاءا على صيغة الفعل المضارع، إلا أن المضارعة تختلف في كل واحد منهما، ولكن كيف؟

جواب: في حين أن الأيمان بالغيب هو فعل مستمر لا يجب أن ينقطع بتاتاً، فإن فعل إقامة الصلاة هو فعل غير مستمر لابد أن يحدث على انقطاع من حين لآخر، فأنت لا يمكن أن تكون مؤمناً بالغيب في ساعة ثم تتوقف عن ذلك لمدة ساعة أو ساعتين لتعود لتؤمن بالغيب من جديد، ولكن في حالة إقامة الصلاة فأنت تقوم بفعل الصلاة في ساعة معينة ثم تتوقف بعضاً من الوقت وتعود إلى الصلاة مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة، فأنت تقيم الصلاة في الفجر وتتوقف عن الصلاة حتى الظهر وتعود إلى الصلاة في العصر والمغرب والعشاء، بينما في حالة الإيمان بالغيب، فأنت تؤمن بالغيب بلا انقطاع ولو للحظة واحدة (فحتى لو كنت نائماً فهذا لا يعني أنك لا تؤمن بالغيب ولكنك بلا شك لا تكون في حالة إقامة للصلاة). وهذا التميز هو ما يسميه أهل اللغة الإنجليزية مثلاً بـ present continuous الذي يقابله simple present.

نتيجة مهمة جداً: إقامة الصلاة فعل منقطع لأزمان محددة في اليوم والليلة. فما هي تلك الأزمان؟

جواب: نحن نزعم الظن أن هناك آيات محددة في كتاب الله تحدد الأوقات التي يجب على المسلم أن يقيم فيها الصلاة في يومه وليلته. وبعد تفقد السياقات القرآنية التي تتحدث عن فعل إقامة الصلاة وجدنا الأمر الإلهي باقامة الصلاة قد صدر لتكون إقامة الصلاة محددة بأزمان ثابتة لا تتغير في اليوم والليلة مصداقاً لقوله تعالى:

- ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء: 103]

وهنا يطرح السؤال التالي على الفور: ما هي تلك الأوقات؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن الوحي الصادر بهذه الأوقات قد جاء في آيتين كريمتين من كتاب الله فقط، وسنتعرض لهما في الصفحات التالية لتبيان تلك الأوقات التي حددها ربنا في كتابه الكريم لإقامة الصلاة.

أما بعد،

نحن نظن أن الآية الأولى هي قوله تعالى:

- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨﴾ [الإسراء: 78]

لو تدبرنا هذه الآية الكريمة جيداً لوجدنا أن الأمر الإلهي للنبي بإقامة الصلاة قد جاءه على نحو أن الصلاة تبدأ من وقت محدد إلى وقت دلوك الشمس وتنتهي مع غسق الليل، فالنبي مأمور بإقامة الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل، أليس كذلك؟

نتيجة مهمة جداً: يبدأ وقت إقامة الصلاة الأولى حسب هذه الآية الكريمة قبل دلوك الشمس (أي لدلوك الشمس)، وتنتهي وقت إقامة الصلاة الأخيرة مع غسق الليل، فتصبح أوقات الصلوات على النحو التالي:

الصلاة	وقتها	الدليل
الصلاة الأولى	لدلوك الشمس	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ
الصلاة الأخيرة	غسق الليل	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ

تخيلات من عند أنفسنا: لمّا كان القرآن الكريم قد تحرك به لسان محمد مفرقاً، فإنه بإمكاننا أن نتصور المشهد على النحو التالي: تنزل هذه الآية الكريمة على النبي محمد في وقت ما من دعوته لتأمره بـ إقامة الصلاة (وليس الصلاة أو التسبيح أو التهجد) في هذين الوقتين من اليوم والليلة، لذا نحن نفتري القول أنه لربما فهم النبي أنه مأمور أن يبدأ أول صلاة له قبل دلوك الشمس وأن ينهي آخر صلاة مكتوبة مع غسق الليل.

ولمّا كان القرآن الكريم لا زال يتنزل على قلب محمد شيئاً فشيئاً (وليس جملة واحدة)، ما هي إلا فترة زمنية وجيزة – نحن نتخيل الموقف- حتى نزل على قلب النبي أمر آخر بإقامة الصلاة، مكملاً للأمر السابق، فجاء قول الحق يأمر نبيه بإقامة الصلاة في أوقات أخرى من يومه وليلته في آية كريمة أخرى هي قوله تعالى:

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114]

فلو دققنا في هذه الآية الكريمة جيداً لوجدنا أن النبي يؤمر في هذه الآية الكريمة بـ إقامة الصلاة في ثلاث أوقات أخرى هي طرفي النهار وزلفاً من الليل، فيصبح هناك ثلاث صلوات أخرى على النحو التالي:

⇐ صلاة في طرف النهار الأول
⇐ صلاة في طرف النهار الآخر
⇐ صلاة زلفاً من الليل

ولو أضفنا الأوقات التي وردت في هذه الآية الكريمة إلى الأوقات التي وردت في الآية الكريمة السابقة لأصبح الجدول السابق على النحو التالي:

الصلاة	وقتها	الدليل
الصلاة الأولى	لدلوك الشمس	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ
الصلاة الثانية	طرف النهار(1)	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الثالثة	طرف النهار(2)	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الرابعة	زلفاً من الليل	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الأخيرة	غسق الليل	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ

والآن ما الذي يمكن أن نستنبطه لو تصورنا أن آيتي إقامة الصلاة قد نزلتا بترتب معكوس، أي لو نزلت الآية التي تتحدث عن إقامة الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل سابقةً لآية دلوك الشمس وغسق الليل، فيصبح الأمر على النحو التالي:

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114]

الصلاة	وقتها	الدليل
الصلاة الأولى	طرف النهار	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الثانية	طرف النهار	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الثالثة	زلفاً من الليل	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ

- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78]

الصلاة	وقتها	الدليل
الصلاة الأولى	طرف النهار	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الثانية	طرف النهار	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الثالثة	زلفاً من الليل	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الرابعة	دلوك الشمس	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ
الصلاة الأخيرة	غسق الليل	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ

وسنتعرض لأهمية هذا الترتيب عند الحديث عن الصلاة الوسطى لاحقاً بحول الله وتوفيقه.

نتيجة كبيرة جداً: يؤمر النبي الكريم بما أوحى إليه ربه من القرآن العظيم أن يقيم الصلاة في يومه وليلته خمس مرات وهي: لدلوك الشمس، طرف النهار1، طرف النهار2، زلفاً من الليل، وغسق الليل.

ما هي هذه الأوقات الخمسة؟

لو تدبرنا القرآن الكريم كلّه لربما لا نجد – نحن نفتري القول- أمراً إلهياً آخر قد صدر للنبي بإقامة الصلاة في غير هذه الأوقات الخمسة، والقارئ الكريم مدعو للبحث والتنقيب، وإن هو وجد غير ما نزعم فنحن على استعداد للتخلي عن موقفنا فوراً. لكن يبقى السؤال المطروح هنا هو: ما هي هذه الأوقات الخمسة؟

تحليل المفردات

للإجابة على هذا التساؤل لابد أولاً من التعرض لمفردات هذه الآيات الكريمة التي تأمر النبي بإقامة الصلاة بشيء من التفصيل للوقوف على معانيها الحقيقة، وهو الذي نظن أنه أشكل على العامة وأهل الاختصاص قروناً من الزمن. ولنبدأ بها الواحدة تلو الأخرى.

أما بعد،

أولاً، نحن نفتري القول هنا أن أكثر المفردات التي ربما لم يتم استيعابها جيداً هي مفردة "أطراف النهار" التي ترد في آية إقامة الصلاة التالية:

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114]

فغالباً ما كان الفهم مدفوعا بالتصور الشعبي الذي مفاده أن طرفي النهار هما الصبح والمغرب، وذلك لظنهم أن طرفي الشيء هما نقطة البداية والنهاية فيه، وهذا في رأينا ما كان سبباً رئيسياً في إعاقة الفهم الصحيح. وحتى نتمكن من إعادة الأمر – حسب زعمنا- إلى نصابه الصحيح، فإننا نرى وجوب دراسة هذه المفردة بشكل أكثر عمقاً بناء على معناها الحقيقي المستنبط من السياقات القرآنية التي ترد فيها، طارحين السؤال التالي: ما هو الطرف؟

جواب: إننا نظن أن طرف الشيء ليس نقطة البداية أو نقطة النهاية فيه، فطرف الثوب ليس أسفله ولا أعلاه، وأطراف الإنسان ليس رأسه وأخمص قدميه، وهكذا، ولكن الطرف – نحن نعتقد جازمين- هو أي نقطة في الشيء ما عدا أعلاه وأسفله، والدليل على ذلك يأتي من قول الحق:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٤١﴾ [الرعد: 41]
- ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ٤٤﴾ [الأنبياء: 44]

فهل أطراف الأرض هي أعلى نقطة فيها وأسفل نقطة فيها؟ وأين هي تلك الأطراف إذاً؟ ثم لا ننسى أن هذه الآيات الكريمة تثبت - بما لا يدع مجالاً للشك- بأن للأرض أطراف كثيرة وليس فقط طرفان، فيستحيل إذاً أن يكون أطراف الأرض هي نقطتي البداية والنهاية لها.

السؤال الذي يمكن أن يثار هنا هو: كيف تنقص الأرض من أطرافها؟

رأينا: لو أنت تملك قطعة من الأرض وسألك احد عن أطراف تلك القطعة، فكيف ترد على ذلك؟ أليست هي المنطقة التي تحيط بالقطعة من جميع جوانبها؟ فلو حاولت أن تبني سوراً حول قطعة الأرض التي تملكها، ألا تقوم ببناء ذلك السور على جميع أطرافها؟ ولو حاولت أن تقتطع شيئاً من تلك الأرض، ألا تقوم بذلك من أطرافها؟ فهل تستطيع أن تقطع شيئاً من وسطها مثلاً؟ والآن لنتخيل الأرض التي هي كما ذكرنا في أكثر من مقالة سابقة لنا تعني اليابسة فقط:

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ٦١﴾ [البقرة: 61]
- ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [المائدة: 26]
- ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة: 31]

- ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: 137]
- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: 24]
- ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف: 80]
- ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل: 65]
- ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء: 104]

وكذلك هي الصورة بالنسبة للنهار، فللنهار – حسب النص القرآني- أطراف كثيرة، وليس فقط طرفان:

- ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: 130]

ولو دققت – عزيزي القارئ- جيداً في هذه الآية الكريمة مليّاً لوجدت أنها تثبت ما ذهبنا إليه من زعم في أن الطرف هو أي جزء في الشيء باستثناء بدايته ونهايته، فالنهار يبدأ مع طلوع الشمس وينتهي مع غروبها، أليس كذلك؟ فنحن مأمورون – حسب الآية الكريمة السابقة- بالتسبيح "قبل طلوع الشمس (نقطة البداية) وقبل غروب الشمس (نقطة النهاية)، ولكن بالإضافة إلى ذلك، نحن مأمورون بالتسبيح في أطراف للنهار، فخلال النهار هناك إذاً أطراف كثيرة يمكن للإنسان أن يسبح فيها.

نتيجة مفتراة: أطراف النهار هي أي نقطة في النهار عدا بدايته (قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ) ونهايته (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)

سؤال: ما علاقة ذلك بإقامة الصلاة طرفي النهار؟

جواب: عندما نقيم الصلاة في طرفي النهار فإن ذلك يتم في وضح النهار، أي بعد طلوع الشمس وقبل غروبها، فنحن لم نؤمر بإقامة الصلاة عند طلوع الشمس ولم نؤمر كذلك بإقامة الصلاة قبل الغروب، وجل ما يمكن أن نقوم به في هذين الوقتين هو التسبيح وليس إقامة الصلاة (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

ﱡﭐﭐالشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ). فما هي الصلوات التي نحن مأمورون بإقامتها في طرفي النهار ويكون وقتها بعد طلوع الشمس ولكن قبل غروبها (أي في طرفي النهار)؟

جواب: إنها صلاة الظهر (الطرف الأول) وصلاة العصر (الطرف الثاني)

وهنا يجب أن لا ننسى أنا نتحدث عن النهار (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ)، فالله يقول في كتابه الكريم عن النهار أنه مبصر:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾ [يونس: 67]
- ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ١٢﴾ [الإسراء: 12]
- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٨٦﴾ [النمل: 86]
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ [غافر: 61]

لأنه الليل يكون قد سلخ منه، ففيه تختفي الظلمة التي كانت متواجدة في الليل:

- ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ [يس: 37]

والنهار يكون فيه النشور:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ٤٧﴾ [الفرقان: 47]

وهو وقت جبل الرزق (أي المعاش):

- ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١﴾ [النبأ: 11]

نتيجة مهمة جداً: تكون وقت إقامة الصلاة طرفي النهار بعد أن يكون ظلام الليل قد انسلخ، وأصبح الوقت مبصراً، وانتشر الناس لجني أرزاقهم. لذا يستحيل أن يكون ذلك هو وقت صلاة الفجر أو المغرب أو العشاء، لذا يميل الظن عندنا إلى الاعتقاد اليقيني بأن ذلك هو وقت صلاة الظهر والعصر.

الصلاة	وقتها	الدليل
الصلاة الأولى	لدلوك الشمس	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ
الصلاة الثانية	طرف النهار1 (الظهر)	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الثالثة	طرف النهار2 (العصر)	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الرابعة	زلفاً من الليل	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الأخيرة	غسق الليل	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ

زلفاً من الليل

ما هي الصلاة التي أُمِر النبي بإقامتها زلفاً من الليل؟

لو تعرضنا للآيات الكريمة التي تتحدث عن مفردة "زلفاً" ومشتقاتها، لوجدنا الآيات الكريمة التالية:

- ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧﴾ [الملك: 27]
- ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦﴾ [الشعراء: 61-66]
- ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١﴾ [الشعراء: 90-91]
- ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣﴾ [التكوير: 12-13]
- ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ٣١﴾ [ق: 29-31]

وبعد تدبرها، استطعنا أن نخرج بالافتراءات التالية التي هي بلا شك من عند أنفسنا:

1. تدل مفردة "زلفا" على وجود رؤية:

- ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧﴾ [الملك: 27]

فأنت يمكن أن ترى شيئاً زلفة (فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ)، ولكن كيف تكون طبيعة تلك الرؤيا؟

2. تدل مفردة "زلفا" على وجود رؤية ولكنها رؤية مشوشة بسبب شيء ما:

- ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٦﴾ [الشعراء: 61-66]

فبعد أن كان الجمعان (أصحاب موسى مقابل فرعون وجنوده) قد تراءا وكانت الرؤيا لا شك واضحة لهما، حصل شيء ما شوش على وضوح تلك الروية، لقد أصبحت الرؤيا غير واضحة – نحن نفتري القول- بسب انفلاق البحر. فلو تدبرنا مفردة "فأزلفنا" في هذه الآية الكريمة لوجدنا أن ذلك الحدث قد حصل بعد أن انفلق البحر وليس قبل انفلاقه (فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ)، ولا شك أن ذلك الانفلاق للبحر قد سبب إشكالية في الرؤيا التي كانت حاصلة بين الطرفين.

1. تدل مفردة "زلفا" على القرب المكاني:

- ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾ [ق: 31]
- ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ۝٩١﴾ [الشعراء: 90-91]
- ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣﴾ [التكوير: 12-13]

2. بالرغم من القرب المكاني إلا أن مفردة "زلفا" لا تعني بأي شكل من الأشكال إلى أن ذلك القرب المكان قد وصل إلى درجة الالتصاق المكاني:

- ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزمر: 3]

فيستحيل مهما عظم القرب المكاني من الله أن يصل إلى درجة الالتصاق، فهناك الملائكة المقربون، ونحن نجهد بالعبادة ليكون لنا من ذلك نصيب:

- ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ۝٣٧﴾ [سبأ: 37]

ونحن هنا نتساءل عن السبب الذي من أجله كان لداوود وولده سليمان زلفى عند الله:

- ﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ۝٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ۝٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ۝٢٤

فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ [ص: 21-25]

- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: 34-40]

1. تدل مفردة "زلفا" على وجود عنصر السرعة والانقضاء على عجل:

- ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: 61-66]

فلا شك أن الأمر كله قد حصل على عجل، فما هي إلا لحظات حتى كان البحر قد ابتلع فرعون وجنوده.

2. تدل مفردة "زلفا" على عدم الوضوح التام:

- ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: 90-91]

فالجحيم عندما تكون بارزة لا شك فإنها لا تخفى منها خافية، مصداقاً لقوله تعالى:

- ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: 16]

ولكن الجنة في ذلك المقام لا تكون بارزة (كما الجحيم)، ولكنها تكون قد أزلفت، لذا لابد أن منها ما يخفى على الناظر.

3. الخ

نتيجة: ما هي الصلاة التي تكون الرؤيا في وقتها مشوشة، لا هي واضحة تماماً (بارزة) ولا هي مخفية، ولكنها مزلفة بين الحاليتين؟ وما هي الصلاة التي يمر وقتها سريعاً على عجل؟ وما هي الصلاة التي تكون قريبة من غيرها من الصلوات الأخرى ولكنها غير ملتصقة بغيرها؟ الخ.

جواب: إنها صلاة المغرب

لذا يصبح الجدول السابق على النحو التالي:

الصلاة	وقتها	الدليل
الصلاة الأولى	لدلوك الشمس	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ
الصلاة الثانية	طرف النهار1 (الظهر)	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الثالثة	طرف النهار2 (العصر)	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الرابعة	زلفاً من الليل (المغرب)	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الأخيرة	غسق الليل	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ

دلوك الشمس وغسق الليل

لو تدبرنا الآية الكريمة التي تتحدث عن إقامة الصلاة وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل لوجدناها مصاحبة لوقت الفجر:

- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78]

فالنص على صلاة الفجر وصلاة العشاء قد جاء عند الحديث عن العورات التي تكون من حق الإنسان أن يتمتع بالخصوصية فيها:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨﴾ [النور: 58]

لاحظ – عزيزي القارئ- الدقة المتناهية كيف أن الآية الكريمة لا تتحدث عن صلاة الظهر هنا ولكن عن وقت الظهيرة، فالصلوات المنصوص عليها هنا في هذه الآية الكريمة هي صلاة الفجر (صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ) وصلاة العشاء (صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ)، ولكن أوقات العورة هي (1) من قبل صلاة الفجر (مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ)، و (2) حين تضعون ثيابكم من الظهيرة (وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ) و (3) من بعد صلاة العشاء (وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ).

ولو دققنا فقط في أمر الصلاة، لأصبح الجدول السابق على النحو التالي:

لذا يصبح الجدول السابق على النحو التالي:

الصلاة	وقتها	الدليل
الصلاة الأولى	لدلوك الشمس (الفجر)	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ
الصلاة الثانية	طرف النهار1 (الظهر)	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الثالثة	طرف النهار2 (العصر)	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الرابعة	زلفاً من الليل (المغرب)	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ
الصلاة الأخيرة	غسق الليل (العشاء)	أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ

الصلاة الوسطى

جاء الأمر الإلهي بالمحافظة على الصلوات بشكل عام والصلاة الوسطى بشكل خاص في كتابه الكريم في الآية الكريمة التالية:

- ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: 238]

لاحظ أن الأمر قد جاء هنا بالمحافظة على الصلاة الوسطى وليس بإقامة الصلاة الوسطى، وهذا يعني أن الصلاة الوسطى هي واحدة من بين الصلوات الخمسة التي أمرنا بإقامتها. فلو جاء لنا هنا أمر بإقامة الصلاة الوسطى، لفهمنا أن الأمر بإقامة الصلاة قد جاء في ستة أوقات: الأوقات الخمسة السابقة يضاف إليها الصلاة الوسطى. ولكن لمّا كان الأمر هنا قد جاء بالمحافظة على الصلاة الوسطى بالإضافة إلى الصلوات الأخرى، كان لزاماً علينا أن نفهم أن هذه الصلاة هي واحدة من بين الصلوات الخمسة المأمورون نحن بإقامتها.

وهنا -لا شك- يعاد طرح السؤال الذي غالباً ما طرحه أهل العلم واختلفوا في الوصول إلى إجابة شافية له وهو: ما هي الصلاة الوسطى؟

رأي من سبقونا: كانت معظم أراء أهل العلم تدور حول الظن بأن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، وظن قليل من أهل العلم أنها صلاة الفجر، والقليل القليل من ظن بخلاف ذلك.

رأينا: نحن إذ نرى أن أهل العلم لم يصلوا إلى إجابة شافية لهذا السؤال، فإننا لا نجد بداً من مخالفتهم الرأي لطرح ما أذن الله لنا به من علم في هذا المجال، لنفترى القول بأن الصلاة الوسطى التي طلب الله منا المحافظة عليها في هذه الآية الكريمة هي صلاة المغرب. ولكن لماذا؟

ما معنى الوسطى؟

نحن نظن أن الوسط عادة ما يكون بين شيئين أو بين نقطتين:

- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ
مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ
إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٨٩﴾ [المائدة: 89]

وحتى يكون هناك وسط في الأعداد، لا بد أن يكون الرقم (العدد) فردي، فالوسط في ثلاثة أشياء هو ثانيهما (أي رقم 2) كما في الشكل التالي:

1 2 3

والوسط في خمسة أشياء هو الرقم 3 كما في الشكل التالي:

1 2 **3** 4 5

ولكن ليس هناك وسط في أربعة أو ستة أرقام مثلاً:

1 2 3 4

1 2 3 4 5 6

كم كان عدد أصحاب الجنة؟

- ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ١٩
فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ٢١ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ٢٢ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ٢٣ أَن لَّا
يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ٢٤ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٢٧ قَالَ أَوْسَطُهُمْ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ٣٠ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا
طَٰغِينَ ٣١ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ٣٢﴾ [القلم: 17-32]

جواب: نحن نظن أن عددهم كان خمسة أخوة، ولكن لماذا؟

نحن نظن أن كلمة أوسطهم ربما تحل الإشكالية برمتها، ولنبدأ بالافتراض البسيط وهو أنهم عدد من الأخوة بينهم الأخ الأوسط الذي نصحهم فلم ينتبهوا لنصيحته، لذا لابد أن يكون عددهم فردي حتى يصبح هناك أوسطهم، فلو كانوا اثنين أو أربعة أو ستة فلن يكون هناك من يعتبر هو أوسطهم، لذا لنبدأ تفقد عددهم على أنه فردي (1، 3، 5، 7، ألخ).

⇐ نحن نستبعد أن يكون عددهم واحد لأنهم ببساطة مجموعة

⇐ ونستبعد كذلك أن يكون عددهم ثلاثة، وذلك لسبب بسيط وهو أنه لو كان عددهم ثلاثة لكان رقم (2) هو أوسطهم، وعندما يخرج

ذلك الشخص نفسه عنهم وهو الذي نصحهم:

- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [القلم: 28]

لبقي في المحصلة اثنان فقط، ولجاء الخطاب بعد ذلك على صيغة المثني أي لكان الخطاب على نحو "قالا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين"، ولكن المتابع للسياق القرآني يجد أن الخطاب استمر على صيغة الجمع حتى بعد خروج أوسطهم منه:

- ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [القلم: 29-30]

نتيجة مفتراة: نحن نفتري القول أن عددهم كان على أقل تقدير خمسة.

عودة على بدأ:

بناء على ذلك، فيمكننا أن نطرح السؤال على النحو التالي: ما هي الصلاة الوسطى بين الصلوات الخمسة؟

جواب: نحن نظن أنه لا بد من وجود ترتيب محدد يبين من خلاله الصلاة التي تحتل المرتبة الثالثة (لتكون مسبوقة بصلاتين ومتبوعة بصلاتين)، ويكاد الإعتقاد يميل إلى اليقين عندنا أن الترتيب هو على النحو التالي:

الظهر العصر **المغرب** العشاء الفجر

فتكون صلاة المغرب هي الصلاة الثالثة (الوسطى) ولكن لماذا؟

الدليل

لابد من التنبيه إلى أمرين أثنين وهما:

1. أن هذه الصلاة هي صلاة وسطى و
2. نحن مأمورون بالمحافظة عليها

لذا علينا أن نستجلي معنى الوسطية ومعنى المحافظة عليها في النص القرآني. ولنبدأ بالوسطية.

الوسطية: تتمثل وسطية هذه الصلاة على أقل تقدير في أمرين وهما وقتها وعدد ركعاتها، ولكن كيف؟

أولاً، مادام أن الوسطى تقع بين شيئين، فصلاة المغرب هي الصلاة التي تقع بين الليل والنهار، فهناك صلاتان تقامان في الليل وهما الفجر (دلوك الشمس) والعشاء (غسق الليل):

- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ... ﴾ [الإسراء: 78]

لاحظ كيف أننا لازلنا نقوم بتلك الصلوات بالطريقة الجهرية

وهناك صلاتان بالمقابل تقامان في وضح النهار وهما الظهر (طرف النهار1) والعصر (طرف النهار2):

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ... ﴾ [هود: 114]

ولكننا بالمقابل نقوم صلاتي طرف النهار (الظهر والعصر) بطريقة غير جهرية

فتكون الصلاة الواقعة في "زلفاً من الليل" (وليس في الليل ولا في النهار) هي الصلاة التي تتوسط تلك السلسة.

- ﴿... وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ... ﴾ [هود: 114]

ثانياً، لو أخذنا عدد ركعات كل صلاة، لوجدنا أن أكثر صلاة تكون أربع ركعات، وأقل صلاة تكون ركعتين (الفجر)، فالتوسط بينهما هي الصلاة التي يجب أن يكون عدد ركعاتها بين الأثنين والأربعة، وهي بلا شك صلاة المغرب بركعاتها الثلاث، فمراد القول أن وسطية صلاة المغرب لا تكمن فقط في وقتها (بين الليل والنهار) وإنما أيضاً في عدد ركعاتها (بين الأربع والأثنين).

المحافظة عليها

طلب منا في الآية الكريمة نفسها أن نحافظ على تلك الصلاة بشكل خاص، فكيف تتم المحافظة عليها؟

أولاً، لو تدبرنا الصلوات لوجدنا أن كثيراً منها يمكن أن تقصر في أوقات الضرورة:

- ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء: 101]
- ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النساء: 102]

ولو تدبرنا فكرة قصر الصلاة، لوجدنا أنها اختصار لركعات الصلاة الأربعة لتصبح أثنتين، في مثل هذه الضروف الاستثنائية يصبح عدد ركعات جميع الصلوات (باستثناء المغرب) ركعتان، فالصبح يصلى ركعتان والظهر ركعتان والعصر ركعتان والعشاء ركعتان، ولكن تبقى صلاة المغرب قائمة بكعاتها الثلاث لا يمكن أن تقصر في أي حال من الأحوال، وهذا بلا شك هو نوع من المحافظة عليها لأهميتها.

ثانياً، تكمن المحافظة على هذه الصلاة في جانب آخر يتعلق بوقت جمع الصلوات في الحالات الاضطرارية كالمطر والسفر والخوف ونحوها. ففي حالة جمع الصلوات (كما لا يمكن تقصير صلاة المغرب) فإنه لا يمكن أن تجمع مع غيرها في غير وقتها، فيمكن أن يتقدم العصر ليتم إقامته مع الظهر ويمكن أن يتقدم العشاء ليقام مع المغرب، ولكن لا يجب أن تجمع صلاة المغرب مع صلاة أخرى في غير وقت المغرب. وهذا عندنا بلا شك جانب آخر من جوانب المحافظة عليها.

نتيجة: لو أخذنا هذه الجوانب السابقة جميعاً من حيث التوسط والمحافظة لربما لا نجد صلاة أخرى تتمتع بهذه الميزات كصلاة المغرب وذلك لأهمية هذه الصلاة على وجه التحديد: إنها الصلاة التي تقع في الوقت الذي ينقلب فيه الليل والنهار، وتمحو به السيئات:

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾
[هود: 114]

هذا والله أعلم.

أسأل الله أن يعلمنا قول الحق الذي يرضاه فلا نفتري عليه الكذب إنه هو السميع المجيب

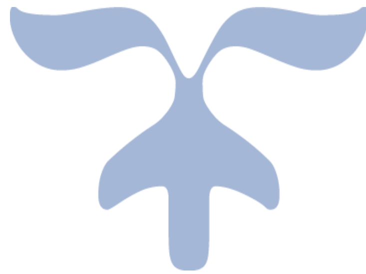
وللحديث بقية

المدكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: د. رشيد الجراح، مركز اللغات، جامعة اليرموك، الأردن
على بريده الإلكتروني التالي:rsaljarrah@yahoo.com



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟

الجزء الثاني



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟ – الجزء الثاني

تحذير

أرجو جلب انتباه الجميع بأننا ربما نتجرأ في هذا الجزء من المقالة على تقديم افتراءات نظن أنها فعلا غير مسبوقة، كما نعتقد جازمين بأنها من الخطورة التي ربما تغير كثيرا من مفاهيم العقيدة الدارجة التي ألفيناه من عند آبائنا، لذا يجب النظر إلى ما نطرح بعين المتفحص المتدبر وليس بعقلية الناقل المقلد. كما نطلب من الجميع أن يتفهموا أننا نطرح أفكارا أولية للتدبر وليس عقائد نهائية للتطبيق، فتبقى منتظرة الدليل الذي لا يرقى إليه الشك ليثبتها (أو لينفيها). وفي هذا المقام، فإننا نقول لمن أراد أن يأخذ ما نقول من باب العقائد بأن يتحمل فعلا المسئولية الكاملة عنها أمام الله، فنحن نتبرأ منه مما صنعت أيدينا ما لم يكن صحيحا، فلا يظنن أحد أنه يستطيع أن يلقي باللائمة علينا حينئذ، لأننا لسنا مسئولين عن عقائد الناس مادام أننا (كبشر) نعترف بملء الفيه بأننا قد نقع في الغلط. ونؤمن يقينا بأنه لن يخلصنا من سوء ما سولت لنا به أنفسنا ومن سوء ما صنعت أيدينا إلا أن ندعو الله وحده مخلصين له الدين أن لا نكون ممن يفترون عليه الكذب أو ممن يقولون عليه ما ليس لهم بحق. فملخص عقيدتنا هو على النحو التالي: إن نحن أصبنا، فهذا خير أصابنا به الله، وإن نحن أخطأنا، فهذا من ظلمنا لأنفسنا. فالله وحده ندعوه مخلصين له الدين أن لا نكون ممن يحملون ظلما، إنه هو السميع البصير – آمين.

أما بعد،

سنتابع في هذا لجزء الثاني من المقالة بقية القضايا التي نظن أن لها علاقة بفقه الصلاة كما يمكن لنا أن نستنبطها من كتاب الله عن شعائر وطقوس هذه العبادة العظيمة. فقد كان الهدف منصبا في الجزء السابق على استنباط أوقات الصلاة الخمسة من القرآن الكريم (للتفصيل انظر الجزء السابق) .

وسنتابع في هذا الجزء وفي الأجزاء القادمة بقية ما نظن أنه له علاقة مباشرة بهذه العبادة من مثل:

1. الوضوء للصلاة
2. التفريق بين ما يسمى بالفرض والسنة
3. عدد الركعات
4. الأقوال والحركات في الصلاة
5. توقيت الصلاة
6. علاقة الصلاة بالعبادات الأخرى وخاصة الزكاة
7. الخ

أما بعد،

دعنا نبدأ النقاش هنا بالآية الكريمة التالية:

- ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء: 162]

لنطرح على الفور التساؤل التالي: لماذا جاءت عبارة " وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ" منصوبة ومعطوفة على عبارات " لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ " قبلها وعبارات " وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ " بعدها التي وردت جميعها مرفوعة؟

جواب مفترى: نحن نفتري الظن (كما أسلفنا في مقالات سابقة لنا) بأن الفرق بين الرفع والنصب يتمثل في وجود الإرادة الحرة للفرد أو عدم وجودها، فإذا ما كان الشخص يقوم بالعمل بمحض إرادة منه، لا يضطره إلى فعل ذلك أحد من الناس من حوله، فذاك يتطلب الرفع، وأما إذا كان الشخص يقوم بالفعل دون إرادة منه، مدفوعا لها من قبل غيره، فإن النصب هو الأولى. وهذا بالضبط ما تعرضنا له عندما حاولنا للتفريق بين حركة الرفع والنصب التي ترد في هذه الآيات الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [البقرة: 62]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾ [الحج: 17]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ [المائدة: 69]

فظننا أن الفرق بين "المؤمنون" من جهة و"المؤمنين" من جهة أخرى هو الفرق بين من آمن من تلقاء نفسه كأبي بكر وعمر مثلا مقابل من وجد نفسه مؤمنا من مثلي ومثلك نتيجة ما ألفى عليه آباءه. فأبو بكر وعمر هم مؤمنون لأنهم اختاروا الإيمان من تلقاء أنفسهم عندما وجدوا أنفسهم يعيشون في مجتمع غير مؤمن، بينما ربما أكون أنا وأنت مؤمنين لأننا وجدنا أنفسنا في مجتمع مؤمن، فنحن إذا لم نخيّر في هذه القضية على وجه التحديد حتى نتخذ قرارا في ذلك من تلقاء أنفسنا.

وينطبق مثل هذا المنطق المفترى من عند أنفسنا على مفردات أخرى من مثل "كظيم" و "مكظوم"، ففي حين أن من كان كظيما (كيعقوب) فهو مسلوب الإرادة والتصرف:

- ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسف: 84]

بينما من كان مكظوما (كيونس) فهو من كان كذلك بمحض إرادة حرة منه:

- ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨﴾ [القلم: 48]

للتفصيل انظر مقالتنا قصة يونس – الجزء الثامن

وللتفصيل أكثر في هذا الموضوع، دعنا ندقق في الفرق اللغوي الظاهر بالرفع والنصب لمفردة (وَالصَّابِؤُونَ وَالصَّابِئِينَ) في الآيات الكريمة نفسها التالية:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٩﴾ [المائدة: 69]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة: 62]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ [الحج: 17]

فبالرغم أن المفردة نفسها قد جاءت كـ اسم إنَّ المشددة (كما يرغب النحويون أن يميّزوها عن غيرها) في الحالتين، إلا أنها وردت منصوبة في الآيتين الكريمتين التاليتين:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة: 62]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ [الحج: 17]

بينما جاءت مرفوعة في الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٩﴾ [المائدة: 69]

وكان الافتراء الخطير الذي طالما حاولنا الترويج له يتلخص بدعوتنا إلى طرح جملة القواعد التقليدية التي وضعها الآباء والأجداد جانبا عند التعرض للتراكيب القرآنية، لأن تلك القواعد هي - برأينا ربما المغلوط - عبء على النص القرآني. لذا ظننا أن النص القرآني ليس بكتاب قواعد من صناعة البشر، ولا يجوز بأي حال من الأحوال (نحن نظن) إخضاع النص القرآني للقواعد التي هي من صناعة البشر، ومن ثم محاكمته بناء عليها. فالنص القرآني صناعة إلهية تخلو من العيب:

- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾ [الكهف: 1]

بينما القواعد اللغوية ليست أكثر من صناعة بشرية ما أنزل الله بها من سلطان، تندرج في باب المجادلة:

- ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ [الأعراف: 71]

ليكون السؤال المبدئي هنا هو: لماذا جاء اسم إنَّ المشددة مرفوعا في هذه الحالة (وَالصَّابِؤُونَ) مقابل أنه قد جاء منصوبا في الحالات المتطابقة تركيبيا الأخرى (وَالصَّابِئِينَ)؟ أو بكلمات أخرى نحن نسأل: ما دلالة هذا الاختلاف (وَالصَّابِؤُونَ مقابل وَالصَّابِئِينَ) في هذه الآيات الكريمة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الفرق بين الرفع والنصب تكمن في حالة الموصوف، فهم تارة صابِؤُون وهم تارة أخرى صابِئِين.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا: نحن نفتري القول مبدئيا أن هناك الصَّابِؤُونَ وهناك الصَّابِئِينَ، لذا نحن نظن أن هناك نوعان من الذين صبأ- وا:

⇐ فهناك من صبأ اختيارا من تلقاء نفسه
⇐ وهناك من صبأ إتباعا لما ألفى عليه آباءه

والمنطق نفسه ينطبق (نحن نظن) على الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى. فهناك من آمن بقرار شخصي وهناك من آمن بقرار غير شخصي، وكذلك هناك من هاد بقرار شخصي وهناك من هاد (أي أصبح من الذين هادوا) بقرار غير شخصي، وهناك من تنصّر (أي أصبح من النصارى) بقرار شخصي وهناك من تنصّر بقرار غير شخصي.

ولتوضيح الفكرة أكثر، دعنا نطلب من القارئ الكريم أن يتخيل - مثلا- الفرق بين إيمان أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من صحابة الرسول الكريم مقابل إيماننا نحن من وجدنا أنفسنا مؤمنين دون قرار فعلّي من تلقاء أنفسنا. ليكون السؤال هو: ما الفرق بين إيمان أبي بكر وإيماني أنا مثلا؟

رأينا: نحن نظن أن أبا بكر قد آمن بمحض اختيار تام من تلقاء نفسه، فهو من اختار طواعية ترك دين آباءه وأجداده وآثر أن يتّبع الرسول الذي بعثه الله فيهم، فهو إذن من طرح دين آباءه وأجداده وراء ظهره، وهو من اتخذ بنفسه القرار الجريء باللحاق بهذا الدين الجديد. لكن – بالمقابل- لم يكن إيماني (أنا) بنفس الطريقة والمنهج. فما آمنت أنا (بذاك الرسول الذي بعث فينا) إلاّ لأني وجدت آبائي من هذه

الأمة. وفي نهاية المطاف كنا جميعا (أبو بكر وأنا وأنت) من الذين آمنوا. لكن هل نحن متساوون في الإيمان؟! من يدري؟!!

رأينا المفترى من عند أنفسنا 1: نحن نظن أن أبا بكر هو من الذين آمنوا، أي المؤمنون (حالة الرفع)

رأينا المفترى من عند أنفسنا 2: نحن نظن أن أنا وأنت من الذين آمنوا، أي المؤمنين (حالة النصب)

والمنطق نفسه ينطبق على إيمان الحواريين مقابل إيمان من جاء بعدهم من النصارى. فالحواريون هم من اتخذ القرار بنصرة الله وإتباع المسيح عيسى بن مريم:

- ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران: 52]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾ [الصف: 14]

لكن - بالمقابل - تنصّر من جاء بعدهم فقط لأنهم وجدوا آباءهم على تلك الأمة (النصرانية)، وهكذا.

لتكون النتيجة التي نحاول جاهدين أن نصل إليها هي على النحو التالي: من اتخذ قراره بنفسه فهو يتمتع بحالة الفاعل المبادر بالفعل، أي الرفع: الصَّابِؤُونَ، وهو ما يسمى باللسان الأعجمي (the agent or the doer of the action)، أما من وجد نفسه تابعا من سبقه في قراره فهو يتمتع بحالة المفعول أو الفاعل غير المبادر من تلقاء نفسه، أي المتلقي للفعل أو ما يسمى باللسان الأعجمي بـ (the recipient of the action)، لذا فهو يحمل علامة النصب: الصَّابِئِينَ .

والآن دعنا نعود إلى الآيات الكريمة السابقة لنرى تداعيات هذا الفهم المفترى من عند أنفسنا وكيف يمكن أن يختلف الفهم لكل حالة من الحالات الإعرابية (كالرفع أو النصب)، ولنبدأ بحالة الرفع في الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٩﴾ [المائدة: 69]

افتراء خطير جدا: نحن نفتري الظن بأن هذه الآية الكريمة تتحدث عن أولئك الفئة من الناس الذين اتخذوا قرارهم بأن يكونوا من "الذين آمنوا أو الذين هادوا أو النصارى أو الصابئون" بأنفسهم، فهم اللذين

التحقوا بالركب ولم يكونوا أصلا كذلك من ذي قبل، وبكلمات أكثر دقة نحن نفتري الظن أنهم هم الذين بادروا بفعل الإيمان بقرار شخصي منهم. فالذين آمنوا (في هذه الآية الكريمة) لم يكونوا مؤمنين أصلا ثم ما لبثوا أن تحولوا إلى الإيمان بقرار من أنفسهم (كأبي بكر وعمر وعلي وغيرهم من أصحاب محمد)، وكذلك هي الحال – برأينا- للذين هادوا، وكذلك النصارى (كالحواريين)، وكذلك (نحن نفتري القول) كان الصابئون.

أما الآيات الكريمة التالية التي جاءت بحالة النصب:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة: 62]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ [الحج: 17]

فهي تتحدث – برأينا- عن الذين آمنوا لأنهم وجدوا آباءهم قد التحقوا بركب الإيمان (من مثلنا)، فما كان إيمانهم نتاج قرار خالص من أنفسهم، وكذلك هم – برأينا- الذين هادوا وكذلك الصَّابِئِينَ، وكذلك النصارى .

ولو حاولنا تدبّر القرآن الكريم، لوجدنا فيه عشرات (بل مئات) الأمثلة على مثل ذلك الاختلاف الظاهري الذي يحمل في ثناياه برأينا معاني ودلالات عظيمة. ولتوضيح الفكرة لأهميتها من الناحية التطبيقية، فإننا سنجلب المثال المثير التالي الذي (نحن نظن) يمكن أن ينطبق عليه المنطق نفسه، فهناك اختلاف ظاهر (يستحيل التحايل عليه) في الآية الكريمة التالية:

- ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ۝١٦٢﴾ [النساء: 162]

فلو راقبنا العطف في هذه الآية الكريمة جيدا، لوجدنا على الفور أن حالة الرفع هي المسيطرة على المعطوف والمعطوف عليه باستثناء حالة واحدة وهي (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ)، فبالرغم أن كل ما سبقها كان مرفوعا (لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ) وأن كل ما لحقها كان مرفوعا أيضا (وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ) بقيت هي بنفسها منصوبة متوسطة ذلك السياق القرآني (وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ) .

السؤال: لماذا جاءت حالة (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ) منصوبة في وسط الحالات المرفوعة كما هو واضح من صريح اللفظ القرآني؟

- ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ۝١٦٢﴾ [النساء: 162]

رأينا المفترى: بداية، نحن نظن أن الرسوخ بالعلم لا يتم إلا بقرار من الشخص نفسه، وكذلك هو الأيمان، وكذلك إيتاء الزكاة. لكن إقامة الصلاة – على وجه التحديد- قد لا تكون بقرار محض من الشخص نفسه. فمن المفروض على الشخص أن يقيم الصلاة شاء ذلك أم أبى، فأنت لا تستطيع (كمسلم) أن لا تقيم الصلاة لأن الصلاة - كما نص عليها القرآن- كانت على المؤمنين كتابا موقوتا:

- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: 103]

السؤال: كيف كانت الصلاة على المؤمنين كتابا موقوتا؟ وما علاقة هذا بالحركة الإعرابية لمفردة وَٱلْمُقِيمِينَ في عبارة "وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ" التي نحاول أن نجد لها تخريجا (نظن أنه) منطقيا هنا؟

رأينا المفترى: نحن نؤمن أن كل شخص مطلوب منه إقامة الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، أليس كذلك؟ ولكن هناك أمر يدعو للحيرة في هذا الفعل وهو أن الشارع الكريم قد طلب منا إظهار فعل إقامة الصلاة على الملأ. فلو تأملنا هذه العبادة على وجه التحديد جيدا، لوجدنا على الفور أنها فعل تعبدي مطلوب منا أن نبديه على الملأ، ليرى ذلك كل من حولنا بأم أعينهم. فإبداء الصلاة (على وجه التحديد) خير من إخفائها على عكس جميع الأعمال التعبدية الأخرى. فصلاة الرجل في المسجد مثلا خير من صلاته في بيته، وصلاة الرجل في المسجد الجامع خير له من صلاته في مصلى حارته، وصلاة الرجل في المسجد الأقصى خير من صلاة الرجل في مسجد مدينته، وصلاة الرجل في المسجد النبوي خير له من صلاته في مساجد بلده كلها، وصلاة الرجل في المسجد الحرام خير له من صلاته في أي مكان آخر على وجه الأرض.

السؤال: لماذا؟

جواب مفترى: نحن نظن أن ذلك يكمن في كثرة الشهود وتنوعهم. فكلما كان الشهود على صلاتك أكثر، كلما كان أفضل، وكلما تنوع الشهود، كان الأجر أكبر. فأكبر تجمع على الأرض وأكبر تنوع في المجتمعين من المؤمنين يكون في البيت الحرام، لذا فإن الصلاة فيه لا تساويها صلاة في غيره. لذا نحن نتجرأ على تقديم الافتراء التالي: أن الأجر في الصلاة مرتبط بعدد وبنوعية الشاهدين عليها.

كما لا يفوتنا التنبيه هنا إلى أن هذا الظن (ربما) هو ما يجعل الصلاة – على وجه التحديد- كبيرة إلا على الخاشعين، كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: 45]

ليكون السؤال المطروح على الفور هو: لماذا تكون الصلاة كبيرة إلا على الخاشعين؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الجواب يكمن في الآية الكريمة التالية:

- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: 103]

السؤال مرة أخرى: لماذا الصلاة - على وجه التحديد- كبيرة إلا على الخاشعين؟ أليست هي دقائق معدودة؟ هل الصلاة أكبر من الزكاة أو من الصوم أو الحج، وهكذا؟

جواب مفترى: نعم، هي أكبر من ذلك كله، لأن الصلاة هي كتاب موقوت. انتهى.

السؤال: كيف يمكن فهم ذلك؟

رأينا: لما كان فعل الصلاة يجب أن يبدى للجميع، فإن من الأفضل أن يُصلي الإنسان أمام الناس، وكلما كان الجمع أكبر (كما زعمنا) كان الأجر أعظم، وذلك لأن الشهود أكثر.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: لأن الإنسان يستطيع أن يخدع كل من حوله بهذه الأعمال كمّا ونوعا. فأنت لا تستطيع أن تتحقق بأن الشخص (أي شخص) قد قام بإيتاء الزكاة بالكمية المترتبة عليه فعلا، فذاك فعل متروك لضمائر العباد أنفسهم. أما في حالة الصلاة فإنها (نحن نظن) بمثابة الإقامة الجبرية المفروضة على الإنسان. فأنت مطلوب منك أن تحضر بنفسك لتوقع على السجل خمس مرات في اليوم والليلة، لا بل مطلوب منك أن تسلّم كتابك بنفسك خمس مرات في اليوم والليلة (إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا). فالمحافظ على الصلاة مطلوب منه أداءها في أوقات محددة من اليوم والليلة لا يستطيع أن يترك شيئا منها .

إن الصلاة هي العبادة الوحيدة التي جاء وصفها في كتاب الله على أنها كبيرة:

- ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: 45]

وفهمنا ذلك على النحو التالي: جاء وصف الصلاة (من دون العبادات جميعا) على أنها كبيرة بالرغم أنها (ربما) لا تتطلب وقتا وجهدا لإنجازها، وذلك لأنها مرتبطة (نحن نفتري القول) بزمن محدد (كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا). فالعمل (أي عمل) لا يعتبر – برأينا- كبيرا إلا إذا ما كان إنجازه يتطلب الالتزام بمواعيد محددة وثابتة. فلو أنت عملت في وظيفة محددة، ولو أنه طلب منك إنجاز عمل محدد، فإن تلك الوظيفة وأن ذلك العمل لا يكون كبيرا بالنسبة لك إلاّ إذا كان يتطلب منك القيام به الحضور والمغادرة في أوقات ثابتة محددة. فمهما كان العمل شاقا، لا يكون كبيرا إذا كان الشخص يستطيع القيام به متى شاء، ولكنه يصبح كبيرا إذا تحدد القيام بذلك العمل في وقت محدد (كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا) .

مثال: تخيل أنك محكوم عليك بالإقامة الجبرية في مركز أمني، ألا يتوجب عليك الحضور في أوقات محددة للتوقيع وإثبات وجودك؟ ألا يطلب من المحكوم عليه بالإقامة الجبرية أن يثبت وجوده في المركز الأمني في الصباح والمساء مثلا؟ فكم من الوقت تحتاج لإثبات وجودك في المركز الأمني؟ ألا تستطيع القيام بذلك بوقت قصير (ربما ليس أكثر من بضعة دقائق للتوقيع ثم الانصراف في الحال)؟ لكن، ألا يجد الإنسان مشقة في ذلك؟ ألا يكون هذا العمل كبيرا بالنسبة له بالرغم أنه لا يتطلب الوقت والجهد الكبيرين؟

جواب: نعم، هو كذلك، لأنك مضطر أن تتفرغ لهذا العمل بالرغم عن المعيقات جميعا. فمهما كان الظرف الذي تمر به، ومهما كان الشاغل الذي قد يحجزك، إلا أنه وجب عليك أن تترك كل الأعمال الأخرى للحضور للمركز الأمني لبضع دقائق معدودة من أجل إثبات وجودك. فتصبح الدنيا كلها (على اتساعها) ويكأنها سجن مفتوح بالنسبة لك.

السؤال: لماذا؟ وما علاقة هذا بالصلاة التي هي فعلا كبيرة (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ)؟

جواب مفترى: لمّا كانت الصلاة مفروضة على المؤمنين في أوقات محددة، وجب الالتزام بها في هذه الأوقات على وجه التحديد، فتصبح هذه العبادة على وجه التحديد كبيرة، لأنها تتطلب منك التفرغ لها في هذه الأوقات المحددة مهما كان الشاغل الذي قد يحجزك عنها حينئذ. فلو أنت كنت في وسط القيام بأي عمل، وحان وقت الصلاة، وجب عليك أن تترك كل شيء لتتفرغ للصلاة في وقتها .

السؤال: لماذا؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الصلاة (كعبادة) هي بمثابة الإقامة الجبرية المفروضة (من السماء) على الإنسان المؤمن في هذه الحياة الدنيا .

السؤال: ما الذي سيحصل لو أنك لم تُقِم الصلاة في وقتها؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نتخيل بأن الذي يحصل في هذه الحالة مشابه تماما لما قد يحصل لو أن الشخص المحكوم عليه بالإقامة الجبرية قد تخلف عن الحضور إلى المركز الأمني للتوقيع في الوقت المحدد له .

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نعلم بأنه لو تخلف الشخص المحكوم عليه بالإقامة الجبرية عن الحضور للمركز الأمني لمرة واحدة لإثبات وجوده في الوقت المحدد له، لربما عرّض نفسه للعقوبة، ولو تكرر غيابه أكثر من مرة، لدُقت أجهزة الإنذار التي تطالب بجلبه على الفور مهما كان السبب الذي منعه عن الحضور.

فبالرغم أن الفعل قد لا يتطلب أكثر من دقائق معدودة إلاّ أن الشخص يتضايق ويتثاقل من ذلك كثيرا، لأنها تصبح مقيّدة لحيرته الشخصية .

وكذلك هي الصلاة، تصبح كبيرة إلا على الخاشعين، لأنها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، أي محددة بوقت معين، لذا تصبح الصلاة (بهذا المفهوم المفترى من عند أنفسنا) عبئا ثقيلا، فكانت فعلا كبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون. فلا يستطيع الإنسان أن يترك كل ما بيده على الفور (مهما كان الفعل الذي يقوم به في وقت الصلاة) ويتفرغ كليا لأداء الصلاة في وقتها (خمس مرات في اليوم والليلة) إلا إذا كان من الخاشعين:

- ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [البقرة: 45]

نتيجة مفتراة 1: كلما أُظهرت الصلاة أكثر (كالصلاة في المسجد مثلا)، كان الأجر (نحن نظن) أكبر

نتيجة مفتراة 2: كلما أخفيت الأعمال الأخرى (كالصدقة والإيمان وغيرها) كان الأجر (نحن نظن) أكبر.

فإخفاء الصدقات خير من إبدائها بصريح اللفظ القرآني:

- ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ٢٧١﴾ [البقرة: 271]

لذا، تنقسم جميع الأعمال التي يقوم بها المؤمن إلى قسمين :

⇐ قسم يستحسن فيه الإظهار وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (كما سنرى لاحقا بحول الله وتوفيق منه)

⇐ وقسم آخر يفضل فيه الإخفاء وهي جميع الأعمال التعبدية الأخرى

فلا يستطيع أحد أن يقرر أنك صائم أو أنك لست صائما (حتى في شهر رمضان) إلا أنت. فيكفي أن تشهد لنفسك بالصيام وذلك لأن الصيام مرتبط بالتقوى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: 183]

وهكذا هي الصدقات:

- ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ٢٧١﴾ [البقرة: 271]

فإخفاء الصدقات خير من إظهارها. وكذلك هو مقدار الزكاة، فلا أحد يستطيع أن يقرر مقدار الزكاة التي يتوجب عليك إخراجها من مالك إلاّ أنت بنفسك، وذلك لأنه لا أحد يعلم مقدار ما لديك من ثروة مستحق الزكاة فيها إلا أنت نفسك. لذا تستطيع أن تتحايل كما تشاء. وهكذا هو الإيمان، فقد تظهر لمن حولك من الإيمان ما تشاء، لكن الله وحده هو من يعرف حقيقة ما أظهرت وما أخفيت من إيمان:

- ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء: 25]

وكذلك هي كل الشعائر الأخرى، فعلمها عند الله وعند الشخص نفسه الذي يقوم بها:

- ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [البقرة: 270]

أما الصلاة، فالأمر فيها مختلف بشكل جذري، فأنت لا تستطيع أن تتحايل في تأديتها لأن الشهود عليك من حولك كثيرون:

- ﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء: 162]

فالإنسان مجبور على فعل إقامة الصلاة حتى وإن كان غير راغب فيها، لذا مطلوب منه (لا بل مفروض عليه) أن يصلي شاء أو أبى، وإن ظهر لمن حوله أنه تارك للصلاة (حتى وإن كان غير راغب بها) لزم على كل من حوله أن يسأله وأن يحاسبه عليها. وهذا لا ينطبق في حالة الأفعال التعبدية الأخرى التي من المفترض بالمؤمن أن يؤديها. فحتى فريضة الحج فهي ملزمة فقط لمن استطاع إلى ذلك سبيلا:

- ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: 97]

لكن يبقى السؤال قائما: من يملك أن يقرر أنك تستطيع الحج أو لا تستطيعه؟ ألست أنت وحدك؟ لذا يستطيع من كان غير راغب في الحج أن يتعذر بعدم الاستطاعة، وحينها لا يكون لأحد الحق أن يتدخل بالأمر مادام أن الشخص نفسه قد قرر بنفسه عدم استطاعته الحج .

لتكون النتيجة الخطيرة المفتراة من عند أنفسنا على النحو التالي:
الذي يرسخ بالعلم لا يمكن أن يرسخ فيه وهو غير راغب به (لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ)، مرفوعة
الذي يؤمن بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله لا يمكن أن يؤمن وهو غير راغب في ذلك (وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ)، مرفوعة
الذي يؤتي الزكاة لا يمكن أن يؤتيها وهو غير راغب في ذلك (وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)، مرفوعة
الذي يؤمن بالله واليوم الآخر لا يمكن أن يؤمن وهو غير راغب في ذلك (وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)، مرفوعة
لكن، الذي يقيم الصلاة قد يقيمها وهو غير راغب فيها، مجبور عليها (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ)، منصوبة

والآن لاحظ – عزيزي القارئ- كيف اختلفت الحركة الإعرابية للمقيمين الصلاة – على وجه التحديد- في الآية الكريمة قيد الدراسة:

- ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء: 162]

نتيجة مفتراة 1: لمّا كانت الصلاة على المؤمنين كتابا موقوتا، وجب على كل مسلم أن يؤديها في وقتها شاء أم أبى، وللتأكد من ذلك فقد طلب الشارع الكريم منه أن يظهرها ليكون الناس من حوله شهداء عليه بأم أعينهم، لذا كان عليه أن يؤديها في وقتها حتى وإن كان غير راغب في ذلك .

نتيجة مفتراة 2: لمّا كانت الأعمال الأخرى مفضل فيها الإخفاء، فإن المراقب الفعلي للإنسان على القيام بها (بعد الله) هو الإنسان نفسه، لذا ليس لأحد الحق أن يراقبه فيها أو أن يشكك في قيام الشخص بها أو عدم قيامه بها. فالإنسان نفسه هو المسئول الوحيد عنها مادام أن إخفائها (كالصدقات) أفضل من إظهارها، ومادام أن التعذر عن القيام بها (كالحج مثلا) منوط بالشخص نفسه.

نتيجة مفتراة خطيرة جدا: نحن نظن أن معظم الأعمال (باستثناء الصلاة) مفضل فيها الإخفاء، أما الصلاة فمن الأفضل إظهارها، فتصبح ملزمة للجميع ليكون الجميع شهداء على بعضهم البعض في هذه الجزئية بالذات.

سؤال ربما يدعو للحيرة: إذا كانت عبارة "وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ" قد وردت في هذه الآية الكريمة بهذه الصيغة، فهل وردت العبارة نفسها في النص القرآني على مساحته بصيغة الرفع "المقيمون للصلاة" في مواطن أخرى؟

جواب: نحن لم نجدها؟

السؤال: لماذا؟

رأينا: لأن إقامة الصلاة إجبارية، شاء من شاء وأبى من أبى. فذاك أمر غير مرتبط بإرادة الشخص لأنه مطلوب منه إقامة الصلاة حتى وإن كان غير راغب في ذلك

سؤال ربما يدعو للحيرة: إذا كانت عبارة وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ قد وردت في النص القرآني بصيغة الرفع، فهل نجدها في مواطن أخرى بصيغة النصب (المؤتين الزكاة)؟

جواب: نحن لم نجدها.

السؤال: لماذا؟

رأينا: لأن إيتاء الزكاة فعل إرادي يقوم به الشخص طواعية لا يمكن أن يتم بالإجبار. فالإنسان نفسه هو الفاعل المبادر فيها

سؤال ربما يدعو إلى الحيرة: إذا كانت عبارة (ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ) قد وردت بصيغة الرفع، فهل نجدها في مواطن أخرى بصيغة النصب (الراسخين في العلم)؟

جواب: نحن لم نجدها.

السؤال: لماذا؟

رأينا: لأن الرسوخ في العلم هو فعل إرادي يقوم به الشخص طواعية لا يمكن أن يتم بالإجبار.

سؤال ربنا يدعو إلى الحيرة: إذا كانت عبارة (وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ) قد وردت بصيغة الرفع، فهل نجدها في مواطن أخرى بصيغة النصب (المؤمنين بالله)؟

جواب: نحن لم نجدها

السؤال: لماذا؟

رأينا: لأن الإيمان بالله (وليس الإيمان المطلق) هو فعل إرادي يقوم به الشخص طواعية لا يمكن أن يتم بالإجبار .

باب: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

لو تدبرنا كتاب الله جيدا، لوجدنا بأن فعل إقامة الصلاة غالبا ما جاء مرتبطا ومصاحبا لفعل إيتاء الزكاة، قال تعالى:

- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة: 43]
- ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣﴾ [البقرة: 83]
- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة: 110]
- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء: 77]
- ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج: 78]
- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: 55]

ليكون السؤال على الفور هو: لماذا جاء فعل إقامة الصلاة مقترنا بفعل إيتاء الزكاة؟ ولِم لَم يأت مقترنا بالعبادات الأخرى كالصدقات والحج أو الصيام؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا الخطير جدا جدا: نحن نفتري الظن بأن الزكاة لا تؤخذ إلا ممن يقيم الصلاة. فإذا كان الشخص مقيما للصلاة وجب عليه دفع الزكاة، أما إذا كان الشخص لا يقيم الصلاة، فلا تؤخذ منه الزكاة. انتهى.

السؤال: ما الذي يتوجب على من لا يقيم الصلاة أن يدفع؟ هل يعفى من الدفع تماما؟

جواب مفترى: كلا وألف كلا، بل يجب عليه أن يدفع ما يترتب عليه من مال لبيت مال المسلمين رغما عنه، ولكن ذلك لا يقع في باب الزكاة وإنما يدفع ذلك (نحن نرى) في باب الجزية، قال تعالى:

- ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: 29]

فالجزية لا تطلب فقط من الذين لا يدينون دين الحق من الذين آتوا الكتاب وإنما تؤخذ أيضا من الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله.

السؤال: هل الذي لا يقيم الصلاة هو من الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نعم. نحن نظن أن الذي لا يقيم الصلاة هو من الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى وإن هو أنكر ذلك وتعلل بأنه من المؤمنين بالله واليوم الآخر.

السؤال: أين الدليل على ما تزعم؟ يسأل صاحبنا؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الدليل يأتي من الآيات الكريمة التالية التي تحث المؤمنين بالله واليوم الآخر على إقامة الصلاة في وقتها، قال تعالى:

- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: 43-46]

لتكون النتيجة المفتراة التي نحاول الوصول إليها من هذا السياق القرآني (كما نفهمه طبعا) هي على النحو التالي: الذين يستعينون بالصبر والصلاة هم الخاشعون الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم (وهذا هو الإيمان بالله) والذين يظنون أيضا أنهم إليه راجعون (وهذا هو الإيمان باليوم الآخر).

نعم، نحن نظن أن الذي لا يقيم الصلاة هو من الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى لو هو أنكر ذلك. فإقامة الصلاة هو عمل تعبدي لله لا يقوم به إلا من كان يظن أنه ملاق ربه ومن ظن أيضا أنه إلى ربه راجع. وذلك لأن الصلاة كبيرة إلا على الخاشعين مادامت أنها كتابا موقوتا:

- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: 103]

فإقامة الصلاة (نحن نرى) هي الدليل العملي (والبرهان الفعلي) على أن الشخص مؤمن بربه وأنه إليه راجع. فمهما تعلل من لا يقيم الصلاة عن عدم إقامته للصلاة، ومهما تعذر عن تقصيره في ذلك، فإن

السبب الحقيقي الذي يمنعه عن إقامة الصلاة التي هي على المؤمنين كتابا موقوتا هو أنه فعلا ليس من المؤمنين. انتهى.

لكن - بالمقابل – نحن نظن (ربما مخطئين) بأن الذي يدفع الشخص للنهوض من فراشه في الفجر الباكر لإقامة الصلاة، والذي يدفعه لترك عمله مهما كان متى جاء وقت الصلاة، والتفرغ لهذه العبادة العظيمة، هو إيمانه اليقيني بأنه ملاقٍ ربه وأنه إليه راجع. انتهى.

السؤال: كيف تؤخذ الزكاة من الذي لا يقيم الصلاة؟

رأينا المفترى: لمّا كان فعل إيتاء الزكاة هو – برأينا- فعل تعبدي ظاهري لأن الزكاة (غير الصدقات) تدفع للدولة، فإن الذي لا يقيم الصلاة (أي غير المؤمن) يدفع الزكاة على شكل جزية تؤخذ منه عند يد وهو صاغر.

السؤال: كيف يمكن التفريق بين الطرفين؟

رأينا: نحن نظن أن الآية الكريمة التالية هي التي تفرق بين الطرف المؤمن الذي يدفع الزكاة والطرف غير المؤمن الذي يدفع الجزية، قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة: 9]

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الذي يقيم الصلاة يمكن له أن يقيمها في جماعة بدليل قوله تعالى:

- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة: 43]

ويستطيع أيضا أن يقيمها لوحده بدليل قوله تعالى:

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114]
- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78]

نتيجة مفتراة 1: يمكن إقامة الصلاة بشكل جماعي
نتيجة مفتراة 2: يمكن إقامة الصلاة بشكل فردي

لكن على الجميع أن يلبوا النداء للصلاة من يوم الجمعة:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾ [الجمعة: 9]

السؤال: ما علاقة هذا بدفع الزكاة أو بدفع الجزية؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن كل من شُهِد له بأنه يلبي النداء للصلاة من يوم الجمعة، فهو إذا من المؤمنين المكلفين بدفع الزكاة. أما إذا لم يُشهَد للشخص الحضور للصلاة من يوم الجمعة، فهو إذا لا يكون من المؤمنين، ويجب أن تؤخذ منه الجزية عن يد وهو صاغر.

السؤال: ما الفرق بين الحالتين؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لما كان الذي يحضر للصلاة من المؤمنين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، فهو إذا لن يتجرأ على التلاعب بكمية المال الواجب عليه دفعه كزكاة لما غنم، فهو يعلم يقينا أن ما يدفعه هو لله:

- ﴿۞وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤١﴾ [الأنفال: 41]

وهؤلاء " ٱلۡمُصَلِّينَ " هم الذين على صلاتهم دائمون، وهم الذين يعلمون يقينا أن في أموالهم حق معلوم:

- ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤﴾ [المعارج: 22-24]

أما الذي لا يأت إلى الصلاة من يوم الجمعة، فهو ليس من المؤمنين، مادام أنه ليس من الذين على صلاتهم دائمون، لذا لن يكون من الحريصين على تقديم المبلغ المطلوب منه على أكمل وجه، فهو ليس من الذين يظنون أن ما يقدمه من الحق المعلوم في ماله لله، وإنما ينظر إلى الأمر على أنه يقع في باب الجباية. لذا، لا يستبعد أن يكون من الذين يتلاعبون بنصاب الزكاة المطلوب منه دفعه، فيصبح إذا لزاما على القائم على بيت مال المسلمين مراقبتهم مراقبة شديدة.

السؤال: ما الفرق بين الزكاة والجزية؟

جواب مفترى: نحن نظن أن ليس هناك دافع يدعو الإنسان إلى الالتزام بإقامة الصلاة التي هي أصلا على المؤمنين كتابا موقوتا إلا إيمان الشخص نفسه بأنه ملاق ربه وأنه إليه راجع. لذا تحصل المراقبة

للشخص من تلقاء نفسه، وهذا الإيمان ينطبق أيضا على فعل إيتاء الزكاة، فالشخص المؤمن يقدم الزكاة من تلقاء نفسه لأنه يعلم يقينا بأن ذلك عمل تعبدي لله وحده، فيحرص إذا على تقديمها على أفضل وجه، فلا يحصل تلاعب عنده بمقدار ما عليه من الزكاة الواجب عليه دفعها إلى بيت مال المسلمين.

أما الشخص الذي لا يقيم الصلاة، فإنه ينتفي عنه صفة الإيمان بأنه ملاق ربه وانه إليه راجع، لذا قد يحصل التلاعب عنده بمقدار المال المترتب عليه دفعه إلى بيت مال المسلمين، لذا وجب على القائم على جمع الزكاة لبيت مال المسلمين أن يراقبه مراقبة حثيثة، فيكون إذن دافع للزكاة عن يد وهو من الصاغرين.

نتيجة مفتراة 1: الصدقات تختلف عن إيتاء الزكاة

نتيجة مفتراة 2: الصدقات يقوم بتوزيعها الشخص بنفسه على الفئات التي وردت في الآية الكريمة التالية:

- ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦٠ ﴾ [التوبة: 60]

نتيجة مفتراة 3: إيتاء الزكاة لا يقوم بتوزيعها الشخص بنفسه، وإنما هي بمثابة الضريبة الواجبة لبيت مال المسلمين، وتؤخذ من المؤمنين

نتيجة مفتراة 4: الجزية لا يقوم بتوزيعها الشخص نفسه، وإنما هي بمثابة الضريبة الواجبة لبيت مال المسلمين، وتؤخذ من كل الذين ليس هم من المؤمنين

نتيجة مفتراة 5: مقدار الجزية هي مقدار الزكاة نفسها

وسنتعرض لهذه القضايا لاحقا بإذن الله وتوفيق منه.

فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، إنه هو العليم الحكيم

الدليل: باب من الصاغرين

لو تفقدنا السياقات القرآنية التي وردت بها مفردة الصاغرين (أو الصاغرون) على مساحة النص القرآني، لوجدناها قد وردت في الحالات التالية:

---

1. في حالة إبليس
- ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: 13]

2. في حالة يوسف
- ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ [يوسف: 32]

3. في حالة أهل سبأ الذين بعثوا لسليمان بهدية
- ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ [النمل: 37]

4. في حالة دفع الجزية
- ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة: 29]

السؤال: لماذا وردت مفردة (صاغرين أو صاغرون) في هذه السياقات على وجه التحديد؟

رأينا المفترى: لو دققنا في هذه السياقات جميعها، لوجدنا أنها تبين العلاقة بين طرفين، أحدهما قوي والآخر ضعيف (أم مستضعف)، وتبين فيها جميعا السيطرة المطلقة للطرف القوي على الطرف الضعيف، فيكون الطرف القوي في وضع يؤهله من مراقبة لا بل ومحاسبة الطرف الضعيف على ما كل يفعل. فالله هو من توعد إبليس بأن يكون إبليس من الصاغرين، وذلك لأن الله قادر أن يراقب (وبالتالي يحاسب) إبليس عن كل فعل يقوم به .

وكذلك هي الحال بالنسبة ليوسف، فتلك المرأة (الطرف القوي) قد توعدت يوسف ليس فقط بالسجن وإنما أيضا بأن يكون من الصاغرين إن هو لم يفعل ما تأمره به، فهي إذن لن تترك يوسف وشأنه في السجن، بل ستحاسبه على كل أفعاله حتى وهو في السجن.

وكذلك كان سليمان سيفعل بالقوم إن هم لم يلبوا نداءه بأن يأتوه مسلمين. فسليمان (الطرف القوي) سيستطيع أن يراقبهم مراقبة حثيثة لا بل وسيحاسبهم على كل أفعالهم .

والمنطق نفسه (نحن نفتري القول) يمكن أن ينطبق في حالة غير المؤمنين الذين يتوجب عليهم دفع مستحقات بيت مال المسلمين مما غنموا. فالقائم على بيت مال المسلمين (الطرف القوي) يتوجب عليه مراقبة هؤلاء لا بل ومحاسبتهم محاسبة دقيقة على كل ما يتحصل لهم من المغانم، وبالتالي أخذ ما يترتب عليهم من مال لبيت مال المسلمين عند يد وهم صاغرون.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أنه ليس هناك فرق في مقدار المال الذي يتوجب على رعايا الدولة تقديمه لبيت مال المسلمين سواء كانوا مؤمنين (يقيمون الصلاة) أو لم يكونوا مؤمنين (لا يقيمون الصلاة)، فالمبلغ هو نفسه لكن الفرق هو فقط في طريقة تقديمه. فالمؤمن هو من يقدمه دون مراقبة من القائم على بيت مال المسلمين وذلك لأن المؤمن مراقب لنفسه مادام أنه مؤمن أن تقديم الزكاة هو واجب ديني يعلم أن الله نفسه هو من يراقبه على دفعه على الوجه الصحيح. أما غير المؤمن فهو لا يظن بأن هذا واجب ديني وهو لا يؤمن بأنه ملاق ربه وهو لا يؤمن بأنه إلى الله راجع، لذا وجب أن يكون هناك من يراقبه مادام أنه لا يراقب نفسه مراقبة العبد المؤمن بربه الذي يظن أن هذا تكليف إلهي يقع على عاتقه.

نتيجة مفتراة 1: الزكاة هي الحق المعلوم الذي فرضه الله في أموال المؤمنين التي تدفع للناس كافة، أي هي – برأينا المفترى من عند أنفسنا- بمثابة الضريبة التي تدفع إلى بيت مال المسلمين

نتيجة مفتراة 2: الجزية هي الحق المعلوم الذي فرضه الله في أموال غير المؤمنين التي تدفع لناس كافة، أي هي – برأينا المفترى من عند أنفسنا- بمثابة الضريبة التي تدفع إلى بيت مال المسلمين

نتيجة مفتراة 3: الزكاة لا تؤخذ إلا ممن يقيم الصلاة

نتيجة مفتراة 4: الجزية تؤخذ من الذين لا يقيمون الصلاة

نتيجة مفتراة 5: مقدار الجزية هو مقدار الزكاة

نتيجة مفتراة 6: الزكاة يدفعها المؤمن ولا تحتاج إلى مراقبة القائم على بيت مال المسلمين لأن المؤمن مراقب لنفسه، فهذا المؤمن يعلم بقرارة نفسه أنه لو تحايل أو تلاعب بمقدار ما يتوجب عليه دفعه، فإنه كأنما يتحايل على ربه الذي يعلم السر وأخفى. فإن هو ظن أنه يستطيع أن يتحايل على الحاكم في الدنيا (صاحب بيت مال المسلمين)، فإنه يعلم يقينا أن هناك من سيحاسبه عليه محاسبة دقيقة في الآخرة .

نتيجة مفتراة 7: الجزية تؤخذ من غير المؤمن، لذا تتطلب المراقبة الحثيثة من القائم على بيت مال المسلمين، مادام أن غير المؤمن لا يعتقد بأن المال الذي يدفعه هو تكليف إلهي واجب عليه لبيت مال المسلمين

باب وقت الصلاة وجمعها وقصرها

تحدثنا في مقالة سابقة لنا تحت عنوان "لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟" عن جزئية محددة تخص الصلاة، مفادها أن الصلوات الخمسة المفروضة علينا في اليوم والليلة ليست مستنبطة من فعل الرسول)أي "السنة" كما أحب أهل الدراية من قبلنا أن يروجوا لذلك في مؤلفاتهم(، وحاولنا افتراء الظن من عند أنفسنا بأنه يمكن استنباط عدد الصلوات الخمسة من كتاب الله، وزعمنا القول حينئذ أن هذا هو منطوق الآيتين التاليتين في كتاب الله (كما فهمناهم نحن)، فهذه هي الآية الكريمة الأولى:

- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78]

ففي هذه الآية (حسب ما نفهمه منها) نجد الحديث عن إقامة الصلاة في وقتين اثنين هما قبل دلوك الشمس (أي صلاة الفجر) وغسق الليل (أي صلاة العشاء)

ثم جاءت الآية الكريمة الثانية التالية:

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114]

وفي هذه الآية الكريمة (حسب ما نفهمه منها) نجد الحديث عن إقامة الصلاة في ثلاثة أوقات وهي طرف النهار الأول (صلاة الظهر)، وطرف النهار الثاني (أي صلاة العصر)، وزلفا من الليل (أي صلاة المغرب).

كما افترينا القول حينئذ أن اثنتين من الصلوات الخمسة تقامان في الليل (الفجر والعشاء)، وأن اثنين منهما تقامان في النهار (طرف النهار الأول، أي صلاة الظهر، وطرف النهار الثاني، أي صلاة العصر)، بينما تقام صلاة واحدة بين الليل والنهار (زلفا من الليل: أي صلاة المغرب)، وهذه الصلاة على وجه التحديد هي (كما فهمناها) الصلاة الوسطى التي طُلب منا أن نحافظ عليها محافظة خاصة في الآية الكريمة التالية:

- ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: 238]

(للتفصيل انظر مقالتنا السابقة: لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة)

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: يُفتح في السماء كتاب خاص لكل شخص مؤمن بربه، ويوجد في هذا الكتاب خمس مربعات للتوقيع فيها (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا)، وهي أوقات الصلاة المفروضة خمس مرات في اليوم والليلة كما في الشكل التالي:

النهار	الوسطى	الليل
طرف النهار الأول: الظهر **طرف النهار الثاني**: العصر	زلفا من الليل (الصلاة الوسطى) المغرب	غسق الليل (العشاء) لدلوك الشمس (الفجر)

فإذا ما حضر الشخص لصلاة الظهر مثلا، يكون قد أقفل المربع الأول بالتوقيع فيه، وهكذا بالنسبة لكل وقت من أوقات الصلاة، فتكون الصلاة بذلك كتابا موقوتا:

- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: 103]

ولكن إذا تخلّف المؤمن عن الحضور لصلاة محددة في وقتها، بقي ذاك المربع مفتوحا (شاغرا)، إيذانا بالإبلاغ أن صاحب هذا الكتاب قد تخلف عن هذه الصلاة في وقتها، وإذا ما تكرر غياب المؤمن عن الصلاة، فإن أجهزة الإنذار في السماء تقرع كلها للتبليغ عنه، فتنطلق الرسالة من السماء مدوّية بأن هذا الشخص هو كمن يفر من وجه العدالة، وربما يصدر الأمر بإحضاره عنوة مهما كان المانع الذي يعيقه .

فتخيل - عزيزي القارئ - ما الذي يحدث عندما تسمع المنادي لصلاة الفجر قائلا (الصلاة خير من النوم) ثم تفضل النوم في فراشك الدافئ على القيام للذهاب للصلاة في وقتها! لعلي لا أتردد أن أقول لك بأن أجهزة الإنذار في السماء تدقّ كلها لتعلن تخلفك عن الحضور في الوقت المحدد، وأن رسالة قد انطلقت من السماء مفادها أنك فار من وجه العدالة في السماء. ولا أتردد بأن أقول لك بأن هذه الخانة التي لم تحضر للتوقيع فيها ستظل شاغرة ومفتوحة حتى تؤديها يوم القيامة (والله وحده يعلم أين وكيف ستؤديها هناك). لذا، كانت هذه الصلاة كبيرة إلا على الخاشعين، الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون :

- ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: 45-46]

لذا، لا أتردد أن أنصح نفسي أولا، ثم أنصحك بعد ذلك – عزيزي القارئ- أن لا تتلكأ بأن تؤدي الصلاة في وقتها إن كنت من الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون مهما كان المانع الذي قد يشغلك عنها. وأكاد أجزم الظن أن الذين لا يؤدون الصلاة في وقتها (إن فهموا الغاية منها) هم فقط من يظنون أنهم لن يلاقوا ربهم وأنهم لن يرجعوا إليه.

وهنا أجد لزاما أن أسطر الافتراءات الخطيرة التالية التي هي لا شك من عند نفسي :

الافتراء: مادام أن الصلاة هي كتابا موقوتا، فإن من الاستحالة بمكان:

1. أن يتقبل تأديتها في غير وقتها، فإذا ما فاتتك صلاة ما في وقتها، فإنه لا يسد عن ذلك تأديتها في وقت آخر

2. لا يجوز الجمع بين الصلوات مهما كان السبب.

الدليل

عندما جاء تشريع الصيام، كان هناك رخصة واضحة في كتاب الله أن تصوم في أيام أخر لمن تعذر عليه الصيام في اليوم المحدد، فقال تعالى:

- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: 185]

فعدم الاستطاعة على الصيام في شهر من أشهر رمضان يمكن تعويضه في أيام أخر بدليل اللفظ القرآني (فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَر)، ولا نجد مثل هذا التشريع واردا في حق عدم الاستطاعة على إقامة الصلاة في وقتها. فما فات من صلاتك لا يمكن تعويضه (نحن نفتري القول) إلا بالاستغفار:

- ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: 286]

أما بخصوص الجمع في الصلاة لعارض الحر أو البرد، فلا نجد دليلا على ذلك في كتاب الله، فبالرغم أن الرخصة قد جاءت لقصر الصلاة في أوقات الخوف واضحة وصريحة في كتاب الله:

- ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء: 101]

إلا أنه لا يوجد دليل مثل هذا على الجمع بين الصلوات لمن فاته شيء منها في وقتها. ولا يجب أن ننسى أن مفردة "الجمع" قد وردت في آيات أخرى من كتاب الله كما في قوله تعالى:

- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء: 23]

فلو كان الجمع ممكنا، لربما جاءت الآية الكريمة التي تتحدث عن قصر الصلاة (نحن نفتري الظن) على النحو التالي:

فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة وأن تجمعوا بينهما.....

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (1): يجوز قصر الصلاة في حالة الخوف

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (2) لا يجوز الجمع بين صلاتين مهما كان السبب وذلك لأن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

ومادام أن إقامة الصلاة هي عمل محدد بوقته، ومادام أنها تمثل الإقامة الجبرية المفروضة على العبد المؤمن بهدف الإقرار بالوحدانية لله فلا يعبد إله آخر من دونه، وجب الالتزام فيه بشيئين اثنين وهما،

1. الاغتسال للصلاة (أو ما يسمى بالوضوء)
2. الالتزام بالدور

باب الاغتسال للصلاة (أو ما يعرف بمسمى "الوضوء" للصلاة عند أهل الإسلام)

جاءت الآية الكريمة التالية :

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]

لتشترط على المسلم عند قيامه إلى الصلاة بفعل محدد في ثلاث حالات هي على النحو التالي:

1. في الحالة العادية حيث يتوجب فيها الغُسل: فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ
2. في حالة الجنابة حيث يتوجب فيها التطهر: وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ

3. في حالة تعذر الوصول إلى الماء حيث يتوجب فيها التيمم: وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ

ولا شك أن الغاية من ذلك كله ليس الحرج (مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ)، وإنما الظفر بالطهارة (وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

السؤال: لماذا يتوجب على المؤمنين "الغسل" (أو ما يسمى بالوضوء) في الأوضاع الطبيعية (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ)؟ أو بكلمات أكثر وضوحا نحن نسأل: ما فائدة الوضوء عند القيام إلى الصلاة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الإجابة على هذا التساؤل تتطلب طرح سؤال آخر هو: لم نغسل هذه الأعضاء الظاهرة من جسدنا (وهي الوجه واليدين إلى المرفقين والرأس والرجلين إلى الكعبين) عندما نريد القيام للصلاة؟

رأينا المفترى: بعيدا عن التأويلات التي وصلتنا من عند أهل الدراية، فإننا نظن أن السبب في غسل هذه الأعضاء على وجه التحديد تتمثل في أن هذه هي الأعضاء البارزة المحدّدة لجسم الإنسان كله من جميع الجهات، فالرأس هو الجزء الذي يحدد جسم الإنسان من الأعلى، والرجلان هما اللتان تحددان أطراف الإنسان من الأسفل، واليدان هما اللتان تحددان أطراف الإنسان من الجوانب، والوجه هو الذي يحدد طرف الإنسان من الأمام ليتميز عن طرفه من الخلف أو الوراء، وبذلك تتحدد أطراف الإنسان من كل الاتجاهات، أليس كذلك؟

السؤال: وما علاقة هذا بمسألة غسل هذه الأجزاء (أي الأطراف) عندما نريد القيام إلى الصلاة؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الإجابة على مثل هذا التساؤل (كما نحاول تسطيرها) يمكن أن نستنبطها من الآية الكريمة التالي:

- ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: 12-13]

السؤال: وما علاقة هذه الآية بغسل الصلاة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الوضوء هو عبارة عن النور الذي تلبسه على أطراف جسمك من جميع الاتجاهات، لتستفيد منه في ذلك الظلام الرهيب الذي سيسود عندما يجمع الله الجميع للحساب .

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: عندما يقوم الناس جميعا لرب العالمين، ستكون الأرض التي بدلت غير الأرض مظلمة تماما:

- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم: 48]

وذلك لأن الشمس والقمر قد جمعا:

- ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣﴾ [القيامة: 6-13]

فيسود الظلام التام، فلا يستطيع الإنسان حينها أن يتلمس طريقه أو أن يرى ما حوله، ويبرز في هذا الظلام الحالك نور واحد تتراوح درجات إضاءته: وهو نور المؤمنين، وهم الذين يسعى نوره بأيديهم وإيمانهم:

- ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمۖ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢﴾ [الحديد: 12]

فتبين من بين كل ذلك الظلام ملامحٌ محددة للمؤمنين والمؤمنات، فتتحدد أطرافهم من ذلك النور الذي جلبوه معهم من الحياة الدنيا، كما سيأتي على ألسنتهم عندما يطلب منهم المنافقون والمنافقات أن يلتمسوا شيئا من نورهم، فيردون عليهم بالقول بأن يرجعوا وراءهم ليلتمسوا نورا:

- ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًاۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ١٣﴾ [الحديد: 13]

وفي تلك اللحظة يُضرب بين الطرفين بسور (فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ)، فيكون المؤمنون بربهم (وهم المصلون الذين اكتسبت أطرافهم جميعها نورا بما أسبغوا عليها من ماء غسل الوضوء) من داخل باب ذلك السور حيث الرحمة (لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ)، ويبقى المنافقون والمنافقات خارجه حيث العذاب المرتقب (وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ).

وفي هذه اللحظة يطلب من هؤلاء القابعين خارج الباب الكشف عن الساق للسجود فلا يستطيعون:

- ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢﴾ [القلم: 42]

السؤال: لماذا يطلب من هؤلاء الكشف عن الساق؟

جواب مفترى: أليس ذلك من أجل السجود؟ ألم تكشف تلك المرأة التي جاءت سليمان عن ساقيها عندما رأت الصرح؟

- ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾ [النمل: 44]

ألم تكن وقومها يسجدون للشمس من دون الله؟

- ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾ [النمل: 24]

أليس السجود فقط لله:

- ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥﴾ [النمل: 25]

(للتفصيل انظر مقالة ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته)

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن بأن من كان يغسل (ويمسح على) أطراف جسمه الظاهرة (الوجه واليدين إلى المرفقين والرأس والرجلين إلى الكعبين) عندما كان يقوم إلى الصلاة في الحياة الدنيا، هو فقط من استطاع أن يكتسب ذلك النور الذي سيستفيد منه في تلك الظلمة الرهيبة، ويستمر ذلك حتى تشرق الأرض كلها بنور ربها:

- ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ [الزمر: 69-70]

في الفترة التي تسبق مجيء الرب بنفسه من أجل الحساب، لا يكون هناك نور يمكن أن يُلتمس إلا نور المؤمنين الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم:

- ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: 12]

ويكون ذلك أول علامات البشرى لهم بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار.

رسالة قصيرة: عزيزي القارئ الكريم، إذا أردت أن تكون من المؤمنين والمؤمنات الذين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فاحرس على الغسل عندما تريد القيام إلى الصلاة كما جاء في قوله تعالى:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: 6]

لأن ذلك بمثابة شحن أطراف جسمك بالطاقة "الضوئية" التي ستستفيد منها يوم يسود الظلام الحالك عندما يقوم الناس جميعا لرب العالمين:

- ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: 6-13]

ففي يوم القيامة، وهو اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، سيخسف القمر وسيجمع الشمس والقمر، وستنعدم مصادر الإضاءة كلها، عندها سيقول الإنسان (أَيْنَ الْمَفَرُّ). في مثل هذا الموقف الرهيب، لن ينفعك في تلك الظلمة الحالكة إلا نور واحد تكون قد جلبته معك، إنه الغسل للصلاة (أي الوضوء، وهي الكلمة التي تصف هذا العمل، لأن لها – برأينا- علاقة بالضوء)، فالوضوء هو عبارة عن اكتساب الضوء، فكلما أصبغت وضوءك وكلما أتقنته أكثر، كلما شحنت أطراف جسمك بالطاقة التي ستنيرها لنفسك في ذلك اليوم المجموع له الناس.

دعاء: اللهم أدعوك وحدك أن أكون من عبادك المؤمنين الذين سيسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، إنك أنت السميع البصير- أمين

لفتة مهمة: ولو دققنا في الآية الكريمة التي تتحدث عن الاغتسال عند القيام للصلاة، لوجدنا أن اللفظ هو "إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ"، ليكون سؤالنا على عجل هنا هو عن الغاية من وجود حرف الجر إِلَى في هذه العبارة. أليس من المتوقع أن يكون اللفظ على نحو "إذا قمتم للصلاة" مثلا كما في قوله تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ [الجمعة: 9]

انظر المقابلة بين الحالتين في الجدول التالي:

	فعل الشرط	جواب الشرط
المناداة	إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ	فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ
الاغتسال	إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ	فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ

السؤال مرة أخرى: لماذا جاء اللفظ في حالة المناداة من يوم الجمعة باستخدام حرف الجر (لـ) بينما جاء اللفظ في حالة إقامة الصلاة باستخدام حرف الجر (إلى)؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا (1): لمّا كان السعي لذكر الله وترك البيع واجبا في كل مناداة من يوم الجمعة، جاء اللفظ باستخدام حرف الجر (لـ). فأنت مأمور (نحن نفتري القول) أن تسعى لذكر الله وأن تترك البيع كلما نودي للصلاة من يوم الجمعة؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا (2): لما كان غسل الوجه واليدين إلى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين (نحن نفتري القول) غير واجبه في كل إقامة صلاة، جاء اللفظ باستخدام حرف الجر (إلى). فأنت لست مأمور بأن تغسل وجهك ويديك إلى المرفقين وتمسح برأسك وتغسل رجليك إلى الكعبين في كل مرة تقيم فيها الصلاة.

السؤال: ماذا لو كان اللفظ على النحو "إذا قمتم للصلاة فاغسلوا"؟ أي ماذا لو استخدم حرف الجر (لـ) بدلا من (إلى) في حالة إقامة الصلاة؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأنه لو جاء اللفظ على هذا النحو، لوجب عليك أن تغسل وجهك ويداك إلى المرفقين وأن تمسح برأسك وأن تغسل رجلاك إلى الكعبين مع كل إقامة صلاة. ولما جاز لنا أن نقيم صلاة الظهر والعصر مثلا بغسل واحد، ولما صح لنا أن نقيم صلاة المغرب والعشاء بغسل واحد، ولما صح لنا أن نقيم صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء بغسل واحد، ولما صح لنا أن نقيم صلاة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء جميعا بوضوء واحد. ولأصبح لكل إقامة صلاة غسلها الخاص بها.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: إن المؤمن الذي يقوم إلى الصلاة هو من يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ويغسل رجليه إلى الكعبين بالغسل نفسه مادام أنه لم يُحْدِث، فيبقى المؤمن في طهارة مادام أنه قائم إلى صلاته (أي محافظا على غسله).

باب الذهاب إلى الغائط

لو تدبرنا الآية القرآنية نفسها، لربما صح لنا أن نفتري القول من عند أنفسنا بأنه ليس هناك حاجة تستدعي الذهاب إلى الخلاء (الحمام) لغسل العورة (الجهاز البولي) عند كل غسل للصلاة، وأن المطلوب ممن يقيم الصلاة هو فقط غسل هذه الأطراف، وانظر عزيزي القارئ – إن شئت- في قوله تعالى من هذا الجانب:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: 6]

السؤال: لماذا؟ أي لِم يكتفي المسلم بغسل والمسح على هذه الأعضاء من جسمه دون الحاجة إلى غسل أعضاء عورته؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن السبب في ذلك ربما يعود إلى أن غسل العورة (الجهاز البولي) هو عمل يتوجب على المسلم فعله عند كل استعمال للحمام (أي الذهاب إلى الغائط):

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٤٣﴾ [النساء: 43]

السؤال: وكيف ذلك؟

جواب مفترى: لو تدبرنا الآية الكريمة في جزئها الخاص بالوضوء، فإننا لن نجد ذكر للمجيء من الغائط، قال تعالى :

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ...٦﴾ [المائدة: 6]

وقد جاء ذكر الغائط لاحقا بعد الحديث عن الجنابة (ملامسة النساء):

- ﴿... وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]

وقد تأكد لنا هذا في آية أخرى من كتاب الله، قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [النساء: 43]

السؤال: كيف يمكن أن نفهم ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أنه يجب الفصل بين الاغتسال للصلاة (بالوضوء) والمجيء من الغائط، فالإنسان يحتاج أن يذهب إلى الغائط في أي وقت من اليوم والليلة، فهذا الأمر (أي الذهاب للغائط) ليس مرتبطا بأوقات إقامة الصلاة. لذا وجب على المسلم (نحن نرى) أن يحرس على نظافة بدنه (خاصة جهازه البولي) بعد كل مرة يذهب فيها إلى الغائط. ونحن نكاد نجزم الظن بأن ما يفعله الإنسان من تنظيف لبدنه بعد الذهاب إلى الغائط هو ما يسمى (نحن نفهم) بالمفردات القرآنية بالتيمم. ليكون السؤال المطروح على الفور هو ما معنى التيمم؟

جواب مفترى خطير جدا: نحن نظن أن عملية التيمم هي علمية تنظيف تؤدي إلى إزالة الخبيث من الطيب. انتهى.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: دعنا ندقق في الآية الكريمة التالية، قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [البقرة: 267]

فنحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن الطيب هو ما يقابله الخبيث، فغالبا ما يكون الطيب مخلوط به شيء من الخبيث، وأن عملية إخراج (أو لنقل إزالة) الخبيث من الطيب تسمى عملية تيمم. فمن كان عنده شيء من الرزق الذي أخرجه الله له من نبات الأرض كالقمح والشعير مثلا، ويريد أن ينفق منه، فعليه أن يتحرى بأن لا ينفق من الخبيث منه، لأن هذه الطيبات من الرزق عادة ما يكون عالق بها شيء من الخبيث في حالتها الأولى عند جمعها، فلابد إذن من القيام بعملية تنظيف تؤدي إلى فصل الخبيث عن الطيب منه، وعلى المنفق من هذا الرزق أن يتخير الإنفاق من الطيب فقط (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ)، فلا يجوز للمسلم أن يجعل ما ينفق مما خبث منه، أي من الفضلات التي يطرحها جانبا بعد عملية التنقية (أو التنظيف) لهذا الرزق، فعليه أن يتحرى أولا إخراج الخبيث من الطيب (أي طرح الفضلات جانبا)، ثم يقوم بعملية الإنفاق من الطيب الذي تبقى عنده. وهكذا الحال هي بالنسبة لمن كان عنده شيء من الأنعام (أو أي شيء تحصل له مما كسب) ويريد أن ينفق منها، فلا يعمد مثلا إلى الأنعام الهزيلة الضعيفة المريضة، ثم يقوم بالإنفاق من "هذه الفضلات" على أساس أنها صدقة أو زكاة من ماله. بل يجب أن يكون الإنفاق من الطيبات تمثلا لقوله تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ ... ٢٦٧﴾ [البقرة: 267]

ولو حاولنا تطبيق مثل هذا القول المفترى من عند أنفسنا في حالة استعمال الخلاء، فإنه يتوجب على الشخص الذي يستخدم الخلاء أن يتيمم صعيدا طيبا. فكيف يكون ذلك؟

رأينا المفترى: لا شك أن ما يخرج من جسم الإنسان عند ذهابه للخلاء هو ليس أكثر من فضلات (أي الخبيث)، يتوجب التخلص منها في الحال، وعليه أن يحرص على إزالة هذه الخبائث كليا حتى يبقى صعيدا طيبا.

السؤال: كيف يكون ذلك؟

رأينا المفترى: عندما يستخدم الشخص الحمام، فإنه يستخدمه لغايتين اثنتين: البراز والبول. وفي كلا الحالتين على الشخص أن يستخدم الماء لتنظيف أعضاءه التي خرج منها البراز أو البول كليا، وذلك لأن شيئا من هذا الخبيث يبقى عالقا في الجسم بعد عملية الإخراج. وإن تعذر وجود الماء لمستخدم الحمام، فعليه أن يستخدم ما ينوب عن الماء (كالورق والحجارة وحتى التراب) لتنظيف أعضاء جسمه التي خرج منها البراز أو البول، ولكن يجب أن يستخدم هذه الأدوات جميعا (الماء أولا ثم الورق والحجارة والتراب إن تعذر الوصول إلى الماء) بشكل جيد حتى يزيل جميع الخبائث التي قد علقت بجسمه عند عملية إخراجها من الجسم، خاصة تلك الأعضاء التي خرج منها البراز والبول، حتى يجد في نهاية المطاف أن هذه الأعضاء قد أصبحت طيبة، لا خبث عالق فيها بعد .

السؤال: ما معنى أن تصبح هذه الأعضاء صعيدا طيبا؟

رأينا: لو تدبرنا مفردة "صعيدا" على مساحة النص القرآني، لوجدناها قد وردت في السياقات التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [النساء: 43]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]
- ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨﴾ [الكهف: 7-8]
- ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠﴾ [الكهف: 40]

السؤال: كيف تصبح الأرض صعيدا جرزا أو صعيدا زلقا؟

جواب مفترى: إن من أبسط أبجديات التفكير هو أن الأرض الطيبة إذا ما أنزل عليها الماء فإنها ستهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: 5]
- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [فصلت: 39]

فنحن نرى أن الأرض الجرز هي تلك الأرض التي مات فيها كل شيء، ولا يمكن أن تبنت من جديد إلا إذا نزل عليها الماء من السماء:

- ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ٢٧﴾ [السجدة: 27]

لكن إذا ما وقع على هذه الأرض العذاب (كالحسبان من السماء)، فإنها ستصبح صعيدا زلقا:

- ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ [الكهف: 40]

أي سيؤدي ذلك (نحن نرى) إلى انجراف التربة عن سطحها حتى تتكشف، فيصل الانجراف إلى منطقة الصخر (أو ما يشبهه)، حينها تصبح هذه الأرض صعيدا زلقا. لأنه ما أن نزل عليه الماء كعذاب (أي بكميات كبيرة وبشرعة شديدة) حتى انزلق عنها، فما عاد الماء يفيدها في عملية الإنبات. فلا تكن صالحة للإنبات بعد .

إن ما يهمنا طرحه هو أنه ما أن ينزل الماء على الأرض (سواء كانت صعيدا جرزا أو صعيدا زلقا) حتى يؤدي ذلك إلى تنظيف سطح التربة، فتزيل ما علق على سطحها من الخبث، فتعود كلها أرض طيبة. وهذا – برأينا- ما نفهمه من عملية تنظيف أعضاء الجسم التي خرج منها البراز أو البول، فيجب أن تيمم حتى تكون صعيدا طيبا :

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ [النساء: 43]

ولو تفقدنا مفردة " طَيِّبًا " على مساحة النص القرآني، لوجدناها قد وردت في السياق التالي:

- ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾ [الأنفال: 69]

لنخرج من ذلك بالفهم المفترى من عند أنفسنا بأن الطيب مرتبط بالحلال. بينما الذي خبث لا يكون إلا نكدا، كما في قوله تعالى:

- ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴿٥٨﴾ [الأعراف: 58]

فهناك إذن فرق بين البلد الطيب والبلد الذي خبث. فنحن إذا مأمورون في عملية التيمم بإزالة ما خبث من الطيب. فالله هو من أحل لنا الطيبات من الرزق:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ [البقرة: 172]

والطيبات من النساء:

- ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾ [النور: 26]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا مهمة جدا: نحن نفتري الظن إذن بأن عملية التيمم هي العملية التي يتم من خلالها التخلص من الخبيث عن كل ما هو طيب. فالإنسان (نحن نرى) مطالب أن يتيمم صعيدا طيبا كلما ذهب إلى الغائط.

السؤال: ما فائدة مثل هذا الافتراء الذي هو لا شك من عند أنفسنا؟

رأينا المفترى: نحن نرى بأنه لا يتوجب على المسلم أن يستخدم الحمام لغسل أعضاءه البولية عندما يقوم إلى الصلاة، ويكتفي فقط بعملية الغسل والمسح على أطراف جسمه التي أمرنا الله بها:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ... ٦﴾ [المائدة: 6]

نتيجة مفتراة مهمة جدا جدا: عملية الوضوء لا تتطلب الذهاب إلى الغائط وغسل أعضاء الجسم البولية وذلك لأن المسلم يكون أصلا قد يمّمها عندما ذهب إلى الغائط. فما يدعو إلى غسل أجزاء الجسم البولية هو (نحن نرى) فقط ما دعاه إلى الذهاب إلى الغائط. لذا، نحن نتجرأ على القول بأن الريح التي تخرج من جسم الإنسان لا تدعو إلى إعادة الوضوء من جديد إلا إذا ترافق ذلك مع ما يدعو إلى الذهاب إلى الغائط كأن يخرج مع تلك الريح شيء من الغائط. لذا، فإن ما يقوم به المسلم من استخدام للحمام لغسل أعضاءه البولية في كل وضوء للصلاة يقع في باب الحرص على إتمام الوضوء على أكمل وجه. أما إن هو وجد أن ذلك الريح الذي خرج منه لا يدعو إلى الذهاب إلى الغائط، فإن ذلك لا يدع (نحن نرى) أن يكون ناقضا للوضوء. انتهى.

باب لامستم النساء

لو تفقدنا الآية الكريمة نفسها، لوجدنا أن التيمم مطلوب كذلك في حالة ملامسة النساء، قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [النساء: 43]

السؤال: لم يتوجب علينا التيمم في حالة ملامسة النساء؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: نحن نظن أن ملامسة النساء لا تعني – برأينا – حصول الجماع، وهي ليست أكثر من احتكاك خارجي يحصل بين جسم الرجل مع جسم المرأة. وذلك لأن الجماع يتحقق بمفردات القرآن على نحو الإتيان، كما في قوله تعالى:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: 222]

ويتحقق كذلك بفعل المس كما جاء على لسان مريم:

- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 47]
- ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم: 20]

لذا وجب علينا التفريق بين المس كما قالت مريم (وَلَمْ يَمْسَسْنِي) وبين اللمس كما جاء في حالة التيمم (لاَمَسْتُمُ):

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: 43]

لتكون النتائج المفتراة من عند أنفسنا على النحو التالي:

افتراء (1): اللمس خارجي

افتراء (2): المس داخلي

الدليل

لو تفقدنا ما قالته مريم على وجه التحديد، لوجدنا أن المس هو المتطلب الأساسي لحصول الغلام في بطنها، فبدون المس يستحيل أن يحصل لمريم الغلام، وهذا ما تعجبت منه مريم عندما جاءها رسول ربها بالبشرى:

- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 47]
- ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم: 20]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نتجرأ على القول بأن المس هو عملية اتصال بين الرجل والمرأة قد تؤدي في نهاية المطاف إلى وجود جنين في بطن المرأة نتيجة هذا الفعل.

ولكن لو تفقدنا مفردة اللمس، لوجدنا أنها جاءت في الآية الكريمة مصاحبة للمجيء من الغائط:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: 43]

فالتيمم (كما افترينا سابقا) هو عبارة عن إزالة ما علق بجسم الشخص من الغائط بعد عملية الإخراج، فهي هي إذن عملية تنظيف خارجية. وكذلك (نحن نفتري الظن) هي عملية التيمم في حالة ملامسة النساء. فهي عبارة عن إزالة لما علق بجسم الرجل نتيجة الملامسة الخارجية لجسم المرأة.

السؤال: لماذا يطلب من الشخص الذي يلامس النساء أن يتيمم؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لو دققنا في الآية الكريمة نفسها، لوجدنا أن الملامسة يمكن أن تحدث مع النساء جميعا (أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء)، وليس فقط مع زوجات الرجل، لأنه لو كانت الملامسة خاصة بزوجات الرجل، لربما جاء اللفظ القرآني – برأينا- على النحو التالي:

أو لامستم نساءكم

لكن ما دام أن اللمس يمكن أن يحدث مع جميع نساء الأرض (أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء)، فإن ذلك ينفي - برأينا - أن يكون هو عملية جماع، وإنما هي ليست أكثر من عملية لمس، أي احتكاك خارجي، وهذا الاحتكاك الخارجي يتطلب عملية تيمم.

السؤال: لماذا يتطلب لمس جسم النساء التيمم؟

جواب مفترى من عند أنفسنا خطير جدا جدا: نحن نظن أن السبب في ذلك يعود إلى أن لمس الرجل لجسم المرأة ربما ينتج عنه إصابة الرجل بشيء من الأذى. انتهى.

الدليل

بداية يجب أن نسطر الافتراء الذي هو من عند أنفسنا الذي مفاده أن الغاية من عملية التيمم ليس تحقق النظافة وإنما تحقق الطهارة. ليكون السؤال المبدئي هو: ما الفرق بين النظافة والطهارة؟

رأينا: نحن نظن أن النظافة تتحقق بإزالة الأوساخ المادية التي تعلق بالجسم، ولكن الطهارة تحقق بإزالة أذى الشيطان، أي الرجس.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: دعنا نقرأ الآيات الكريمة التالية التي ورد فيها مشتقات لفظ الطهارة، قال تعالى:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: 222]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: 6]
- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: 41]
- ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: 11]
- ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: 33]
- ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: 103]

- ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [التوبة: 108]
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ٤٨﴾ [الفرقان: 48]
- ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ٢١﴾ [الإنسان: 21]

فلو تدبرنا هذه الآيات الكريمة، لربما صح لنا أن نستنبط أن عملية الطهارة هي عملية إزالة لأذى الشيطان. فالأذى هو ما أحدثه الشيطان، والطهارة هي عملية تخلص من هذا الأذى .

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا خطيرة جدا: نحن نتجرأ على الظن بأن عملية الوضوء هي عملية طهارة من رجس الشيطان ولا علاقة لها بنظافة الجسم من الأوساخ المادية التي تعلق به. فالحداد والنجار وعامل النظافة والميكانيكي يزيد الطين بلة عندما يتوضأ للصلاة، لأن الوضوء لا يؤدي إلى نظافة جسمه مما علق به من أثر العمل، لكنه مع ذلك مأمور بالوضوء إذا ما قام للصلاة في خضم عمله. وكذلك هي الصدقات، فهي عملية تطهير لأذى الشيطان حتى تكون النتيجة على نحو أن ما يتبقى من المال بعد عملية الطهارة هو مال طيب تماما .

السؤال: ما علاقة هذا بملامسة الرجل لجسد المرأة وبالتالي وجوب الوضوء؟

رأينا المفترى والخطير جدا: نحن نعلم يقينا بأن الأذى هو ما يصيب النساء بشكل طبيعي نتيجة حصول الدورة الشهرية. فالمحيض هو بحد ذاته أذى يصيب المرأة من الشيطان، وقد جاء المحيض كعملية بيولوجية طبيعية لتطهير جسم المرأة من هذا الأذى (للتفصيل انظر مقالاتنا السابقة تحت عنوان ثلاثية المرأة وماذا ستفعل النساء في الجنة). لذا عندما يقدم الرجل على لمس جسم المرأة، فإن هذه الملامسة قد تصيبه بشيء من أذى الشيطان يستوجب أن يتطهر منه. انتهى.

وهذا المنطق المفترى من عند أنفسنا يحمل في ثناياه افتراء الظن بأن ليس هناك مشكلة عقائدية في أن يلامس الرجل (بالسلام مثلا) جسد المرأة. لكن الحرج يكمن في أن تكون تلك المرأة في مرحلة المحيض حينئذ، أي مرحلة تطهر جسمها من أذى الشيطان، وفي هذه الحالة يمكن أن يصيب الرجل الذي لامس جسم المرأة شيء من أذى الشيطان. فالله هو من أمرنا بداية اعتزال النساء كليا في المحيض:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: 222]

فالغاية من اعتزال النساء كليا في المحيض (نحن نرى) تكمن في أن يتحرى الرجل أن لا يصيبه شيئا من ذلك الأذى الذي يتطهر منه جسم المرأة في تلك المرحلة .

ولعل من المحرج أن تسأل المرأة التي تحاول أن تصافحها مثلا إن كانت في مرحلة المحيض أو كانت قد تطهرت منه، لذا جاء الشرع ليحدد للإنسان ما يتوجب عليه فعله دون إحداث الحرج لغيره. فمن أراد أن يصد عن نفسه أذى الشيطان ولا يوقع النساء من حوله في حرج أن لا يعمد إلى مصافحتهن (أي لمسهن). ولكن إن حصل أن لامس جسمه شيئا من جسم المرأة (بالمصافحة مثلا)، فعليه واجب أن يتطهر بالوضوء لإزالة ما قد يكون قد علق بجسمه من هذا الأذى الذي أصاب المرأة التي لامس جسمه جسمها.

السؤال: ماذا عن أهل بيت الرجل نفسه (أي زوجاته)؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لو حاولنا تدبر سيرة الرسول الكريم مع زوجاته من هذا الجانب (كما وصلنا من عند أهل الرواية)، لوجدنا فيه العجب الذي يدعونا إلى التدبر. فالبعض قد نقل لنا الروايات بأن الرسول كان يتوضأ إذا ما لامس جسمه جسم أحد زوجاته بالمصافحة أو التقبيل مثلا، لكننا نجد عند أهل الرواية أنفسهم بأن الرسول الكريم كان يقبل بعض زوجاته ويقوم بفعل الصلاة مباشرة دون الوضوء للصلاة من جديد.

السؤال: لماذا تضاربت الروايات في ذلك؟

رأينا المفترى: لما كان الأمر يخص الرسول نفسه مع زوجاته، فإننا لا نتوقع حرجا إن سأل الرسول زوجاته عن المحيض، فالرسول كان يعلم إن كانت إحدى زوجاته في مرحلة المحيض أو أنها كانت قد تطهرت منه كليا. لذا، نحن نتجرأ على الظن بأن الرسول كان يقبل زوجاته ويصلي دون الوضوء من جديد إن علم أن زوجته طاهرة لم يمسها أذى الشيطان. لكن – بالمقابل- كان الرسول الكريم (نحن لازلنا نتخيل الموقف) يقوم بعملية الوضوء للصلاة من جديد إن حصلت ملامسة من طرفه لجسم إحدى زوجاته إن كانت في مرحلة المحيض.

ولعلنا نريد أن نتقدم بالنقاش قدما لافتراء الظن بأن هذا لا ينطبق فقط على زوجات الرجل (أي نساءه) وإنما على كل نساء العالمين بمن فيهن المحارم كالأم والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت، وهكذا. فالنص القرآني في ملامسة النساء جاء مطلقا اللفظ على النساء جميعا:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [النساء: 43]

فإذا ما حصلت ملامسة للرجل مع النساء جميعا (حتى لو كانت من محارمه) فهذا يتطلب (نحن نفتري الظن من عند أنفسنا) التيمم، لأن المسألة برأينا ليست مرتبطة بمجموعة محددة من النساء ولكن بجميع نساء الأرض (أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء). وربما يمكن استيعاب ذلك من خلال منطقنا المفترى من عند أنفسنا بأن الغاية من التيمم هو التطهر من أذى الشيطان. فملامسة الرجل لجسم المرأة الحائض يصيبه

شيء من الأذى حتى لو كانت تلك المرأة من محارمه. لذا وجب على المسلم التيقن من مسألة طهارة المرأة التي يلامسها. فإذا ما كانت في مرحلة الحيض، فهذا يدعو إلى التيمم مهما كانت درجة صلة القرآبة له بها.

الدليل: لباس التقوى

قال تعالى:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: 26]

لو تفقدنا هذه الآية الكريمة لوجدنا أن للإنسان لباسين اثنين:

1. لباس يواري السوءة (الجسم)
2. لباس التقوى.

ليكون السؤال الحتمي هو ما الفرق بين هذين اللباسين؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن اللباس الذي يواري السوءة هو ما يمكن أن يغطيها فلا تنكشف للآخرين، أليس كذلك؟

ويمكن أن يكون هذا اللباس هو الثياب:

- ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩﴾ [الأنعام: 9]

مهما كانت نوعية هذا اللباس، كأن يكون من حرير أو من سندس وإستبرق في حالة لباس أهل الجنة:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾ [الحج: 23]
- ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾ [فاطر: 33]
- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٣١﴾ [الكهف: 31]
- ﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣﴾ [الدخان: 53]

ولا شك أن الحلية هي جزء من اللباس، مادام أن اللباس هو ما يغطي السوءة كلها (الجسم) أو شيئا منها:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾ [النحل: 14]
- ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾ [فاطر: 12]

لكن لا شك عندنا أن الهدف من اللباس هو التغطية حتى لا يحصل الانكشاف، فالليل هو اللباس الذي يسترنا حتى لو لم يكن هناك لباس مادي:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ٤٧﴾ [الفرقان: 47]
- ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠﴾ [النبأ: 10]

ولا شك أن كثير من الناس (مثل بعض أهل الكتاب) يلبسون الحق بالباطل ليغطي عليه:

- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [آل عمران: 71]

فإلباس الحق بالباطل يؤدي إلى تغطية الحق، فلا يصبح ظاهرا للعيان.

دعاء: أعوذ بك ربي أن أكون ممن يلبسون الحق بالباطل، إنك أنت السميع البصير - آمين

ولا شك أن الرجل هو لباس لزوجه لأنه وقاية لها، وأن الزوجة هي لباس لزوجها لأنها وقاية :

- ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البقرة: 187]

السؤال: إذا كان هذا هو (بشكل عام) اللباس الذي يواري سوءاتنا فلا تنكشف، فما هو إذن لباس التقوى الذي هو لا شك خير:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: 26]

بداية، نحن نظن أننا يجلب أن نلفت الانتباه إلى معلومة نظن أنها غاية في الأهمية مفادها أن اللباس (بغض النظر عن نوعه) يمكن أن ينزع عن الشخص بدليل أن الشيطان هو الذي نزع عن أبوينا لباسهما ليرهما سوءاتهما:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

فمادام أن اللباس يمكن أن ينزع، فهذا يدل على أن السوءة تبد للآخرين، فإذا ما نزع اللباس المادي عن الإنسان، فإن الناس من حوله سيرون سوءته، وهذا لا شك سيشكل له حرجا كبيرا .

السؤال المحوري: ماذا لو نزع عن الإنسان لباس التقوى الذي هو – لا شك- خير:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: 26]

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نظن أنه لو حصل نزع للباس التقوى عن الإنسان، فإنه سيصبح عرضة للشيطان، عندها سيستطيع الشيطان أن يحدث بالإنسان ما لا يحمد عقاباه مادام أنه يرانا وقبيله من حيث لا نراه:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

نتيجة مفتراة 1: اللباس المادي يحفظ سوءة الإنسان عن الانكشاف للناس الآخرين من حوله

نتيجة مفتراة 2: لباس التقوى يحفظ الإنسان من الشياطين الذين يرونا من حيث لا نراهم

الدليل: باب الجنابة

لو تدبرنا الآيات الكريمة ذات العلاقة بالطهارة، لوجدنا الحديث واضحا عن حالة الجنابة:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: 6]

ونحن نظن بأن الجنابة تتحقق عندما ينزل الرجل المني من عضوه الذكري بالجماع أو الاستحلام أو بالقذف الذاتي. ونحن نعلم أن على كل مسلم يكون في حالة جنابة أن يقوم بعملية التطهر (وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ).

السؤال: لم يتوجب على من كان جنبا أن يتطهر؟

للإجابة على هذا التساؤل، فلابد (نحن نرى) من التعرض لمعنى مفردة (جُنُبٗا) التي ترد في قوله تعالى:

- ﴿... وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ... ۝٦﴾ [المائدة: 6]

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لو مفردة (جُنُبًا) ومشتقاتها في السياقات القرآنية على مساحة النص القرآني كله، لوجدناها قد وردت في السياقات القرآنية التالية :

أولا، وردت للحديث عن الجار الجنب والصاحب بالجنب في قوله تعالى :

- ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء: 36]
- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢﴾ [يونس: 12]

ثانيا، وردت عند الحديث عن أخت موسى التي بصرت بأخيها موسى في يد آل فرعون عن جنب، قال تعالى:

- ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١١﴾ [القصص: 11]

السؤال: كيف نفهم هذه السياقات القرآنية؟ وبكلمات أكثر دقة دعنا نطرح التساؤلات التالية:

1. من هو الجار الجنب؟
2. من هو الصاحب بالجنب؟
3. كيف بصرت الأخت بأخيها عن جنب؟
4. الخ

باب الجار الجنب

نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن الجار الجنب هو الجار الذي يكون ملاصقا لك من كل الاتجاهات. فجارك الذي يسكن إلى اليمين منك هو جار جنب بالنسبة لك، وكذلك الجار الذي يسكن عن شمالك. والجار الذي يسكن من أمامك هو جار جنب بالنسبة لك، وكذلك الجار الملاصق لك من الخلف .

السؤال: لماذا؟

جواب مفترى خطير جدا: نحن نظن أن الجار الجنب هو القاطن بجنبك فيستطيع أن يكشفك، فتصبح أنت بالنسبة له مكشوفا له، كما أنه هو مكشوف لك. انتهى.

باب الصاحب بالجنب

أما صاحبك الذي بالجنب، فهو الذي يسكن بجنبك لكن لا يكون انكشافك لك مباشرا. فهو الذي يسكن بجنبك لكن لا تكون انكشافه لك مباشرا .

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: تخيل أنك تسكن في عمارة من طوابق، ويحيط بتلك العمارة بيوت أخرى من حولك. فالذي ينكشف عليك مباشرة وتنكشف عليه مباشرة، فهو جارك الجنب، ويكون الانكشاف أفقي. لكن الذي يسكن من فوقك في العمارة والذي يسكن تحتك في العمارة، فإنك لا تكون مكشوفا له مباشرة، لذا فهو صاحبك بالجنب .

ولو تفقدنا اللفظ بين الحالتين (الجار الجنب) مقابل (والصاحب بالجنب)، لوجدنا أن الأول لا يستخدم معه حرف الجر الباء، فهو جار جنب، أما الثاني فقد استخدم معه حرف الجر الباء، وذلك لوجود (نحن نرى) حاجزا بينك وبينه. فالباء هي عبارة عن حاز بين الطرفين.

باب فبصرت به عن جنب

أما أخت موسى فقد بصرت بأخيها عن جنب، فهي التي رأت بطريقة غير مباشرة ما آل إليه مصير أخيها في يد آل فرعون. فقد كانت مراقبة لما يحدث عن جنب. فهو تتبع حركات آل فرعون دون علم منهم أنها تراقبهم .

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا مهمة جدا: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا أن مفردة جنبا تحمل في ثناياها الانكشاف. لذا عندما نقرأ في الآية الكريمة التالية عبارة:()

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]

فإننا نستطيع أن نفتري الظن بأن الشخص إذا ما كان جنبا فهو إذا قد عرض نفسه للانكشاف. انتهى.

السؤال: لم يكون الشخص الجنب منكشفا.

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نظن أن الشخص إذا ما كان جنبا فإنه يكون قد انكشف للشياطين.

السؤال: لماذا يكون الشخص الجنب منكشفا للشياطين؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: لأن الجنابة تحمل في ثناياها نزع اللباس عن الشخص.

السؤال: أي لباس ينزع عن الشخص الجنب؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الشخص الجنب هو من نزع عنه لباس التقوى. انتهى.

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: عندما تحصل الجنابة لشخص ما، فإن ذلك يحدث في عملية الجماع والاستحلام والقذف التلقائي من الشخص. فحتى لو أحث الشخص الجنابة هو لابس ثيابه التقليدية، لكن ذلك لا يمنع أن يحصل له انكشاف للشياطين لأن هذه العملية تؤدي إلى نزع لباس التقوى عنه الذي هو خير.

السؤال: لماذا لباس التقوى خير كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: 26]

جواب مفترى من عند أنفسنا خطير جدا: نحن نظن أن اللباس الذي يواري السوءة (أي الثياب) هو لباس يقي الإنسان من المؤثرات السلبية الخارجية كالبرد والحر، كما أنه يحفظ سوءة الشخص من الانكشاف للناس من مثله. لكن لباس التقوى هو خير لأنه يقي الإنسان من مؤثرات الشياطين التي قد تحدث بالإنسان ما لا قد يحمد عقباه. لذا على الإنسان أن يتطهر على السريع من الجنابة، لكي يقي نفسه من خطر الشياطين التي تراه من حيث لا يراها.

السؤال: كيف يمكن أن يتطهر الإنسان من الجنابة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا خطير جدا: بأن يلبس لباس التقوى من جديد بعد أن نُزِع عنه بفعل الجنابة.

السؤال: كيف يستطيع الإنسان أن يلبس لباس التقوى من جديد بعد الجنابة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: بالماء، قال تعالى:

- ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١﴾ [الأنفال: 11]

دقق عزيزي القارئ في هذه الآية الكريمة جيدا لتجد على الفور بأن الماء الذي ينزله الله لنا من السماء (وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ) له أربع وظائف مترابطة وهي: (1) تطهير لنا (لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ) و(2) إذهاب رجز الشيطان عنا (وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ) و (3) الربط على قلوبنا (وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ) و(4) تثبيت أقدامنا (وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ) .

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن التطهر بالماء هو الوقاية الحقيقة التي تمكن الإنسان من أن يلبس لباس التقوى، فلا تستطيع الشياطين من النفاذ إليه، وبالتالي إحداث الضرر في جسمه.

السؤال: لماذا؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نفتري الظن بأن الشياطين هي عبارة عن مخلوقات إلهية كما أننا نحن البشر مخلوقات إلهية مثلهم، لكن الفرق بين الطرفين يكمن (برأينا) في مادة الخلق. ففي حين أن خلقنا نحن البشر جاء من تراب وماء (طين):

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾ [الأنعام: 2]
- ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ [المرسلات: 20]

جاء خلق الجآن من نار:

- ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الحجر: 27]

لذا، نحن نفتري الظن بأن الجآن (ومنهم الشياطين) تهاب الماء فلا تستطيع الاقتراب منه، لأن الماء (لا شك عندنا) هو العدو اللدود للنار. فبالماء تطفأ النار. فالشياطين تهاب الماء لأن الماء يؤثر فيها بالضرر، فلا تقترب منه.

نصيحة: أنا أنصح نفسي وأنصح غيري (من يؤمن بمثل هذه الافتراءات) أن يعمد إلى التطهر مباشرة بعد إحداث الجنابة، لأن الماء يعيد عليه لباس التقوى الذي نزع عنه في الجنابة، فلا تؤثر الشياطين في جسمه وفي قلبه

باب الربط على قلوبنا

لو تدبرنا الآية الكريمة نفسها، لوجدنا بأن الماء الذي ينزله الله لنا من السماء له وظيفة الربط على قلوبنا، قال تعالى:

- ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١﴾ [الأنفال: 11]

السؤال: كيف يمكن للماء الذي ينزله الله علينا من السماء أن يربط على قلوبنا؟

جواب مفترى: دعنا ندقق في قوله تعالى:

- ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر: 23]

لو دققنا في هذه الآية الكريمة جيدا، لوجدنا الربط واضحا بين الجلود والقلوب. فما أن تلين الجلود حتى تلين القلوب أيضا.

السؤال: لماذا؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن الجلود مربوطة مباشرة مع القلوب. فما أن تقشعر الجلود (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) حتى يكون ذلك سببا في أن تلين تلك الجلود وتلين معها القلوب أيضا (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ) .

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن غسل الجلود بالماء الذي ينزله الله لنا من السماء تؤدي إلى عملية تليين لتلك الجلود ولكنها تؤدي أيضا إلى تليين تلك القلوب. فما يحدث للجلد ينعكس مباشرة على القلب. فعندما يكون الشخص في حالة غضب بسبب أمر ما، فإن من المناسب أن يقوم ذلك الشخص الغضبان بغسل جسمه بالماء، لأن عملية غسل ذلك الجسم بالماء يؤدي إلى عملية تليين لتلك الجلود وبالتالي تليين للقلب، مما يؤدي إلى هدوء ذلك الشخص. وربما يعود السبب في ذلك أنه في حالة الغضب ترتفع درجة حرارة الجسم بسبب تأثير الشياطين (التي هي أصلا من نار) في جسمه، وما أن يقوم الشخص بعملية غسل للجسم حتى يكون ذلك إطفاء لنار الشياطين التي أوقدوها في جسمه وبالتالي نفاذها إلى صدره .

الدليل

لو تفقدنا الآية الكريمة التالية، لربما وجدنا فيها العجب:

- ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: 14]

فنحن لا نتردد أن نسأل عن السبب الذي جعل الربط على قلوب فتية الكهف لازما بالرغم أنه مضروب عليهم آذانهم. فلم ربط على قلوبهم؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نكاد نجزم الظن بأن السبب في الربط على القلوب حتى لا ينفذ إليهم الشياطين حتى في منامهم. فو لم تربط قلوبهم، لربما سنحت الفرصة للشياطين للنفاذ إلى قلوبهم.

ولو دققنا في السياق القرآني التالي، لوجدنا أن الله قد ربط على قلب أم موسى حتى لا تبدي به، قال تعالى:

- ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص: 10]

السؤال: لماذا ربط الله على قلب أم موسى؟

جواب مفترى: حتى لا تبد بطفلها. فلو لم يربط الله على قلب أم موسى لاستطاع الشيطان أن ينفذ إلى قلبها، وبالتالي التلاعب بها، ومن ثم قد يسول لها ما لا يجب. وستكون العاقبة حينئذ وخيمة. لكن عملية الربط على قلبها هو الذي منعها أن تبد به بالرغم أن فؤادها قد أصبح فارغا.

وقد تعرضنا في مقالات سابقة لنا لمعنى أن يكون فؤاد أم موسى فارغا حينئذ، وزعمنا القول بأنه قد أصبح ممتلئا، فما عادت تستطيع أن تسكت (للتفصيل انظر مقالاتنا السابقة)

السؤال: كيف تمت عملية الربط على قلب أم موسى؟

جواب مفترى خطير جدا: نحن نظن أن الربط على قلبها كان بالاغتسال بالماء والشرب منه. انتهى.

الدليل:

قال تعالى:

- ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: 11]

فبالماء الذي ينزله الله علينا من السماء تربط القلوب.

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: ما أن أصبح فؤاد أم موسى فارغا (أي ممتلئا) حتى كادت أن تبدي به، وفي تلك اللحظة، عمدت المرأة (بتدبير إلهي) إلى الماء فغسلت جزءا من جسمها به، وشربت شيئا منه، فهدأت نفسها، فأذهب عنها رجز الشيطان، لأن ذلك الماء هو الذي ربط على قلبها. ولو كان فرعون ذكي جدا (مثلي) وانتبه إلى ما فعلت أم موسى، لربما عرف حينئذ أن المرأة تخفي في قلبها ما لا تستطيع أن تبديه على لسانها. لكن ذلك الغبي (أي فرعون) لم يكن يدرك التدبير والمكر الإلهي الذي لا يستطيع مجاراته.

- ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: 15-17]

باب الرجز فاهجر

نحن لا نكاد نمل من تكرار الظن القول بأن الرجز مصدره الشيطان، بدليل قوله تعالى (وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) في الآية الكريمة نفسها:

- ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: 11]

السؤال الخطير جدا جدا: إذا كان الرجز مصدره الشيطان، فكيف نفهم التوجيه الإلهي لمحمد (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) في قوله تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: 1-6]

تخيلات خطيرة جدا جدا لا تصدقوها: نحن نفتري القول بأن هذه الآية الكريمة كانت من أوائل ما نزل على محمد من الآيات المتلوة عليه من ربه، وفي هذه المرحلة كان محمدا (نحن نفتري القول) ضالا، مصداقا لقوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) كما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: 1-7]

السؤال: كيف كان محمدا حينئذ ضالا عندما وجده ربه؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: قبل أن يجد الله نبيه محمدا، كان محمد ضالا يبحث عن الهداية، لكن تلك الضلالة التي كان فيها محمد حينئذ كان مصدرها (نحن نفتري الظن) الشيطان نفسه. ليكون السؤال الآن هو: لماذا؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: في تلك المرحلة من حياة محمد، كان الرجل باحثا عن طريق الهداية بكافة السبل والوسائل، وقد عاني الرجل معاناة شديدة (نحن لازلنا نتخيل) من أجل الوصول إلى الحقيقة، فحاول سلوك كل الطرق الممكنة التي تتيح له الوصول إلى الحقيقة. ولكن في مرحلة ما قبل الهداية التي جاءته مباشرة من ربه، كان له علاقة مع الشيطان الذي هو لا شك مصدر الرجز (أرجو أن لا تقص هذه العبارة عن سياقها الذي وردت فيه للترويج لأفكار نحن لم نقصدها). وكان محمد (نحن لازلنا نتخيل) يعلم أن الشيطان هو سبب ذلك الرجز.

لكن عندما جاءته الهداية الإلهية المباشرة، جاءه التوجيه الإلهي بأن يهجر الرجز، فلا يعد يتعامل مع مصدر هذا الرجز، وهو الشيطان نفسه .

الدليل

ولو تدبرنا مفردة الهجران التي جاءت في سياق الحديث عن الأمر الإلهي لمحمد بهجر الرجز:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [المدثر: 1-5]

لوجدناها قد جاءت في السياقات القرآنية التالية:

- ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: 34]
- ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: 46]
- ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ٦٦ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨﴾ [المؤمنون: 66-68]
- ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ [المزمل: 10]

لنخرج من هذا باستنباط الظن بأن الهجر هو ترك ذلك الشيء. فمحمد إذن مطالب بأن يهجر الرجز:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾ [المدثر: 1-5]

السؤال: ما الذي فعله محمد حتى يهجر ذلك الرجز؟

رأينا المفترى: إنها الطهارة بالماء.

دقق عزيزي القارئ – إن شئت- في سياقات هذه الآيات الكريمة لتجد أن الله قد طلب من محمد (وهو المدثر) بتطهير ثيابه، وكذلك بأن لا يكثر من الجماع (المني):

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦﴾ [المدثر: 1-6]

نتيجة مفتراة مهمة جدا: نحن نظن أن رجز الشيطان لا يطهره إلا الماء الذي ينزله الله لنا من السماء، قال تعالى:

- ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١﴾ [الأنفال: 11]

فهذا الماء هو الذي:

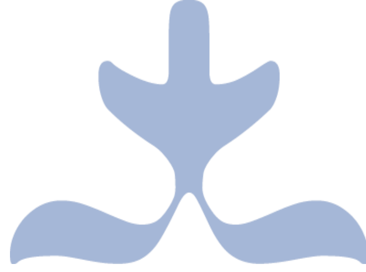
1. يطهرنا الله به

2. ويذهب به عنا رجز الشيطان
3. ويربط به على قلوبنا
4. ويثبت به الأقدام

دعاء: اللهم أدعوك وحدك أن أكون من عبادك المتطهرين، وأسألك وحدك أن تعلمني كيف أتطهر بالماء الذي تنزله علينا من السماء، وأن تذهب عني وعن أهل بيتي رجز الشيطان، وأن تربط به على قلوبنا، وأن تثبت به أقدامنا، إنك أنت العليم الحكيم - آمين

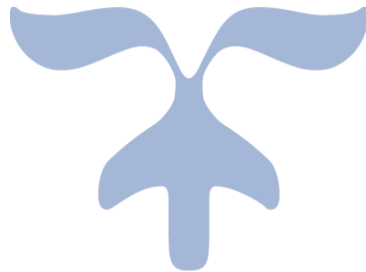
وللحديث بقية بإذن الله

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح
16 شباط 2017



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟

الجزء الثالث



لماذا نصلي خمس مرات باليوم والليلة؟ – الجزء الثالث

سنتابع النقاش في هذا الجزء من المقالة في بعض القضايا الخاصة بالصلاة التي نظن أنها ما زالت تحتاج إلى تبيان في أطار منظورنا هذا المفترى من عند أنفسنا، والذي نظن أنه ربما يخالف كل ما ألفينا عليه آباءنا. فلقد كانت الفكرة المحورية الرئيسية التي حاولنا التنظير لها في الجزء السابق مبنية (نحن نفتري القول) على ما فهمناه من منطوق الآية الكريمة التالية:

- يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26)

فافترينا الظن حينئذ أن الله قد جعل لنا (نحن بين آدم) لباسين ليواري بهما سوءاتنا بعد أن نزع الشيطان عنا اللباس الأول، فأصبحنا (نتيجة غواية الشيطان تلك) مكشوفين له، فأصبح يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

وبالتالي كنا جميعا بعد ذلك عرضة للضرر الذي قد يحدثه الشيطان وقبيله فينا. ولكي يقينا الله (وهو أرحم الراحمين) ضر الشيطان هذا فقد أنزل علينا لباسا ليواري سوءاتنا، فكان عبارة عن لباسين اثنين، وهما:

1. اللباس المادي الذي يستر عوراتنا عن بعضنا البعض (لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ)
2. اللباس المعنوي الذي يستر عوراتنا عن الشيطان (وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ)

وبناء على ذلك، فقد تجرأنا على تقديم الافتراءات التالية:

⇐ في حين أن اللباس المادي يتكون من الثياب المادية التي نعرفها، وهي التي تواري سوءاتنا عن بعضنا البعض (نحن بني آدم)

⇐ كانت الغاية من اللباس الآخر (الذي هو خير) ليوارى سوءاتنا عن الشيطان وقبيله، فلا يستطيع الشيطان إحداث الضرر فينا مادمنا نتسلح بذلك اللباس

⇐ كان لباس التقوى (نحن نرى) يتكون من الماء الذي ينزله الله لنا من السماء فيطهرنا به ويذهب به عنا رجس الشيطان ويربط به على قلوبنا ويثبت به أقدامنا:

- ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١﴾ [الأنفال: 11]

لذا، كان الافتراء الكبير الذي حاولنا تسويقه حينئذ هو أن التطهر بالماء هو الحاجز الحقيقي الذي يصد عنا خطر الشيطان، فلا نكون فريسة سهلة له.

كما افترينا الظن أننا نصبح عرضة للشيطان عندما ينزع عنا لباسنا، ويحصل هذا في الحالات التالية:

1. المجيء من الغائط
2. ملامسة النساء
3. مسّ النساء

أما المجيء من الغائط، فهو يتطلب نزع اللباس المادي لقضاء الحاجة في الحمام، فالإنسان لا يستطيع قضاء حاجته إلا أن ينزع عنه لباسه الذي يكشف جزءا من سوءته، وهذا الكشف الجزئي للسوءة يتطلب التطهر الجزئي (أي التيمم)، فيطلب منا نظافة أعضاء العورة بتنظيفها بالماء حتى تصبح صعيدا طيبا، وإن تعذر وجود الماء لمانع ما، ينوب عن ذلك التراب أو الحجارة أو الورق، ... إلخ. حتى يحضر الماء. وعلاوة على ذلك فإنه لابد من غسل (أو التيمم) أعضاء الجسم المكشوفة من الجسم وهي الوجه واليدين إلى المرفقين والمسح على الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين.

وقد طلب منا (نحن ما زلنا نفتري القول من عند أنفسنا) القيام بنفس العملية في حالة ملامسة النساء، أي الاحتكاك الخارجي بين جسم الرجل وجسم النساء (جميع النساء) بالسلام مثلا أو بالتقبيل. والغاية من ذلك تكمن (نحن نرى) في احتمالية أن تكون تلك النساء حينئذ في حالة المحيض. ولكي نتجنب الحرج عن سؤال من لامسنا من النساء إن كن حينئذ في حالة محيض، فإن الحيطة تتطلب التطهر من أذى الشيطان الذي يصيبهن في مرحلة المحيض. فأنت لا تستطيع أن تسأل كل واحدة من النساء حصلت ملامستك لها إن كانت فعلا في حالة طهارة من الحيض أو أنها قد تطهرت منه من ذي قبل، لذا لا بد من الطهارة من ذلك بالوضوء بعد حصول الملامسة مباشرة، وذلك بغسل (أو التيمم) أعضاء الجسم المكشوفة من الجسم وهي الوجه واليدان إلى المرفقين والمسح على الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين.

أما في حالة مسّ النساء (أي بالجماع)، فإن الجسم ينكشف كله، فيصبح عرضة للشيطان من أعلاه (شعر الرأس) إلى أسفله (أخمص قدميه)، لذا لابد من طهارة الجسم كله بالماء. انتهى.

لكن هذا الفهم المفترى من عند أنفسنا يدعونا على الفور إلى التفريق بين مفردتي اللمس والمس اللتين جاءتا في سياقات الحديث عن النساء في النص القرآني على مساحته.

أما بعد،

باب ملامسة النساء

جاءت الآيات الكريمة التالية لتبين لنا احتمالية ملامسة النساء:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: 43]
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: 6]

ولو دققنا في هذه الآيات الكريمة، لوجدنا على الفور أن هناك فرقاً بين الطهارة والتيمم، فالطهارة لا تكون إلا بالغسل (وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا)، ولكن ملامسة النساء (كمن كان مريضا أو كمن كان على سفر أو كمن جاء من الغائط)، فالطهارة من هذه تتم (في حالة تعذر الوصول إلى الماء) بالتيمم (وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا).

وهنا لابد من التفريق أيضا بين الملامسة التي تكون خاصة بالنساء من جهة ولمس الأشياء الأخرى (كالكتاب وكالسماء مثلا) كما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأنعام: 7]
- ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ [الجن: 8]

فلو دققنا في هذه السياقات القرآنية، لوجدنا أنه من الممكن أن نلمس الكتاب ويمكن أن تُلمس السماء، ولوجدنا أن هذا اللمس يمكن أن يكون بالأيدي كما في حالة لمس الكتاب (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ)، ويمكن أن يكون بغير الأيدي كما في حالة لمس السماء (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا). ليكون السؤال المحوري الآن هو: لماذا يمكن أن يحدث اللمس لأشياء مثل الكتاب ومثل السماء سواء كان ذلك بالأيدي أو بغير الأيدي؟ فما هو اللمس؟ وكيف يختلف عن الملامسة؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن اللمس هو عبارة عن احتكاك خارجي بين جسمين يكون المبادر فيهما الطرف الأول وهو الإنسان أو الجن أنفسهم. فمن يلمس الكتاب بيده هو من يمد يده إلى الكتاب فيلمسه، لكن الكتاب لا يقدم بنفسه على لمس الشخص الذي لمسه، وكذلك هي السماء، فالجن هم من لمسوا السماء مادام أنهم هم من بادروا بأنفسهم إلى فعل ذلك.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: اللمس هو فعل يبادر به طرف واحد، فيحدث اتصالا جسديا مع شيء آخر لا دخل له في ذلك الفعل، فيكون اللمس واقعا من طرف واحد.

أما في حالة ملامسة النساء، فهو فعل يقوم به الطرفان معا، الرجل والمرأة، فيمكن أن يمد الرجل يده بالسلام على المرأة، فلا يحدث ملامسة إلا أن تبادر المرأة هي الأخرى بمد يدها إلى الرجل فتصافحه، فيصبح العمل تشاركيا بين الطرفين.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: الملامسة هي فعل يبادر به طرف واحد، فيحدث اتصالا جسديا مع شيء آخر ولا يتحقق فعل الملامسة إلا أن يبادر الطرف الآخر بالفعل نفسه، فيكون فعل الملامسة قد وقع من الطرفين. وهنا يستوجب فعل الملامسة التيمم لما قد يصيب جسم الرجل من الأذى الذي قد يكون موجودا في جسم المرأة خاصة إن كانت في مرحلة المحيض حينئذ.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: ماذا لو حصل اتصال بين جسد المرأة وجسد الرجل دون قصد من الرجل أو من المرأة، كأن يحصل مثلا احتكاك غير مقصود في وقت ازدحام في السوق مثلا، فهل يسمى ذلك ملامسة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: كلا وألف كلا، فذاك برأينا لا يصبح ملامسة وإنما يقع في باب اللمس كما لو أن الشخص قد لمس كتابا مثلا. وهذا برأينا لا يستوجب التيمم، لأن الأذى – نحن نفتري الظن- لا يصيب الرجل الذي لمس جسده جسد المرأة بطريق الخطأ غير المقصود. وهذا يقودنا إلى تقديم الافتراء الخطير جدا الذي هو لا شك من عند أنفسنا والذي مفاده أن الأعمال فعلا بالنيات، فالنفع أو الضر لا يحدث إلا بوجود الإرادة اللازمة لذلك. وسنرى بحول الله وتوفيقه تبعات هذا الظن على قضايا كثيرة جدا تخص إحداث الضرر والنفع للإنسان. فالله وحده ندعوه أن يعلمنا ما لم نكن نعلم، ونعوذ به أن نفتري عليه الكذب أو أن نقول عليه ما ليس لنا بحق، إنه هو العليم الخبير – آمين.

إن ما يهمنا طرحه هنا هو أن الضرر الموجود في جسم المرأة (نتيجة الحيض الذي هو أذى) لا ينتقل من جسم المرأة إلى جسم الرجل ما لم تكن المرأة راغبة في ذلك الاتصال الجسدي الخارجي. فمادام أن الرجل قد مد يده لمصافحة المرأة (في وقت المحيض) ومادام أن المرأة قد وافقت على ذلك فمدت يدها هي الأخرى لمصافحة الرجل، فهنا قد يقع الأذى، فينتقل شيء منه من جسمها إلى جسم الرجل وبالتالي استوجب ذلك التيمم.

وأما إذا ما أصاب الرجل بجسمه شيئا من جسم المرأة بالخطأ ولم تكن المرأة راضية (أو على دراية بذلك اللمس الذي حصل، فإن الأذى لا ينتقل من جسمها إلى جسم الرجل الذي لمسها.

ولا شك عندنا أن الحالة الإرادية (وبالتالي النفسية) للمرأة تختلف في الحالتين، فالمرأة تكون في حالة وعي تام في حالة الملامسة التشاركية، لكنها تكون غير واعية بذلك في حالة اللمس من طرف واحد. وهذا الشعور الواعي للمرأة (أي الإرادي) هو الذي ينقل شيئا من الأذى الموجود في جسمها (بسبب الحيض الذي هو أذى) إلى جسم الرجل الذي لامسها.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا 1: نحن نظن أن عملية اللمس التي هي من طرف واحد لا تستوجب التيمم

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا 2: نحن نظن أن عملية الملامسة التي هي تشاركية بين الطرفين هي التي تستوجب التيمم

السؤال: ماذا عن مس النساء؟

باب مس النساء

نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن مس النساء هو حصول عملية الدخول أو الإيلاج في المرأة من قبل الرجل، أي الجماع الذي يمكن أن يتحصل من جرائه الحمل في بطن المرأة. قال تعالى:

- ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة: 237]

فعقد النكاح على المرأة يحصل بمجرد الموافقة من الطرفين على ذلك، ويتطلب ذلك موافقة الأهل ووجود الشهداء على عقد النكاح المبرم بين الطرفين. ولكن المس لا يحدث إلا بانتقال المخطوبة من النساء من بيت والدها (أو وليها) إلى بيت زوجها. وما أن تنتقل المخطوبة من النساء بعد عقد النكاح من بيت أهلها إلى بيت زوجها حتى تصبح عرضة للمس، فيمكن للرجل أن يولج فيها، فتكون بذلك قد نكحت ومست معا. وهنا تتحقق لها حصتها من المهر كاملا. لكن إذا حصل النكاح فقط ولم يحصل المس، أي لم تنتقل المخطوبة من النساء من بيت أهلها إلى بيت زوجها بعد إبرام عقد النكاح، وحصل الطلاق قبل أن تنتقل، أي قبل أن تمس، فإن حصتها من المهر المسمى لها في عقد النكاح يتناقص إلى النصف.

نتيجة مفتراة 1: النكاح يتحقق فقط بإبرام العقد بين الطرفين (الذكر والأنثى)، ويتحقق بذلك نصيب الأنثى مما فرض لها في عقد النكاح بمقدار النصف

نتيجة مفتراة 2: المس لا يحصل إلا بانتقال الزوجة المبرم عليها العقد إلى بيت زوجها، وعند ذلك يتحقق لها نصيبها كاملا مما فرض لها في عقد النكاح.

وهذا يقودنا إلى تقديم الافتراء الذي من عند أنفسنا الخطير جدا جدا التالي: لا يجوز للرجل الدخول بالمرأة التي أبرم عليها عقد النكاح إلا بعد أن تنتقل من بيت أهلها إلى بيت زوجها، أي بعد ما يعرف في العرف الشعبي بحفلة الزفاف. انتهى.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن حصول الأمر بخلاف ذلك ينبني عليه أحكام فقهيه خطيرة جدا جدا، تخص المرأة والرجل وأهل الطرفين والذرية المتحصلة بين الطرفين والمجتمع بأكمله.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: دعنا ندقق في جميع السيناريوهات الممكنة الحصول في مثل هذه الحالات. وبعدها سنرى ما يمكن أن يفيدنا مثل هذا الفهم المفترى في فضّ الخلافات التي يمكن أن تنشب بين الطرفين في حال حصل المس من قبل الخطيب لمخطوبته التي أبرم عليها عقد النكاح فقط ولم تزف إلى بيته بعد ذلك.

أما بعد،

تطبيقات شعبية في الزواج

نحن نود أن نسأل القارئ الكريم السؤال التالي: تخيل أنه قد تم إبرام عقد النكاح لرجل غريب على أختك أو ابنتك بموافقتك (مادام أنه بيدك عقدة النكاح) وكذلك بوجود الشهود على ذلك، فهل توافق أن يدخل فيها ذلك الرجل مباشرة في بيتك (أي في بيت أهلها) قبل أن تزف إلى بيت ناكحها؟ فلم (نحن لازلنا نسأل) لا يتقبل الناس على اختلاف مشاربهم مثل هذا التصرف؟ ألا يجد معظم الناس (إن لم يكن كل الناس) حرجا في ذلك (إن حصل)؟ لكن – بالمقابل- لم يقوم الأهل (بمن فيهم من بيده عقدة النكاح من أهل العروس كالأب والأخ) بتجهيز وليمة الطعام للعروس والعريس في اليوم التالي من زفاف ابنتهم إلى بيت زوجها؟ أليست النتيجة واحدة؟ أليس هو فعل الدخول نفسه سواء حصل في بيت الأهل قبل يوم الزفاف أو بعد يوم الزفاف في بيت العريس؟ لم إذن لا تقبل النفس البشرية أن يتم ذلك في بيت الأهل قبل يوم الزفاف؟ ولم يسبب ذلك لهم الحرج لو أنه فعلا حصل على أرض الواقع؟ ولم تطيب أنفسهم بذلك في

اليوم التالي لليلة الزفاف؟ ولم يحضّر أهل العروس (على الأقل في منطقتنا) الطعام للعروسين في صبيحة ليلة الزفاف؟ ولم لا يسبب لهم مس ابنتهم من قبل زوجها في ليلة الزفاف حرجا؟

افتراءات خطيرة جدا من عند أنفسنا: نحن نظن أن هذا ليس له علاقة بقضية الحرج (أو خدش الحياء) على الإطلاق، لأن النتيجة واحدة في كلا الحالتين تتمثل بمس رجل غريب لفرج أنثى هي قريبة لك سواء حصل ذلك في بيت أهلها أو في بيت زوجها. وليس أدل على ذلك مما قد يحصل بعد الزفاف. فتخيل عزيزي القارئ – إن شئت- أنك قمت بزفاف أختك أو ابنتك إلى بيت زوجها، وحصل المس لها من قبل زوجها بفض بكارتها، وتخيل في الوقت ذاته أنه بعد عدة أيام أو أسابيع أو حتى أشهر أو سنوات جاءت ابنتك أو أختك التي زوجتها إلى ذلك الرجل في زيارة إلى بيتك (أي بيت أهلها) مع زوجها الذي نكحها ومسها بعد ليلة الزفاف، وتخيل أن الظروف قد سنحت لذلك الزوج أن يجامع زوجته في بيت أهلها، فهل يشكل ذلك حرجا لأهلها؟

رأينا المفترى: لا أظن ذلك، لأن الزوج قد أصبح مؤهلا لمس زوجته في أي مكان من اختيارهما متى رغبا في ذلك. أليس كذلك؟

السؤال: ما العلة إذن من حصول الحرج في أن يحصل المس للمرأة في بيت أهلها فقط قبل أن تزف إلى بيت زوجها؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن السبب في ذلك يكمن في جملة العقائد والتشريعات التي تبنى على ذلك.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: دعنا نتخيل جميع السيناريوهات التي يمكن أن تحصل على أرض الواقع ثم نحاول أن نرى رأي الشارع الكريم (كما نفهمه طبعا) في كل واحدة من هذه الحالات.

أولا: باب المهر

لعلنا لا نختلف كثيرا في أن هناك فرقاً في المهر للمرأة التي نكحت فقط مقابل مهرها إذا ما نكحت ومست أيضا. دقق عزيزي القارئ – إن شئت- في الآية الكريمة السابقة نفسها، وهي قوله تعالى:

- ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾ [البقرة: 237]

فهذه الآية الكريمة ترشدنا إلى أن حق المرأة من المهر الذي فرض لها في عقد النكاح هو النصف إذا ما حصل طلاق لها قبل أن تمس (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ)، ولا مانع من العفو من قبل المرأة نفسها أو من قبل الذي بيده عقدة النكاح، فالعفو هو أقرب في هذه الحالة للتقوى (وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)، فذلك يكون من باب الفضل بين الناس (وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ).

ولكن بالمقابل، فإن المهر يصبح كله من حق المرأة التي نكحت ومست أيضا، لا بل يصبح من حقها علاوة على ذلك كل ما أوتيت من قبل زوجها خلال فترة المعاشرة الزوجية بينهما، فلو أن الرجل قدّم لزوجته (نحن نفهم) بعد أن صارت إلى بيته قنطارا، فليس من حق زوجها أن يأخذ منه شيئا إلا عن طيب خاطر منها:

- ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾ [النساء: 20-21]

فلو أخذ الرجل شيئا مما كان قد آتاه لزوجته ولو كان قنطارا (وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا)، فإن ذلك يقع في باب البهتان والإثم المبين (أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)، وذلك لأن هذا الذي آتاه الزوج لزوجته قد حصل بعد أن أفضى بعضهم إلى بعض (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ). فإن من حق المرأة أن تأخذ ليس فقط ما كتب له في عقد النكاح وإنما كل ما آتاه الرجل لزوجته طيلة فترة المعاشرة ولو كان قنطارا.

كما نفتري القول بأنه يجب أن تدفع صدقات المرأة (أي ما كتب لها في عقد النكاح) عاجلا غير آجل، كاملا غير ناقص، في حالة إبرام العقد، وفي حالة عدم حصول الطلاق باستبدال زوج مكان زوج، فلا مانع من أن يأخذ الرجل من صداق زوجته مادام ذلك عن طيب خاطر منها:

- ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ [النساء: 4]

ثانيا: باب بيان حالة الأنثى الشرعية

لو تتبعنا السياقات القرآنية الخاصة بالأنثى على مساحة النص القرآني كله، لوجدنا أن هناك تسميات شرعية عديدة أطلقت على الأنثى، فهي أنثى وقد تصبح من النساء، وقد تكون امرأة، وقد تكون محصنة وقد تكون بكرا وقد تصبح ثيبا.

السؤال: كيف يكون ذلك؟ وما الفرق بين هذه الحالات كلها؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الأنثى هي حالة تقابل حالة الذكورة، وهي تتحقق بيولوجيا لحظة الخلق، وتبين جلية لحظة الولادة.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا الخطير جدا: نحن نفتري القول أن هناك فروقا جوهرية بين الذكر والأنثى، مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: 36]

ونحن نجزم الظن بأن الأنثى هي أقل درجة من الذكر، مادام أن للرجال على النساء درجة، قال تعالى:

- ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨﴾ [البقرة: 228]

فالرجال لا شك قوامون على النساء، فهم مفضلون عليهن:

- ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: 34]

وسبب هذا التفضيل (نحن نفتري الظن) هو أن النساء لسن من الناس:

- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران: 14]

ملاحظة مهمة: يجب جلب الانتباه هنا إلى أن التفضيل لا يعني الخيرية كما يمكن أن يفهم العقل الشعبي من معنى المفردة، وإنما يعني – نحن نظن- التكليف، فالتكليف الواقع على كاهل الرجال أكبر من التكليف الذي يقع على النساء. وسنحاول تفصيل هذه القضية بحول الله وتوفيقه لاحقا، عندما نتابع الحديث حول مفهومنا لموضوع تفضيل بعض الرسل على بعض كما جاء في قوله تعالى:

- ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: 253]

ولمفهومنا حول تفضيل بني إسرائيل على العالمين في قوله تعالى:

- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة: 47]

فالله وحده أسأل أن يعلمنا ما لم نكن نعلم وأن يهدينا لأقرب من هذا رشدا- آمين.

فالنساء (كإناث) لسن أكثر من شهوة من شهوات الرجال الكثيرة التي هي لا شك عندنا متاع الحياة الدنيا.

ويبين الاختلاف بين الذكر والأنثى في وجوه عديدة، نذكر منها:

أولا، الخلق. فنحن نفهم (ربما مخطئين) بأن خلق الذكر يختلف اختلافا جذريا عن خلق الأنثى، ففي حين أن الناس (أي الذكور) مخلوقون من ذكر وأنثى:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: 13]

فإن الإناث لم يخلقن من ذكر وأنثى، وإنما جاء خلقهن من نفس أزواجهن:

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 21]

ولتوضيح الصورة أكثر، دعننا نستخدم المفردات العلمية الدارجة عند أهل الاختصاص، ففي حين أن الخلق يبدأ في بطن المرأة الذي يصب فيه الرجل المني، فإن الذكورة تتحقق بتلقيح الحيوان المنوي الذكري (Y) للحيوان الأنثوي (X)، لكن الأنوثة تتحقق - بالمقابل- بتلقيح الحيوان المنوي الأنثوي (X) للحيوان الأنثوي الآخر (X). فتكون النتيجة على النحو التالي:

افتراء 1: الذكورة هي نتاج تلقيح بين ذكر من الذكر وأنثى من الأنثى (XY)، فيصبح الناس (الذكور) منقسمين بين كينونتين غير متجانستين

افتراء 2: الأنوثة هي نتاج تلقيح بين أنثى من الرجل وأنثى من الأنثى (XX)، فهي إذن مخلوقة من نفس الإنسان. فتصبح الأنثى مخلوقة من كينونتين منسجمتين تماما.

وسنرى تبعات هذا على اضطراب الحالة النفسية عند الرجال (بسبب الصراع الذي لا محالة سينشب بين تلك الكينونتين غير المتجانستين)، مقابل الحالة النفسية الهادئة عند الإناث وذلك لانسجام الكينونتين. فالله وحده ندعوه أن يعلمنا ما لم نكن نعلم وأن يزدنا علما وأن يهدينا لأقرب من هذا رشدا، إنه هو الواسع العليم – آمين.

السؤال: ما الذي يمكن أن نفهمه من ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الإنسان هو عبارة عن كينونتين، هما الذكر (Y) ونفسه (X)، لذا يمكن أن نفهم قوله تعالى:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: 6]
- ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٦﴾ [التغابن: 16]
- ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: 9]

فهناك إذا الذكر (Y) وهناك نفسه (X). لذا، فالإنسان كينونتان اثنتان، لذا يمكن أن نفهم لم يتبلور حقه في الميراث على أرض الواقع ضعفين:

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١١﴾ [النساء: 11]

وكذلك في الشهادة ضعفين:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة: 282]

وفي الطلاق مرتين:

- ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ [البقرة: 229]

لكن بالمقابل فإن الأنثى كلها وحده واحدة هي النفس فقط، لذا يصبح حقها في الميراث وفي الشهادة وفي الطلاق نصف حق الرجل. فهي تأخذ نصف ما يأخذ الذكر في الميراث، وهي تشهد شهادة واحدة مقابل شهادتين للرجل، وهي تكون صاحبة الولاية (أي صاحبة القرار) في النكاح بعد أن يستنفذ الرجل حقه في الطلاق مرتين، فهي من تنكح في المرة الثالثة. وانظر عزيزي القارئ – إن شئت- في قوله تعالى:

- ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾ [البقرة: 229-230]

أما في مرحلة ما بعد الولادة، فإن الفرق بين الذكر والأنثى يتجلى بالشكل، ولا يقتصر ذلك على الأعضاء التناسلية الواضحة المعالم بين الذكر والأنثى وإنما أيضا بالوجه (الذي تظهر فيه تلك النفس جلية). فنحن لا نحتاج أن نرى الأعضاء التناسلية للشخص في كل مرة للتمييز ما إذا كان هذا الشخص ذكرا أو أنثى. فمجرد أن تنظر إلى وجه الشخص تستطيع على الفور أن تميّز فيما إذا كان ذكرا أو أنثى. وربما لا يتحقق مثل

هذا الإدراك في الدواب والأنعام. فلو أنت نظرت إلى حمار أو كلب أو قط، فإنك لا تستطيع أن تميّز إذا ما كان ذكرا أو أنثى بمجرد النظر إلى وجهه، بل لابد أن تبحث عن أعضائه التناسلية لتقرر ذكورته من أنوثته.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الذكورة والأنوثة واضحة في وجه الشخص.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: إذا ما نظرت إلى وجه الشخص، فإنك تستطيع أن تقرر فيما إذا كان هذا الشخص متضاربة نفسه أو منسجمة. فالذكر مكتمل لكنه غير منسجم، مادام أنه مكون من جزأين اثنين مختلفين هما (XY)، فوجه الرجل واضح فيه الاختلاف، فلا يتصف بالنعومة والجمال كما في حالة وجه الأنثى الذي لا يظهر فيه هذا الاضطراب مادام أن النفس فيه مكونه من جزئين متطابقين تماما (XX)، فتصبح كتلة واحدة فقط ، فيظهر فيه النعومة والجمال والانسجام. فالجمال الذي لا ينكر في وجه المرأة مصدره (نحن نفتري القول) هذا الانسجام في البناء والتركيب.فكلما زاد جمال الوجه كلما زاد الانسجام، والعكس صحيح، فكلما قل الانسجام، كلما قل الجمال. فالنفس البشرية تستلطف الجمال وتأنس به، وتنفر من القباحة وتتثاقل منها، وربما يفسر مثل هذا الظن ردة فعل الشخص عند رؤية شخص غريب للمرة الأولى، فغالبا ما يكون عنه بمجرد النظر في وجهه صورة حقيقية لماهية هذا الشخص الغريب.

لكن هذه الأنثى (X) المنسجمة مع نفسها تمر بمراحل مختلفة (تختلف فيها التشريعات في كل مرحلة). لذا، لا بد من التعرض لهذه المراحل في الحال لتجلية هذه التشريعات.

أولا، تكون من الإناث لحظة الولادة فيتحقق لها نصيبها من الميراث في الحال على نحو حصة واحدة مقابل حصتين للذكر.

- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء: 11]

ولا يجوز إبرام عقد النكاح عليها أو مسها ما لم تبلغ مرحلة النساء. فهي تصبح من النساء لحظة بلوغها المحيض:

- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: 222]

ثانيا، ما أن تبلغ هذه الأنثى المحيض حتى تصبح من فئة النساء، فتصبح حينئذ قابلة لأن تنكح:

- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾ [النساء: 3]

وكذلك تصبح قابلة للملامسة، فيتوجب التيمم عند ملامستها بسبب المحيض:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: 43]

وكذلك تصبح قابلة للمس:

- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة: 236-237]

ثالثا، ما أن تصبح الأنثى من النساء حتى تندرج في واحدة من فئات ثلاثة وهي: المحصنة والبكر والثيب

السؤال: ما الفرق بين هذه الحالات الثلاث للنساء؟

افتراء 1: نحن نظن أن المحصنة هي التي لم تنكح قطّ، أي لم يطلع عليها رجل بعد، فما أبرم عليها عقد نكاح، وما مست، وليس أدل على ذلك من حالة مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها:

- ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء: 91]
- ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: 12]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: من كانت محصنة من النساء فهي من كانت في حالة كحالة مريم ابنة عمران التي اصطفاها الله على نساء العالمين:

- ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: 42]

وهذا يقودنا إلى افتراء الظن (ربما مخطئين) بأن المحصنة هي بالضرورة بكرٌ، وذلك لأن كل محصنة (نحن نفتري القول) هي بكرٌ.

نتيجة مفتراة مهمة جدا: مادامت الأنثى من النساء محصنة، فلا يقع عليها التعداد في الزواج، فلا يحق للرجل أن ينكح إلا محصنة واحدة:

- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾ [النساء: 3]

افتراء 2: لكن بالمقابل (نحن نظن) أنه ليس من الضرورة أن تكون البكر محصنة.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أنه يمكن أن يبرم عقد النكاح على من كانت من النساء، فينتفي بذلك عنها صفة الإحصان، لكن لا تنتفي عنها صفة البكارة بعقد النكاح ما لم تمس. فمن أبرم عليها عقد النكاح فقد فقدت إحصانها وإن لم تفقد بكارتها بعد. وتبقى بكرا (غير محصنة) ما لم تمس، أي لم تفض بكارتها بعد. ويمكن أن يحصل طلاقها في هذه الحالة، فتصبح بكرا غير محصنة.

نتيجة مفتراة مهمة جدا جدا: في حين أن كل محصنة هي بكرٌ أيضا، لكن ليست كل بكر محصنة. انتهى.

وفي هذه الحالة، يمكن أن يقع عليها التعداد في الزواج. فيمكن للرجل أن ينكح ما طاب له من النساء الأبكار غير المحصنات (بالإضافة إلى الثيبات من النساء)، قال تعالى::

- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ [التحريم: 5]

افتراء 3: أما الثيب، فهي من أبرم عليها عقد النكاح ومست (أي زفت إلى بيت زوجها). فتصبح حالات النساء الثلاثة – برأينا ربما المغلوط- على النحو التالي:

نتيجة مفتراة 1: المحصنة من النساء هي التي لم يرم عليها عقد نكاح قط.

نتيجة مفتراة 2: البكر من النساء هي التي أبرم عليها عقد نكاح لكنها لم تمس.

نتيجة مفتراة 3: الثيب من النساء هي التي أبرم عليها عقد نكاح ومست.

السؤال: ما علاقة هذا بفحوى النقاش الخاص بمس النساء بشكل عام؟

رأينا المفترى: دعنا نرجع إلى الافتراء السابق الذي قدمناه بخصوص الحذر من أن يجامع الخطيب خطيبته في بيت أهلها قبل أن تزف إلى بيته. فلقد أشرنا إلى أن حصول مثل هذا الأمر سيكون له تداعياته الخطيرة على المرأة وأهلها والذرية التي يمكن أن تتحصل من ذلك المس وكذلك على المجتمع ككل.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا: تخيل عزيزي القارئ أن الخطيب قد قام بمجامعة مخطوبته في بيت أهلها قبل أن تزف إليه، ألا ينقلها ذلك من حالة البكارة إلى حالة الثيبات؟ من يدري؟!!!

السيناريو الأول: تخيل لو أن هذا الدخول (في بيت الأهل) الذي سبق زفاف العروس إلى بيت أهلها قد حصل فعلا على أرض الواقع، ولكن حصلت بعد ذلك مباشرة الفاجعة الكبرى بأن هذا الخطيب قد مات لسبب أو لآخر قبل أن يحصل الزفاف (أي قبل انتقال المخطوبة من النساء إلى بيت خاطبها)، فما الذي سيحدث حينئذ؟ هل يتوجب دفع المهر كاملا لها أم فقط نصف ما فرض لها؟ من يدري؟!!!

السيناريو الثاني: ربما يكون السيناريو الأخطر على الإطلاق هو: ماذا لو أن هذا الجماع (قبل الزفاف) قد نتج عنه الولد، فما حصته من الميراث؟ وهل يعتبر ابنا شرعيا للخاطب الذي وافته المنية قبل أن تزف العروس المخطوبة إلى بيته؟ وكيف لأهل الخطيب أن يقروا بأن هذا الولد هو فعلا نتاج العملية الجنسية بين الخطيب والمخطوبة فعلا؟ ألن تخرج الأصوات من هنا وهناك التي ربما تنادي بأن هذا الولد ربما ليس من صلب الخطيب الذي مات قبل أن تزف إلى بيته مخطوبته تلك؟ ثم ألا يمكن أن يحصل الاعتراض من قبل أهل الخطيب على نسبة الولد إلى الخطيب الذي توفاه ملك الموت؟ وهل يحق لأهل هذا المتوفى (أي الخاطب) أن يتأكدوا من صحة نسب المولود إلى ولدهم المتوفى؟

السؤال: كيف يمكن الخروج من هذه المطبات الممكنة الحصول على أرض الواقع؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لقد حدد الشارع الكريم العلاقة بين الخاطب والمخطوبة بمرحلتين: مرحلة النكاح ومرحلة المس، فالمرأة تكون منكوحة فقط ما دامت لم تزف إلى بيت خطيبها، ولكن ما أن تزف إلى بيت زوجها حتى تصبح منكوحة وممسوسة. وفي كل حالة هناك أحكام فقهية يجب مراعاتها.

السؤال: ما تبعات هذه الافتراءات

جواب مفترى: إياك عزيزي القارئ أن تسمح لابنتك أو لأختك أو لمن كنت أنت وليها أن تمس في بيتك. وعليك أن تحرص كل الحرص أن لا تحدث خلوة بين الخاطب والمخطوبة تسمح بأن تمس قبل أن تزف إلى بيت زوجها. وهذا لعمري ما يفعله الناس بطبعهم وفطرتهم التي فطرهم الله عليها وإن كانوا ربما يجهلون الحكمة من وراء ما يفعلون ويطبقون على أرض الواقع. وإياك أختي الكريمة المخطوبة أن تسمحي لخاطبك أن يمسك قبل يوم الزفاف لأن الخاسر الأكبر في حالة حدوث مشاكل لا قدر الله هو أنت. وبخلاف ذلك، فإنك تفتحين الباب على مصراعيه لأن تنطلق الألسنة من كل حدب وصوب باتجاهك، وستكونين أنت الخاسر الأكبر في الصراع الذي ربما ينشب بعد ذلك، لا بل ستكونين أنت الملومة الوحيدة من قبل الجميع في إحداث هذا الإرباك لك ولأهلك ولأهل خطيبك وللذرية التي قد تتحصل من جراء ذلك لا بل وللمجتمع من حولك بأكمله.

السيناريو الثالث: ماذا لو تقدم أحد لخطبة تلك الفتاة التي نكحت وطلقت أو نكحت ومات عنها خطيبها قبل أن تزف إلى بيته، ألا يتوقع الخاطب الجديد أن هذه الفتاة قد نكحت ولكنها لم تمس (أي لازالت بكرا)، فماذا لو تبين له أن الأمر على غير ما ظن وتمنى؟ ماذا لو وجد أن مخطوبته هذه التي نكحت فقط قد مست في بيت أهلها وإن لم تكن قد زفت إلى بيت خاطبها السابق؟ فهل يجب على الخاطب الجديد أن يتقبل ذلك؟ ألا يقع ذلك إذن في باب الغش؟ فكيف يمكن حينئذ فض الخلاف بين الطرفين إن حصل فعلا؟

رأينا المفترى: لمّا كان الإسلام يحرم الغش والتحايل على إطلاقه، ربما وجب أن يكون من حق الخاطب الجديد أن يعرف مقدما فيما إذا كانت مخطوبته هذه قد نكحت فقط (فلازالت بكرا) أو نكحت ومست معا (قد أصبحت ثيبا). وبخلاف ذلك يصبح العقد كله باطلا لوجود شبهة الغش فيه. وبالتالي نحن نرى (ربما مخطئين) أن من حق الخاطب الجديد (إن تبين له عكس ما هو متوقع) أن يفض ذلك العقد دون أي خسارة تذكر من طرفه، لا بل يجب على أهل المخطوبة أن يتحملوا النفقات كلها، لا بل والتعويض للخاطب بسبب الظلم الذي وقع عليه نتيجة الغش الذي وقع في العقد المبرم بين الطرفين.

عودة على بدء

إن ما يهمنا في هذا الخروج الطويل (ربما غير المبرر) عن فحوى النقاش هو التأكيد على أن المسّ يختلف عن اللمس وعن الملامسة. ففي حين أن اللمس يقع من طرف واحد ويصيب الخارج من الجسم، فإن الملامسة تقع من الطرفين. ويبقى اللمس والملامسة خاصا بالجسم من الخارج. لكن المس بالمقابل فهو فعل يصيب الخارج والداخل من الجسم معا، أي هو عملية إيلاج يقوم بها الرجل في فرج المرأة، وليس أصدق على ذلك – برأينا- مما قالته مريم ابنة عمران- عندما جاءها رسول ربها ليهب لها غلاما زكيا:

- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 47]
- ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم: 20]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن الولد لا يمكن أن يتحصل إلا بالمس. فيجب أن تمس المرأة حتى تحمل في بطنها الولد. وهذا بالضبط ما استعجبت منه مريم عندما جاءها رسول ربها ليهب لها غلاما زكيا.

لذا جاء رد رسول ربها على النحو التالي:

- ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: 21]

نتيجة مفتراة 1: اللمس لا يحتاج إلى تيمم

نتيجة مفتراة 2: الملامسة تتطلب التيمم

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: 43]

نتيجة مفتراة 3: المس يحدث الجنابة. لذا، يتطلب الطهارة

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: 6]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن الملامسة تستدعي التيمم، لأنها خاصة بالنساء، أي كل من بلغت المحيض من الإناث. فإذا ما كانت الأنثى من النساء اللاتي يحضن، فإن ملامستهن تتطلب التيمم من كل ما يمكن أن يسببه هذا الأذى بالشخص الذي يلامسها. ويحمل مثل هذا الظن في ثناياه افتراء الظن بأن الملامسة لا تستدعي التيمم في الحالات التالية:

1. إذا علم الشخص الملامس للمرأة بأن المرأة ليست في حالة محيض كعلم الزوج بزوجته
2. إذا كانت الأنثى لم تبلغ سن المحيض، كالأطفال
3. إذا كانت المرأة من القواعد من النساء اللاتي لا يحضن
4. إذا كانت النساء من أولئك اللائي لم يحضن (سنتعرض لهذه الجزئية لاحقا بحول الله وتوفيقه):

- ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق: 4]

باب الالتزام بالدور

لما كانت الصلاة هي بمثابة الإقامة الجبرية المفروضة على العباد المؤمنين في الأرض، وجب الحضور للتوقيع في الأوقات المتفق عليها، ولكن يستطيع المؤمن أن يقيمها منفردا إذا أراد هو ذلك، فيكون قد شهد لنفسه بذلك، ولكن من الأفضل – لا شك عندنا- أن يقيم المؤمن الصلاة في جماعة ربما ليشهد له الآخرون بذلك.

السؤال: ماذا يترتب على من يحضر الصلاة في جماعة أن يفعل؟

رأينا: مادام أنك حضرت إلى مكان يتواجد فيه غيرك للقيام بالفعل نفسه، فإن من أبسط السلوكيات التي وجب الالتزام بها (نحن نفتري القول) هو الالتزام بالدور (أو Queue أو Line باللسان الأعجمي).

السؤال: لماذا؟ وأين الدور في إقامة الصلاة؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لا شك عندنا أن هناك ميّزة لمن يحضر مبكرا إلى المسجد من أجل فعل إقامة الصلاة في جماعة، وذلك لأنه (نحن نظن) يستطيع أن يقوم بالتوقيع أولا، فكلما كنت أقرب إلى الصف الأول، كلما حان دورك قبل الآخرين.

السؤال: ما الذي يحصل في مساجد المسلمين؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الفوضى العارمة هي السلوك الواضح في مساجد المسلمين على وجه التحديد. وهذه الفوضى واضحة في دخولهم وخروجهم واصطفافهم للصلاة. ولعلي أستطيع أن أتجرأ – بناء على مشاهدتي لسلوكيات المسلمين في المساجد- على الافتراء الخطير جدا التالي: إن الفوضى التي تعمّ

بلاد المسلمين بشكل خاص (من دون معظم شعوب الأرض الأخرى) سببها (أنا أفتري القول) ثقافة الحضور إلى المسجد للقيام بالصلاة في جماعة. ولعلي أكاد أجزم القول أيضا بأن هذه الفوضى العارمة في حياة المسلمين كان جلّها بسبب الخطأ في الفهم لما يسميه أهل العلم بحديث الاستهامّ على الصف الأول، كما جاء في صحيح البخاري:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))

فترى كثيرا من المسلمين الذين يحضرون إلى المساجد متأخرين يحاولون الوصول إلى الصف الأول بغض النظر عن وقت حضورهم، فقد يكون هو آخر الداخلين إلى المسجد إلا أنه يتخطى رقاب الجميع بهدف الظفر بالوقوف في الصف الأول، ظانا بأنه بهذه الطريقة إنما يطبق قول رسوله هذا (إن صح بالطبع).

رأينا: إن هذا المسلم الذي دخل المسجد متأخرا وحاول تخطي رقاب المؤمنين الذين سبقوه هو نفسه الذي لا يلتزم بالدور في المخبز وفي موقف الباص ومحطة القطار، وهو نفسه الذي يحاول أن يسبق الآخرين في كل تصرفاته (ويكأنه في ساحة معركة مع الجميع)، ظانا أنه بذلك إنما يظفر بحق له، لا بل وأن هذا العمل – في ظنه- هو من النوع الذي يقربه إلى الله زلفا. فترى المسلم (على وجه التحديد) فوضوياً في حياته اليومية، لا يلتزم بمواعيد، ولا يتقيّد بدور، ولا ينتبه لمشاعر الآخرين.

السؤال: لماذا يحصل هذا في بلاد المسلمين أكثر من بلاد غيرهم؟

رأينا: نحن نظن أن المسلم الذي وجد أن الشرع (كما فهمه من عند أهل الدراية منهم) يبيح له تخطى رقاب الآخرين في الاصطفاف للصلاة جماعة، والوصول إلى الصف الأول حتى لو اضطر للاستهام (أي رمي الآخرين بالسهام)، يجد أنه ربما يشرع له أيضا (حسب منطقه غير المعلن بالطبع) أن يتخطى "رقاب الآخرين" في الأعمال الدنيوية؟ ألا تراه يأكل ما سبقت يداه الآخرين إليه؟ ألا تراه يحاول أن يتخطى "رقاب" زملائه في العمل حتى لو كان كثير منهم أحق منه فيها؟ ولكن هل رأيت كثيرا من أبناء المسلمين يراجعون أنفسهم إذا ما شعروا بأنهم قد أخذوا حقا ربما يكون الآخرون هم أصحابه؟ من يدري؟!

إن ما يهمّني في هذا الطرح هو السلوك الذي يغرزه هؤلاء (بطريقة غير مباشرة) في أذهان الصغار من أبنائهم الذين يحضرون إلى المساجد لإقامة الصلاة فيها.

إن ما يهمّني هو ما يعززه خطباؤهم في أذهان النشء من أبناء لمسلمين بمثل هذه الأحاديث التي يرونها ولا يكادون يفقهون حديثها.

إن ما يهمّني هو أن ما يُغرس في ذهن المسلم الصغير من جراء هذه التصرفات "في المساجد" لا يمكن أن يمحوه التعليم والتثقيف لاحقا. فكم حاولت في حياتي اليومية أن أكون منظما فلا أعتدي على الآخرين! لكن للأسف الشديد، باءت معظم محاولاتي بالفشل، فها أنا أزاحم الناس في المخبز وفي موقف

الباص، وفي كل طابور حتى في السيارة على الإشارة الضوئية. وها أنا أزاحم زملائي في العمل لأخرج بمكتسبات ربما غيري هو الأحق بها!

إن ما يهمّني هو هل فكرت للحظة (عندما يطلب مني أن أقوم بعمل ما له مردود معنوي ومادي في وظيفتي) بأن غيري قد يكون أحق به مني؟ هل قلت في نفسي: ألا يمكن أن أكون قد أخذت حق غيري طمعا في بعض المكاسب والمغانم الدنيوية؟ تخيل عزيزي القارئ – إن شئت- ما الذي يمكن أن يفيد بلاد الإسلام لو أن كلاً منا توقف للحظة ليحاسب نفسه لئلا يأخذ حق غيره؟ ألا يساهم ذلك في إنهاء الفوضى التي تعم بلاد الإسلام؟

مثال: عندما يُكلّف الوزير الأول (أو رئيس الوزراء) بتشكيل طاقمه الوزاري، ألا تعلو "زغاريد" الوالدة والأخت والزوجة لمن تم اختيارهم؟ ألا تقام الحفلات بالرقص والغناء في مضارب آباء من وقع الاختيار عليهم؟ ألا تنطلق التهاني من كل حدب وصوب وبكل وسائل الاتصال الجماهيرية الممكنة من عند من ظنوا بأن صاحبهم هذا هو من أصحاب "الحظ العظيم"؟ ألا يمكن تلخيص كل عبارات التهاني والتبريكات التي أطلقوها في قول واحد؟ ألا ترى أن لسان حالهم ويكأنه يقول لصاحب "الحظ العظيم" بأنك الشخص المناسب في المكان المناسب؟ لكن أليس من الواجب على هذا الشخص أن يسأل نفسه: هل فعلا أنا الرجل المناسب (صاحب الحق الشرعي) في المكان المناسب؟ أليس من الممكن أن يكون هناك من هو أحق مني في ذلك؟ ألا أكون بذلك قد أخذت حق غيري؟ من يدري؟!

لذا، يبقى السؤال الذي لابد من طرحه على مسامع الجميع (وخاصة هؤلاء الذين ظنوا أنهم أصحاب حظ عظيم في هذه الحياة الدنيا)، هو: ماذا لو كان هناك من أبناء جلدتك من هو أحق منك بما كسبت يداك؟ ماذا لو تبين أنك قد أخذت ما هو من حق غيرك؟ هل تستطيع أن تتخيل مقدار الظلم الذي أوقعت فيه نفسك بما كسبت يداك؟ من يدري؟!

السؤال: من أين جاءت هذه الفوضى في بلاد الإسلام على وجه التحديد؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن هذه الفوضى قد نشأت معنا في المساجد. فالذين لم يفهموا ولم يفهموا الناس فحوى ما نقلوه عن محمد في هذا الحديث:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))

هم – لا شك عندنا- المسئولون عن كل هذه الفوضى التي تعم بلاد الإسلام، إنهم أهل الدين، إنهم أصحاب العمائم السوداء والبيضاء، الذين تنفجر حناجرهم على المنابر، فيرددون ما لا يفقهون.

السؤال: ما البديل عن هذا الوضع القائم الذي لا قد يسر كثيراً من أبناء المسلمين أنفسهم؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الدين قد حثّ على الإسراع بالمجيء إلى المسجد للظفر بالدور في حفل التوقيع على الإقامة الجبرية المفروضة عليك، فكلما حضرت مبكرا إلى المسجد كلما حان دورك أولا، بغض النظر عن من سبق (في معركة الصف الأول التي ورثناها من أهل الدين). فإذا حضرت إلى المسجد، فانظر عزيزي القارئ المؤمن بربك لترى بأم عينك من سبقك في القدوم، ولا تحاول أن تتخطاه، حاول أن تقدّمه على نفسك إن وجدت أن المكان لا يتسع إلاّ لأحدكما، لأنه هو صاحب الحق في ذلك المكان. وأعلم عزيزي القارئ المؤمن بربك أنه حتى لو اغتصبت حق صاحبك ذاك (لأن سهمك كان أمضى من سهمه)، لما ضاع عليه الأجر، ولما تحصلت أنت على الثواب. لا بل سيكون له (نحن نفتري القول) حق في رقبتك تدين له به إلى يوم الدين، وربما لن يتنازل لك عنه بسهولة إن تمكّن منك هناك. فهل لو أنكما تقابلتما في محطة القطار، وكان هو من وصل قبلك ولو بلحظات قليلة، وكان القطار لا يتسع حينئذ إلا لواحد منكما، فهل لو صعدت أنت في عربه القطار عنوة (لأنك الأقوى مثلا)، فهل سيتنازل لك عن حقه هذا بسهوله لو أنه تمكن منك لاحقا؟

ولعلي أكاد أجزم الظن أن سلبيات هذا السلوك الموروث لا تتوقف عند أخذ الحقوق فقط، بل كانت سببا في وجود الضغينة بين المسلمين حتى لو ظنوا أنهم إخوان. فكم انتابني شعور بالحنق على من كان يطيح بي ليأخذ دوري في الطابور المدرسي، ومن نجح في أخذ دوري في طابور الدوائر الحكومية (غير المنتظم) الذي لا ينقطع في بلاد المسلمين على وجه الخصوص، وفي أولوية العمل، وحتى في الوقوف للصلاة.

السؤال: ما هي عقيدتي في هذه القضية على وجه التحديد؟

عقيدتي: كنت دائما أقول في نفسي (موجها الخطاب إلى كل من تعجل ليأخذ دوري دون وجه حق دون أن يسمعني) أني والله لن أعفو عنك إن كان لي عندك حق حتى لو أن الله نفسه قد غفر لك. فإن غفر الله لك، فذاك حقه، وهو مسئول عنه، فهو الذي لا يسأل عما يفعل، أما إن أخذت أنت حقي، فاقسم بربي الذي أعرفه إني لن أتنازل لك عنه بسهولة؛ فإن كنت لا استطيع أن أتحصل عليه في الدنيا لضعف قدرتي وقلة حيلتي، فلن أتنازل عنه في الآخرة مادام أن الظلم هناك غير وارد. وبالمقابل، فإني أطلق الدعوة واضحة وصريحة لغيري بأن لا يسمح وأن لا يعفو عني إن وجد أني كنت قد أخذت منه حقا هو الأجدر به. فعند الله تجتمع الخصوم، ولا شك أن الله لا يظلم مثقال ذرة، فكن عزيزي القارئ مستعدا لهذا الموقف لتأخذ حقك من غيرك ولتدفع من جيبك للآخرين ما أخذته منهم دون وجه حق.

السؤال: ما الذي كان من الممكن أن يتعلمه النشء من أبناء الإسلام لو أن هذه الفهم المفترى قد أصبح جزءا من عقيدتهم منذ اليوم الأول الذي دخلوا المسجد لإقامة الصلاة فيه؟ وما الذي كان من الممكن أن يتعلمه هؤلاء الصغار لو أنهم رأوا آباءهم يفعلون هذا كلما يدخلون المسجد؟ وما الذي كان من الممكن أن ينغرس في طبائعهم لو أن هذا ما أفهمهم إياه من تصدروا للخطابة على المنابر من أصحاب اللحى الطويلة والثياب القصيرة؟ من يدري؟!

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لو تم غرس هذا السلوك البسيط في أبناء الأمة، لربما تحققت المراقبة الفرية الداخلية للإنسان في كل تصرفاته، ولربما أصبح إنسانا صالحا في المجتمع لا يتعدى على حقوق غيره. وهذا لعمري سيؤدي بالتالي إلى إصلاح النظام الإداري في البلد برمته. فلو أصبح الإنسان لاحقا عضوا في مؤسسة أو شركة، وكان لزاما أن يتم اختيار الشخص المناسب للمكان المناسب، فإن الشخص الذي ربما يكون محط الأنظار لهذا المنصب هو من يراقب نفسه بنفسه، فلو رأى أن هناك من حوله من هو أحق منه بهذا المنصب، لما رضي بأن يتعدى عليه بالطرق الملتوية التي نراها منتشرة في بلادنا الإسلامية. ولكان هو أول م ينادي بأعلى صوته على من يظن بنفسه أن له الأحقية في ذلك أن يتقدم. ولكان هو أول من ينادي (ويقبل) بالمنافسة الشريفة بين المؤهلين لملء المنصب الشاغر. ولو حصل أن كان هو فعلا صاحب الأحقية في ذلك المنصب، لجلس على الكرسي مرتاح الضمير بأنه لم يظلم غيره لأنه ببساطة لم يتخطى رقاب العباد للحصول على مكاسب فردية لا حق له بها، ولكان الجميع مدان له بالطاعة والولاء، ولما خرج من بين الفينة والأخرى من ينادي (سرا أو جهرا) بين الصفوف بالخروج على صاحب المنصب. ولساد النظام بدلا من الفوضى التي نشهدها في أكبر صورها في بلاد الإسلام على وجه التحديد. فتنظيم الصف في الصلاة بناء على الدور هو الضمانة الوحيدة بأن تنظم الصفوف في طابور العمل لاحقا. فهذا – برأينا- هو السلوك الذي يجب أن يجب أن ينغرس في النشأ في المساجد ليؤتي أوكله لاحقا في الحياة العملية.

باب ما يسمى بصلاة "السنة": الفرق بين الصلاة المفروضة والصلاة المندوبة

سنحاول الآن الانتقال إلى جزئية أخرى في فقه الصلاة، ألا وهي مشروعية الصلاة التي عرفت بين الناس (بما أفهمهم إياه أهل الدين) بصلاة "السنّة"، وسنتعرض على وجه التحديد للتساؤلات التالية:

⇐ من أين جاءت؟
⇐ ومتى جاءت؟
⇐ وكيف جاءت؟
⇐ وما هي أوقاتها؟
⇐ وكم عدد ركعاتها؟
⇐ ولماذا جاء الحث على إقامتها في البيت؟
⇐ ولماذا لا تؤدى في جماعة المسجد؟
⇐ ولماذا جاء الحث عليها كصلاة فردية (ليست جماعية) في البيت؟
⇐ وهل هذه فعلا تشريعات حقيقية لها أصل في كتاب الله؟
⇐ وهل هي واجبة أم نافلة؟
⇐ الخ.

لعلي بحاجة في البداية أن ألفت انتباه القارئ الكريم إلى أنني سأتجرأ (بعد قليل) على افتراءات ربما غير مسبوقة في الفكر الديني، لذا أعود إلى تأكيد الفكرة ذاتها التي مفادها أن ما سأقوله لا يخرج عن نطاق قول البشر الذي يتميز بالخطأ والنقص، لذا فهو قابل للتصويب دائما، فإن أنت وجدت الدليل الذي ينقض

ما سنفتريه من قول، فلا تتردد أن تضرب بقولنا هذا كلّه عرض الحائط، أو أن تلقي به في سلة المهملات، لأن هذا هو مكانه الصحيح إن ثبت بطلانه. لكن إن لم تجد دليلا ينقض قولنا هذا، فإننا نحتكم جميعا إلى قوله تعالى:

- ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٥ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ: 25-26]

فالله وحده أدعوه أن يعلمني الحق الذي أقوله فلا أفتري عليه الكذب، إنه هو الواسع العليم - آمين

أما بعد،

دعنا نبدأ النقاش بالافتراء الخطير جدا التالي: ليس هناك في الدين ما يمكن أن يسمى بسنّة محمد. انتهى.

لذا، نحن نتجرأ على القول بأن ما كان محمد يفعله ليس من عنده، وإنما هو تشريع إلهي، وجب على محمد تبيانه للناس، وذلك لأن محمدا لا يتبع إلا ما يُوحى إليه:

- ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنعام: 50]
- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [يونس: 15]
- ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: 9]

ولا ينطبق ذلك على فعل محمد فقط، وإنما ينطبق أيضا على قوله:

- ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: 2-5]

لذا، فإن كل فعل قام به محمد، وكل قول نطق به محمد، لم يكن من عنده، وإنما هو إتباعٌ لما كان يُوحى إليه. انتهى.

السؤال: لماذا؟ وماذا عن ما تناقله الفكر الإسلامي على مدى قرون من الزمن تحت مسمى "السنة النبوية"؟

جواب مفترى: نحن نظن بداية أن مفردة "السنّة" لم ترد في النص القرآني مصاحبة لمحمد إطلاقا. ولكنها جاءت في كل سياقاتها القرآنية لتؤكد أن السنّة هي سنّة الله نفسه، قال تعالى:

- ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨﴾ [الأحزاب: 38]
- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ [الأحزاب: 62]
- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الفتح: 23]
- ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧﴾ [الإسراء: 77]

نتيجة مفتراة: إن سنّة محمد (وجميع رسل الله من قبله) هي سنة الله نفسه. فمحمد (وكل رسول من رسل الله) لا يشرع للناس إلا ما جاءهم من ربهم:

- ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥﴾ [الزمر: 55]

(دعاء: اللهم أسألك وحدك أن تعلمني أحسن ما أنزل إلينا منك، وأدعوك أن أكون أول المتبعين، إنك أنت السميع البصير-

آمين)

ولعلي أكاد أجزم القول أن هذا الفصل بين ما يسميه علماؤنا الأجلاء بالفرض وما يسمونه بالسنّة كان التخريب الأكبر الذي دخل في هذا الدين، ولعلي أكاد أجزم القول بأن هذا الفصل بين ما جاءنا من عند الله وما بيّنه لنا رسوله الكريم كان الغرض منه واضحا: وهو التفريق بين الله ورسله:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾ [النساء: 150]

فالقول بأن هناك تشريع قام به محمد، وهناك تشريع جاءنا من عند الله، لا تعدوا أن تكون – برأينا- أكثر من عقيدة الذين كفروا، وهم الذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله.

شهادة مفتراة (1): اللهم أشهدك باني لست من الذين يفرقون بين الله ورسله

شهادة مفتراة (2): اللهم أشهدك بأني أؤمن يقينا بأن محمدا لم يكن إلا متبعا لما كان يوحي إليه

شهادة مفتراة (3): اللهم أشهدك بأني على العقيدة التي مفادها أنّ السنّة هي سنتك التي لا نجد لها تبديلا ولا نجد لها تحويلا

نتيجة مفتراة مهمة جدا وخطيرة جدا: السنّة هي سنّة الله وليست سنّة محمد. انتهى.

مفارقات مضحكة مبكية

جاءنا في الأثر أن الصلاة فرضت في المعراج، وجاءنا في ذلك الأثر (الخيالي) بأنها قد ابتدأت بخمسين صلاة، فعاد محمد من عند ربه (كما تصوره الرواية) مأمورا بخمسين صلاة، وما أن وصل عند موسى حتى نصحه بالعودة إلى ربه ليخفف عنه، ففعل. فبدأت "رحلة المساومات المكوكية" – كما قرأنها في بعض الكتب وكما سمعناها من أهل الين على منابر الخطابة وشاشات الشهرة الجماهيرية- في التخفيف حتى وصلت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، وهناك استحى نبينا الكريم (كما تصوره تلك الرواية) أن يعود مرة أخرى ليطلب تخفيفا أكثر من ذلك. أليس هذا – يا ساده- ما نخره معلمو الدين في رؤوسنا في المدرسة وثبته خطباء المنابر وشاشات التلفزة المفوهين في عقولنا؟

ما يربكنا: إذا كان محمد قد بذل جهدا لكي يخفف عنا الصلاة المفروضة (كما نقلوا لنا في مؤلفاتهم)، فنجح في تقليصها إلى خمس صلوات بدلا من خمسين (كما أقنعوا العامة من الناس)، رأفة بأمته التي قد لا تطيق ذلك (كما عبرت لنا عن ذلك مشاعرهم)، فما باله يعود من هناك "اليستن" لنا زيادة في تلك الصلوات (كما كذبت علينا ألسنتهم)؟!

السؤال: مادام أنه قد كافح من أجل التخفيف، فلم يعود ليثقل كاهلنا بصلاة من عنده تسمى صلاة السنّة غير الصلاة المفروضة (إن صح ما نقله لنا أهل الرواية)؟ ألا ترى أن قولهم ذاك يناقض بعضه بعضا؟ من يدري؟!

رأينا المفترى: أنا أعتقد يقينا أن الصلاة كما صلاها محمد (بكل تفاصيلها) هي وحي من الله، لم يكن لمحمد أن يزيد فيها شيئا أو أن ينقص منها شيئا، لأن الله قد توعده بالعقاب المباشر لو أنه فعل ذلك:

- ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: 43-47]

فمحمد (نحن نفتري القول) لم يكن إلا رسول متبع لما يوحى إليه:

- ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: 9]

سواء كان ذلك في الصلاة أو في الصيام أو في الزكاة أو في الحج أو في أي عبادة من العبادات التي فرضها الله على عباده المؤمنين:

- ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝١٩﴾ [القيامة: 16-19]

الحبكة: كفاك فلسفة، ما الذي تريد أن تقوله؟ يرد صاحبنا وقد استشاط غضبا على إرث آباءه الذي سينهار أمام ناظريه (إن شاء الله) قريبا بحول الله وتوفيق منه.

جواب: نحن نريد أن نقول أن فعل الرسول (أو ما يسميه أهل العلم بالسنّة) هو تشريع رباني لا دخل لمحمد فيه.

السؤال: إن صح ما تقول، فأين الدليل على أن ما يُسمى بصلاة السنّة هي تشريع إلهي لم يكن لمحمد دخل فيه؟ يسأل صاحبنا.

جواب مفترى من عند أنفسنا: دعنا نطبّق هذا المنطق المفترى من عند أنفسنا في فعل الصلاة كلها، ثم ننظر ما ستؤول إليه الأمور لاحقا.

السؤال: كيف يمكن تطبيق ذلك في حالة فعل الصلاة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: افترينا القول سابقا أن الصلاة المكتوبة (المفروضة) قد وردت في كتاب الله تحت مسمى "إقامة الصلاة" في الآيتين الكريمتين التاليتين اللتين تحددان (كما نفهمهما) أوقات الصلاة الخمسة في اليوم والليلة:

- ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء: 78]
- ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ۝١١٤﴾ [هود: 114]

فحددت الآية الكريمة الأولى صلاتين اثنين وهما صلاة الفجر (لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) وصلاة العشاء (غَسَقِ اللَّيْلِ)، وحددت الآية الكريمة الثانية أوقات ثلاث صلوات وهي الظهر والعصر (طَرَفَيِ النَّهَارِ) وصلاة المغرب (وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ). (للتفصيل انظر الجزء الأول من هذه المقالة)

ليكون السؤال الكبير الآن: أين هي الصلاة التي يرغب علماؤنا الأجلاء تسميتها بصلاة "السنة"، والتي ظنوا أنها غير مفروضة وإنما هي زيادة بفعل النبي نفسه؟

جواب مفترى خطير جدا جدا لا تصدقوه: نحن نظن أن هذه الصلاة قد جاء تفصيلها في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ [طه: 130]
- ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠﴾ [ق: 39-40]

السؤال: وكيف ذلك؟

جواب مفترى: دقق عزيزي القارئ – إن شئت- في قوله تعالى:

- ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩﴾ [ق: 39]

لنطرح عليك بعد ذلك سؤالا محددا، ألا وهو: لماذا طلب الله منا أن نسبح بحمده قبل طلوع الشمس وقبل الغروب؟ وماذا لو قمت أنا بالتسبيح بعد طلوع الشمس بالرغم أن الطلب جاء أن أسبح بحمد ربي قبل طلوع الشمس (وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ)؟ هل يعيب الله عليّ ذلك؟ ثم، ألا أستطيع أن أسبح بحمد ربي متى ما أشاء (بناء على الفهم الشعبي الدارج لمعنى التسبيح)؟ وماذا لو سبحت أنت بحمد ربك بعد غروب الشمس وليس قبل الغروب كما جاء في الآية الكريمة (وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ)؟ وماذا لو سبحت أنا بحمد ربي قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها أو قبل غروب الشمس وبعد غروبها؟ هل يُعاب عليّ ذلك؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: لا، لا تستطيع أن تسبح بحمد ربك متى ما تشاء، لأن التسبيح بحمد الرب كما فصلته الآيات السابقة يجب أن يحصل على أرض الواقع فقط في أوقات محددة بذاتها وهي:

1. قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ
2. وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا
3. وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ
4. وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ
5. وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ

السؤال: لماذا جاء التسبيح بحمد الرب في هذه الأوقات على وجه التحديد؟

جواب مفترى من عند أنفسنا خطير جدا جدا: نحن نفتري القول أن هذه هي الأوقات التي تقام بها ما سماه علماؤنا الأجلاء أهل الدراية كما أوصله لنا أهل الرواية منهم بصلاة السنّة.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: إن ما يسميه علماؤنا الأجلاء بصلاة السنّة هو في الحقيقة (كما نفهمها بالطبع ما جاء في كتاب الله تحت لفظ "التسبيح بحمد الرب". انتهى.

رأينا المفترى: حاول الآن - عزيزي القارئ- أن تستبدل عبارة "صلاة السنّة" كما وصلتنا من عند سادتنا أهل الدراية على لسان أهل الرواية بـ "التسبيح بحمد الرب"، كما نحاول أن نروج لذلك نحن في هذه السطور. ثم انظر ما ستؤول إليه الأمور بعد ذلك بحول الله وتوفيق منه.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: صلاة السنّة كما يحب أهل الدين أن يسمونها هي تسبيح بحمد الرب (كما نحب نحن أن نسميها).

ففي هذه الأوقات المحددة وهي قبل طلوع الشمس (أي ما يصاحب إقامة صلاة الفجر) وقبل غروب الشمس (ما يصاحب إقامة صلاة المغرب)، ومن آناء الليل (ما يصاحب إقامة صلاة العشاء) وأطراف النهار (ما يصاحب إقامة صلاتي الظهر والعصر) هي أوقات التسبيح بحمد الرب. ويضاف إلى ذلك كله أدبار السجود. فهناك تسبيح بحمد الرب تسبق إقامة الصلاة، وهناك تسبيح بحمد الرب في أدبار السجود أي بعد انقضاء إقامة الصلاة.

نتيجة مفتراة: يكون التسبيح بحمد الرب في أوقات إقامة الصلاة المفروضة وفي أدبار السجود (أي بعد إقامة الصلاة) كما في الشكل التوضيحي التالي:

التسبيح بحمد الرب	إقامة الصلاة	التسبيح بحمد الرب
قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ	لدلوك الشمس	وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ
وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ	طرف النهار (1)	وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ
وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ	طرف النهار (2)	وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ
وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا	زلفا من الليل	وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ
وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ	غسق الليل	وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ

ثانيا، لو تدبرت الآيات الخاصة بالتسبيح بحمد الرب مرة أخرى، لوجدت أنها مبنيّة على أساس الرضا للشخص نفسه، قال تعالى:

- ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ [طه: 130]

السؤال: ما معنى أن التسبيح بحمد الرب في هذه الأوقات المحددة مرتبط برضا الشخص نفسه (لَعَلَّكَ تَرْضَى)؟

رأينا المفترى: للإجابة على هذا السؤال، لابد (نحن نرى) من طرح سؤال آخر متعلق بفقه هذه الصلاة التي يريد أهل الدين أن يسمونها بالسنّة. والسؤال هو: لماذا نصلي صلاة مفروضة تكون أفضليتها بشكل جماعي في المسجد، بينما نصلي صلاة "غير مفروضة" تكون أفضليتها بشكل فردي في البيت؟

ملاحظة (1): إقامة الصلاة (أي الصلاة المفروضة) في المسجد وبشكل علني يشهده الكثيرون خير من إقامتها في البيت

ملاحظة (2): التسبيح بحمد الرب (أي ما يعرفه الناس باسم صلاة السنّة) بشكل سري في البيت خير من إقامتها في العلانية (كقيام الليل مثلا – من آناء الليل)

إقامة الصلاة والتسبيح بحمد الرب: رؤية جديدة

دعنا نعود لنبدأ النبش في قصة الصلاة كلها من أولها، طارحين تصورنا المفترى من عند أنفسنا لفقه الصلاة برمتها، محاولين أن نتلمس الطريق إلى التشريع الإلهي الحقيقي الذي من أجله تعتبر الصلاة من أركان الدين الأساسية. داعين الله وحده أن يؤتينا رشدنا، وأن يؤيدنا بروح منه إنه هو العلي العظيم.

أما بعد،

نحن نكاد نجزم الظن أن الصلاة بشقيها (إقامة الصلاة المفروضة والتسبيح بحمد الرب المندوبة) هي الصلة الحقيقية التي توطّد العلاقة الصحيحة بين العبد وربه. فأنا على العقيدة التي مفادها أن هناك حكمة في مشروعية كل واحدة من العبادات، فكما أسلفنا سابقا فإن الصلاة هي العبادة التي ينتفع منها الإله نفسه، وأن الصيام هو العبادة التي تفيد الشخص نفسه، والزكاة هي العبادة التي يستفيد منها المجتمع، والحج هي العبادة التي تتوج ذلك كله. فيوم الحج الأكبر هو يوم الجائزة التي تجتمع العبادات فيها جميعا. وسنتعرض لهذه المباحث بالتفصيل لاحقا بحول الله وتوفيقه.

أما الآن، فدعنا نركز على فقه الصلاة كواحدة من أهم العبادات التي يقوم بها الإنسان في هذه الحياة الدنيا. ليكون السؤال الحتمي الذي لا مفر منه هو: لماذا نصلي أصلا؟ لماذا طلب الله منا أن نقيم الصلاة في أوقات محددة؟ ولماذا طلب الله منا أن نسبح بحمده في أوقات محددة من اليوم والليلة؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: نحن نظن أن الصلاة هي العبادة التي قَسَمها الله بينه وبين عباده المؤمنين.

السؤال: كيف ذلك؟

جواب مفترى (1): نحن نفتري القول أن إقامة الصلاة في اليوم خمس مرات (فيما يعرف بين الناس بالصلاة المفروضة) هي حق الله على عباده.

جواب مفترى (2): نحن نفتري القول أن التسبيح بحمد الله في أوقات اليوم والليلة (فيما يعرف بين الناس بصلاة السنّة) هي حق العباد على الله.

السؤال: وكيف ذلك؟

جواب مفترى: نحن نظن أن ذلك كله يمكن أن يختصر بكلمتين اثنتين كما جاء اللفظ في الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5]

فمن حق الله على العباد أن يعبدوه (إِيَّاكَ نَعۡبُدُ) ومن حق الناس على الله أن يعينهم (وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ).

السؤال: ما علاقة هذا بالفصل بين نوعين من الصلاة (إقامة الصلاة المفروضة) والتسبيح بحمد الرب (ما يسمى بصلاة السنّة)؟

جواب مفترى (1): نحن نقوم بفعل إقامة الصلاة المفروضة بهدف عبادة الله، والشهادة لله بأنه هو الرب الوحيد الذي يستحق أن يعبد. فهي شهادة الوحدانية وعدم الإشراك به شيئا. وذلك لأن الله يغفر الذنوب جميعا إلا أن يشرك به:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [النساء: 48]
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [النساء: 116]

لذا، نحن نفتري القول بأنه من أقام الصلاة المفروضة خالصة لله، فهو فقط من يشهد بأن الله واحد لا شريك له. وهذه الصلاة لا تسقط عن الشخص حتى لو ارتكب بعض الكبائر ووقع في بعض المعاصي، وحتى لو تعذر الوصول إلى الماء للطهارة:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [النساء: 43]

نتيجة مفتراة: عندما يقوم الإنسان المؤمن بفعل إقامة الصلاة (أي الصلاة المفروضة) فهو إذن يكون قد أدى حق الله عليه، أي شهد لله بالوحدانية (إِيَّاكَ نَعْبُدُ).

وما أن يؤدي الشخصُ حقّ الله عليه في هذه الصلاة الجماعية حتى ينفرد الإنسان لوحده في فعل التسبيح بحمد الرب (أي فيما يسمى بصلاة السنّة) ليطلب حقه من الله، وهذا الحق هو أن يطلب العون من الله في صلاة تسمى التسبيح بحمد الله (وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

سؤال: لماذا تكون إقامة الصلاة (أي الصلاة المفروضة) جماعية؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن المؤمنين من عباد الله يصطفون معا في فعل جماعي لإقامة الصلاة المفروضة عليهم، لأن الغرض منها واحد، وهو عبادة الله، أي الشهادة بأن ربهم الله، وهو إله واحد يستحق أن يعبد، وأن هذا الإله لا شريك له. فتلهج ألسنتهم جميعا بكلمة واحدة وهي "سبحانك" في ركوعهم وفي سجودهم.

السؤال: ما معنى كلمة "سبحانك" التي يرددها المسلم دائما في الركوع وفي السجود؟

جواب: تعرضنا لهذه المفردة في أوقات سابقة وافترينا الظن أن كلمة سبحانك، هي كلمة تختزل الشهادة لله بالوحدانية، كما جاء على لسان عيسى بن مريم في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة: 116]

لاحظ عزيزي القارئ الحوار الذي يدور بين الله من جهة وعيسى بن مريم من جهة أخرى، فالله يوجه السؤال مخاطبا عيسى ابن مريم على النحو التالي:

- ﴿... ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ... ١١٦﴾ [المائدة: 116]

فيأتي الرد القاطع من عيسى بكلمة واحدة:

- ﴿... قَالَ سُبْحَانَكَ ... ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: 116]

ولو دققنا في هذا الحوار لوجدنا أن التساؤل الإلهي كان عن احتمالية حصول الإشراك به باتخاذ عيسى وأمه إلهين من دون الله، فجاء رد عيسى لينفي حصول الإشراك بالقول الفصل، وهو كلمة سُبْحَانَكَ.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: عندما ينحني العبد المؤمن في ركوعه للصلاة ويردد مفردة سبحانك، وعندما يخر على الأرض ساجدا ويردد الكلمة نفسها، فإن أعظم رسالة يؤديها هنا هو أن يفرد الله وحده بالعبودية، فلا إله يعبد من دونه. انتهى.

رسالة قصيرة (1): حاول عزيزي القارئ أن تردد هذه الكلمة (سُبْحَانَكَ) فقط، في ركوعك وفي سجودك بهذه النية، أي إخلاص العبودية لله، مؤمنا بأن الله هو وحده الإله الذي يعبد، فلا يُتخذ من دونه إلها آخر.

نتيجة مهمة جدا: مفردة "سبحان الله" تعني إفراد الله وحده بالعبودية، فلا نتخذ من دونه إلها.

السؤال: لماذا التسبيح بحمد الرب (أي ما يسمى بصلاة السنّة) عمل فردي؟ أي لماذا يذهب كل مؤمن ليصلي لوحده فيما يسمى بصلاة السنّة سواء قبل إقامة الصلاة المفروضة أو بعدها؟

جواب مفترى: مادام أن صلاة التسبيح بحمد الرب (أي صلاة السنّة) هي – برأينا- حق العبد على ربه (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، فإن لكل شخص حاجته الخاصة التي يطلبها من ربه، فأنا أسبح بحمد ربي لغرض ربما يختلف عن السبب الذي من أجله تسبح أنت بحمد ربك. فكل واحد من المؤمنين له حاجته الخاصة عند ربه، فيلهج لسان كل واحد منهم بحمد ربه لوحده.

السؤال: لماذا يقول المؤمن في ركوعه سبحان ربي العظيم وبحمده؟ ولماذا يقول المسلم في سجوده "سبحان ربي الأعلى وبحمده"؟

رأينا: عندما يقول المؤمن سبحان ربي العظيم أو سبحان ربي الأعلى أو حتى سبحان ربي وكفى، فهو إذن يشهد لله بالوحدانية، ولكن عندما يزيد على ذلك مفردة "وبحمده: فهو إذن يحمد الله على نعمه التي لا يستطيع أن يحصيها:

- ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: 18]

وهو بذلك يطلب من الله أن يديم عليه تلك النعمة، لا بل ويزيدها لأن القاعدة الإلهية هي على النحو التالي:

- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: 7]

رسالة قصيرة (2): حاول عزيزي القارئ أن تردد هذه الكلمة (سبحان ربي وبحمده) في ركوعك وفي سجودك في صلاة التسبيح بحمد ربك (أي في صلاة السنّة) بهذه النيّة، مؤمنا بأن ما بك من نعمة فمن الله، وأن الله هو وحده القادر أن يحفظ عليك هذه النعمة وأن يزيدك منها:

- ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: 53]

نتيجة مهمة جدا: "حمد الله" هو شكر الله على النعمة التي لا نستطيع أن نحصيها.

السؤال: لماذا الخيرية في إقامة الصلاة (المفروضة) يكون بالإظهار (أي إشهارها) على الملأ؟

جواب مفترى: لأن الهدف هو الشهادة لله بأنه هو الإله الذي يعبد، فأنت تشهد الناس جميعا بأنك تشهد أن الله هو الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي يستحق العبادة.

مثال: أحيانا يصطف المؤمنون كلهم للصلاة جماعة في غير الصلاة المفروضة، كصلاة الاستسقاء مثلا، أو في صلاة العيد، وهكذا. ليكون السؤال هو: لماذا تقام مثل هذه الصلاة (كصلاة الاستسقاء مثلا) جماعة في حين أنها ليست واجبة من كل مسلم مؤمن بربه؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن السبب في ذلك يعود إلى أن جميع المصلين (صلاة الاستسقاء مثلا) مشتركون في الغاية نفسها، وهو نزول المطر بعد انحباس طويل. فما دام أن غاية المشاركين في الصلاة واحدة، وهي طلب نزول المطر، لذا لا حاجة (نحن نظن) لأن يصلي كل منهم لوحده. فالغاية هي التي تجمع المؤمنين في الصلاة.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: إذا ما اشترك المصلون جميعا في الغاية، أصبح اصطفافهم في جماعة واردا، وإذا ما اختلفت غاية المؤمنين من الصلاة، تفرقوا ليصلي كل منهم لوحده.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (1): مادام أن الغاية من إقامة الصلاة المفروضة لجميع المصلين هي واحدة تتمثل بعبادة الله (أي الإقرار بأن الله هو الواجد الأحد الذي لا شريك له، فلا ضير في أن يصطفوا جميعا لأداء هذه الصلاة في جماعة.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (2): مادام أن الغاية من التسبيح بحمد الرب (أي ما يعرف بصلاة السنّة) هو طلب العبد المعونة من ربه، يصبح من الأفضل أن ينفرد كل منهم في صلاته لأن حاجات المؤمنين بربهم تتباين.

ملاحظة: لو راقبت عزيزي القارئ ما يفعله الموحدون في المسجد، لوجدت أنهم يطبقون مثل هذا السلوك لكن ربما من غير دراية منهم بما يفعلون. فما أن يحضر أحدهم إلى المسجد قبل وقت إقامة الصلاة حتى يتخذ لنفسه مكانا فيصلي فيه صلاة فردية، وما أن تنقضي إقامة الصلاة المفروضة جماعة، حتى تجدهم يتفرقون، فيبحث كل واحد منهم عن مكان خاص ليسبح بحمد ربه على إنفراد. ولو راقبت المناطق شبه المنعزلة في المسجد كالزوايا وأطراف المسجد، لوجدت أن من يقف هناك وحيدا هو من يريد أن يسبح بحمد ربه بطريقة متأنية، ربما تختلف عن طريقة المصلين في الأماكن الأكثر ظهورا، والذين غالبا ما يتصف تسبيحهم بالعجلة والروتين. ولعلي أكاد أجزم الظن أنه كلما كانت حاجة العبد أكثر إلحاحا، كلما وجدته يحاول أن ينعزل أكثر عن الناس، ربما ليتقرب أكثر إلى ربه ليشكو له بثه وحزنه:

- ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف: 84-86]

ولعل التسبيح بحمد الرب في آناء الليل (فيما يعرف بقيام الليل) هو التطبيق الفعلي لمثل هذا المنطق المفترى، فكلما وجد العبد المؤمن بربه أن الأبواب قد أغلقت جميعا في وجهه، وأن الكروب قد توالت عليه، وأصبح على يقين بأن من حوله قد عجزوا عن إخراجه مما هو فيه من الغم والهم، تجده قد شعر بالحاجة الماسة أن يقيم الليل في صلاة لا يراه فيها أحد إلا من لجأ إليه وهو رب العالمين، لأنه يعلم أن هذا هو الإله الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم:

- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: 255]

فبالرغم أن الناس جميعا من حوله نيام، لا يعيرون انتباها كثيرا لما حل بهذا الشخص، إلا أن هناك إله لا يغفل ولا ينام، فهو ملاذ المؤمنين في كل وقت وحين.

السؤال: لماذا الخيرية في التسبيح بحمد الرب (أي صلاة السنّة) يكون في البيت بدلاً من المسجد؟

جواب مفترى: لأنك تنشد السرية فيما تطلبه من ربك على وجه الخصوص. فالتسبيح بحمد الرب في جنح الظلام يظهر العلاقة الخاصة التي تنشئها بينك وبين ربك، وهي علاقة لا تريد أن يطّلع عليها الآخرون، لأنه لا حاجة لهم بك ولا حاجة لك بهم، وحاجتك فقط عند ربك الذي تعبده وتعلم أنه هو فقط من يستطيع أن يعينك:

- ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: 5]

عقيدتنا: كيف يجب على المسلم أن يفكر في موضوع الصلاة بشقيها (إقامة الصلاة الجماعية والتسبيح بحمد الرب (الفردية)؟

رأينا المفترى: عزيزي القارئ الكريم، ربما يكون من الأفضل لك أن تنظر لموضوع الصلاة على النحو التالي: أن تؤمن إيمانا مطلقا بأن هناك إلها واحدا يستحق أن يعبد، فلا يُشرك به شيئا، فيجب عليك أن تُشهد الناس جميعا على إيمانك هذا، ولا يكون ذلك بالقول فقط وإنما بالفعل، ونحن نكاد نجزم الظن بأن إقامة الصلاة المفروضة عليك في اليوم والليلة خمس مرات هي التنفيذ العملي لهذه الشهادة. فيجب أن تحرص على أن تأتي إلى المسجد في هذه الأوقات بنيّة الذي يذهب إلى ربه، ليشهد أمامه بأنه هو الإله الأوحد الذي لا يعبد غيره. فتؤدي الصلاة المكتوبة عليك، وتنصرف من هناك فرحا بأنك قد أديت حق الله عليك، فكنت من الذين طبقوا قوله تعالى:

- ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ... ۝٥﴾ [الفاتحة: 5]

وقبل أن تأتي إلى المسجد وبعد أن تنصرف منه يمكنك أن تسبح بحمد ربك (فيما يعرف بصلاة السنّة)، ويكون ذلك بنية الذي يؤمن أن له حق على ربه، فكما أن لله حق عليّ بأن أعبده فلا أشرك به شيئا، فإن لي عليه حق أن يعينني في كل أمري:

- ﴿... وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢١﴾ [يوسف: 21]

(دعاء: اللهم ربي أدعوك وحدك بأن تكون غالب على أمري، فكما كدت ليوسف ودبرت له أمره، أدعوك وحدك أن تكيد لي وتدبر لي أمري كله أوله وآخره، صغيره وكبيره، إنك أنت الغفور الرحيم - آمين)

وبهذه النيّة (نحن نفتري القول) تصلي بشكل فردي، أي بنيّة التسبيح بحمد ربك، لتطلب منه حاجتك التي تريده أن يعينك في قضائها. وهذه الحاجة هي على نوعين اثنين، وهما:

1. أن تشكر الله على نعمه التي أصبغها عليك ظاهرة وباطنة:

- ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٢٠﴾ [لقمان: 20]
- ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: 53]

وهي نعمة لا تستطيع أن تحصيها:

- ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 34]
- ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: 18]

فشكرك لله على هذه النعمة التي أسبغها عليك ظاهرة وباطنة هو الكفيل الوحيد لديمومتها لا بل وزيادتها:

- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: 7]

نتيجة مهمة جدا: لعلي أكاد أجزم الظن أنه من المفترض أن تشرع -عزيزي المؤمن بالله- قبل إقامة الصلاة المفروضة عليك بالتسبيح بحمد ربك (فيما يعرف بصلاة السنّة) بشكر الله على نعمه بنيّة أن يحفظ الله عليك نعمه جميعا ظاهرة وباطنة، لا بل وأن يزيدك من فضله.

---

2. أن تطلب من ربك (الذي لا تشرك به شيئا) أن يكشف عنك ضرا قد مسك:

- ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: 62]
- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: 186]
- ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: 53]

ولعلي أكاد أجزم الظن بأنه ما أن ينتهي العبد المؤمن من إقامة الصلاة المفروضة حتى يهرع إلى ربه مرة أخرى في صلاة خاصة تسبح فيها بحمد ربك بغرض أن يكشف عنك أي ضر قد أصابك. فعقيدة المؤمن في هذه الحالة هي ما نجده في قوله تعالى:

- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: 155-156]

فما عليك أنت كشخص مؤمن (بربك الذي تعبده وحده فلا تشرك به شيئا) إلاّ أن تصبر إذا ما أصابتك مصيبة كما قال موسى لقومه عندما أصابهم الأذى:

- ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: 128-129]

وتلجأ إلى الله (في صلاة تسبح فيها بحمده) أن يكشف عنك هذا الضر. مؤمنا بأن الله قادر على أن يكشف عنك أي ضر مسك لأن الله هو أكبر من كل شيء.

سؤال: لماذا نقول في صلاتنا "الله أكبر" للانتقال من كل حركة في الصلاة إلى الحركة التالية؟

جواب مفترى: نحن نقول ذلك لإيماننا بأن الله هو أكبر، فلا يعجزه شيء في السماء ولا في الأرض:

- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: 44]

ملاحظة مهمة: لو تفقدنا سلوك المصلين في الصلاة، لوجدنا أنه ما أن ينفك الناس من الصلاة حتى يبدءوا بالذكر الذي يتبع الصلاة، فيأخذون بترديد ثلاث عبارات متتالية هي: سبحان الله والحمد لله والله أكبر. وانتشرت بين المسلمين ما تسمى "بالسبحة"، فيبدأ المسلم بتسبيح ربه ثلاث وثلاثين مرة، وحمد الله ثلاث وثلاثين، والقول الله أكبر ثلاث وثلاثين.

السؤال: من أين جاء هذا السلوك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الغاية من ذلك هي تثبيت مقاصد الصلاة بجميع أصنافها، فالصلاة هي:

1. إشهار الوحدانية لله، ويتلخص ذلك بقول المؤمن "سبحان الله"
2. شكر الله على نعمة، ويتلخص ذلك بقول المؤمن "الحمد لله"
3. طلب المعونة من الله على البلاء، ويتلخص ذلك بقول المؤمن "الله أكبر"

باب عدد الركعات فيما يسمى بصلاة السنة

السؤال: لماذا إقامة الصلاة المفروضة محددة بركعات ثابتة لا زيادة فيها؟ ولماذا - بالمقابل- جاء التسبيح بحمد ربك (فيما يعرف بصلاة السنّة) مفتوح السقف في العدد؟

جواب مفترى: لعلي أفتري القول بأن هذا يقع في باب الكرم الإلهي الذي لا نظير له، فالله قد طلب منك أن تعبده في إقامة الصلاة المفروضة عليك في اليوم والليلة خمس مرات، ويكون ذلك بطريقة ثابتة

تشمل الجميع، فصلاتي في هذه الحالة لا تختلف عن صلاتك، ونحن نجتمع جميعا في المسجد لنؤديها بالعقيدة نفسها (وهي الشهادة بوحدانية الله) وبالكيفية نفسها، في الركوع والسجود وعدد الركعات. ولم يشرع لنا أن نزيد في ذلك شيئا ولا أن ننقص من ذلك شيئا. فحق الله يطلبه من عباده جميعا بنفس الطريقة والكيفية.

لكن – بالمقابل - فإن من حقك على ربك أن تطلب منه ما تشاء (في صلاة التسبيح بحمده – أي ما يعرف بالسنّة)، ومن حقك على ربك أن لا يرد لك طلبا مادام أنه هو من تعهد بذلك:

- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: 186]

فمهما كانت حوائجك فإن الله (القادر على كل شيء) هو وحده الذي يتكفل بأن يقضيها لك جميعا. ولو دققنا في الآية الكريمة التي تتحدث عن التسبيح بحمد الرب لوجدناها قد ختمت بعبارة (لَعَلَّكَ تَرْضَى)، قال تعالى:

- ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: 130]

فهذه الصلاة (أي التسبيح بحمد الرب) مشروطة برضا الشخص المؤمن نفسه. فقد أصلي أنا (كتسبيح بحمد ربي) في آناء الليل عشرين ركعة حتى أشعر بالرضا، لكن قد لا تحتاج أنت لأكثر من ركعتين أو أربعة، وهكذا.

السؤال: وهل أستطيع أنا (كمؤمن بربي) أن أقيم الصلاة المفروضة وكفى؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نعم، تستطيع ذلك، لكن تأكد بأنك أنت من سيخسر في نهاية المطاف. لأنك تكون قد أديت حق الله عليك وحرمت نفسك من أن تتمتع بالكرم الإلهي عليك. فالله هو صاحب المنّة والفضل على العالمين:

- ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: 11]

فإن كنت من الذين يشاءون منّة الله عليهم، فما عليك إلا أن تسبح بحمد ربك. ولكن إن شعرت أنك لا تحتاج لهذه المنّة، فلك أن لا تسبح بحمد ربك وتكتفي بإقامة الصلاة المفروضة فقط.

(دعاء: أللهم أسألك أن تنفذ قولك بمشيئتك وإرادتك بالمنّة عليّ، فإني أشهدك أنني ممن يشاءون أن تمنّ عليهم - إنك أنت العزيز الكريم - آمين)

السؤال: كيف أنفذ ذلك على أرض الواقع؟

رأينا المفترى: تخيل عزيزي القارئ أنك استيقظت من نومك في الصباح الباكر قبل إقامة صلاة لفجر، فما عليك أولا وقبل كل شيء إلا أن تبدأ يومك بأن تشكر الله على هذه النعمة، وعلى نعمه الكثيرة التي لا تستطيع أن تحصيها، فتسبح بحمد ربك بهذه النيّة بأن تصلي شكرا لله ركعتين خفيفتين. ولكن تخيل أنك وجدت أنك تريد من الله أن يسبغ عليك نعمة تظن أنها ناقصة عندك كنعمة المال مثلا، فما عليك إلا أن تصلي لله ركعتين خفيفتين بنيّة أن يؤتيك سعة من المال، ولو أنك وجدت نفسك بحاجة أن يسبغ الله عليك نعمة الولد (إن كانت ناقصة أو إن أردت الزيادة منها)، فما عليك إلا أن تصلي لله ركعتين خفيفتين بهذه النيّة. ولو أنك وجدت نفسك بحاجة أن يسبغ الله عليك نعمة إصلاح الزوجة (إن كنت بحاجة لذلك)، فما عليك إلا أن تصلي لله ركعتين بهذه النيّة، وهكذا تصلي ما شئت بمثل هذه النية لكل نعمة تريد من ربك أن يسبغها عليك، وتبقى في مثل هذا الشغل حتى تشعر بنفسك أنك قد رضيت (لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ)، فلا حد لكرم الله مادام أنك بحاجة إليه ليعينك في قضاء حوائجك، فربك (الذي تعبده ولا تشرك به شيئا) قريب يجب دعوة الداع إذا دعاه:

- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: 186]

وما أن تنقضي إقامة الصلاة المفروضة حتى تهرع إلى الله (بعد أدبار السجود) طالبا منه بأن يكشف عنك ضرا قد مسك، فلو أنت شعرت أن نعمة الصحة قد أصابها العطب أو بعض الخلل، فربك وحده هو من يستطيع أن يكشف ذلك عنك:

- ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء: 80]

ولا تنسى أن هذه هي صلاة المضطر، فالله وحده هو من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء:

- ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل: 62]

حاول عزيزي القارئ – إن أردت – أن تهرع إلى الله بمثل هذا الإيمان، ثم انظر عجائب قدرة ربك.

(دعاء: اللهم فاشهد أني أقيم الصلاة لذكرك، بنيّة من يعبدك وحدك، فأنت وحدك إلهي الذي لا شريك له، وأشهد اللهم أني أسبح بحمدك لتحفظ نعمتك التي أسبغتها عليّ ظاهرة وباطنة والتي لا أحصيها، كما أسبح بحمدك وحدك لتكشف السوء والضر عني، فأنا من المؤمنين بأنه لا يكشف السوء إلا أنت، إنك أنت السميع البصير - آمين)

منطق مفترى من عند أنفسنا خطير جدا جدا: دقق - عزيزي القارئ- في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: 186]

ليكون السؤال الآن هو: لماذا قال الله (أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)؟ ألا يكفي أن يكون قول الله (أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ) وكفى؟ فما الحاجة أن يتبع ذلك بعبارة (إِذَا دَعَانِ)؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نظن أن كلّ إنسان يدعو الله هو داع، ولكن لا يتحقق له الاستجابة إلا إذا كان داع يدعو الله كما جاء بصريح اللفظ في الآية الكريمة (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ).

السؤال: ومتى يصبح المؤمن بربه داع يدع الله؟

جواب مفترى خطير جدا جدا من عند أنفسنا: لا يكون المؤمن داع يدعو ربه إلا وهو قائم يصلي، وليس أدل على ذلك – برأينا- مما حصل لزكريا:

- ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران: 38-39]

نتيجة خطيرة جدا جدا: نحن نظن أن الدعاء لا يتحقق من العبد إذا كان داع فقط، ولكنه يتحقق إذا كان داع يدعو ربه (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)، ولا يتحقق هذا الشرط – برأينا- إلا في فعل الصلاة كما فعل زكريا.

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: ما أن شعر زكريا بأنه بحاجة إلى نجدة من السماء، وما أن شعر أنه يريد الولد فعلا، ومادام أنه كان مؤمنا بأن الله وحده هو القادر على تحقيق ذلك له، حتى وقف وحيدا ليسبح بحمد ربه، فوجه وجهه في المحراب، ونادى ربه نداء خفيا:

- ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾ [مريم: 3-6]

فجاءه الرد الإلهي مباشرا على النحو التالي:

- ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝﴾ [مريم: 7]

وكان ذلك الرد في خلال قيامه في المحراب يصلي:

- ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝﴾ [آل عمران: 39]

رسالة قصيرة (3): حاول -عزيزي القارئ - إذا ما وجدت نفسك بحاجة إلى ربك ليعينك في قضاء شيء من حوائجك، أن تقف وحيدا لتسبح بحمده، فتطلب منه ما شئت أن يسبغ عليك من نعمه، وتأكد بأن الله ربك على كل شيء قدير. مؤمنا بأن ما بك من نعمة هي من الله، وأن الله هو وحده القادر أن يحفظ عليك هذه النعمة وأن يزيدك من نعمه التي لا تستطيع أن تحصيها.

باب قراءة الفاتحة في الصلاة

السؤال: لماذا نقرأ فاتحة الكتاب في كل ركعة من الصلاة سواء المفروض علينا إقامتها أو التي نسبح فيها بحمد ربنا (أي ما يسمى بالسنّة)؟

جواب مفترى: دعنا ندقق في آيات فاتحة الكتاب من هذا الباب، قال تعالى:

- ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ [الفاتحة: 1-7]

بداية، لما كانت هذه الآيات هي من القرآن، كان لزاما أن تبدأ القول بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ [النحل: 98-101]

ويكون الهدف من ذلك أن لا تجعل للشيطان عليك سلطان مادمت قائما في صلاتك. فتبدأ بعد ذلك الصلاة باسم الله (الرحمن الرحيم). ليكون السؤال: لماذا؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أننا نبدأ باسم الله لأن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد:

- ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 1-4]

وهذا – برأينا- هو جوهر النيّة في إقامة الصلاة المفروضة، فأنت تصلي لله، لأن الله ليس له سميّا:

- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: 65]

فنحن نعبد الإله الذي نعلم أن ليس له سميّا، فهو الله لأنه هو الوحيد الذي يحق له أن يحمل هذا الاسم، فهو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وهذه هي شهادة التوحيد في أوضح صورها.

ولكننا لا نكتفي بأن نبدأ باسم الله في فاتحة الكتاب بل نتبع ذلك بالرحمن الرحيم:

- ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: 1]

وقد افترينا سابقا أن الدعاء (كل دعاء) لا يكون إلا بهذين الاسمين (الله / الرحمن) فقط:

- ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾ [الإسراء: 110]

نتيجة مفتراة (1): نحن ندعو الله الذي نعبد، وهذا هو جوهر إقامة الصلاة المفروضة.

نتيجة مفتراة (2): نحن ندعو الرحمن الذي يعيننا، وهذا هو جوهر التسبيح بحمد الرب.

ونحن نكاد نجزم الظن – كما افترينا سابقا – أن الله هو الرحمن لأنه القادر على فعل المعجزات التي قد لا تستطيع أن تتخيلها مهما عظمت. فعقيدتك يجب أن تكون مبنية على الإيمان اليقيني أن الله لا يعجزه شيء في السماء ولا في الأرض:

- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: 44]

وهذا هو – برأينا- فقه التسبيح بحمد الرب (فيما يعرف بصلاة السنّة)، فأنت تلجأ إلى الله في هذه الصلاة المنفردة لتطلب من ربك الرحمن أن يريك عجائب قدرته في كل شيء. وذلك لأن عبادتك هنا موجهة ليس لله (الواحد الأحد) وإنما لمن خلقك ففطرك، فكان ربك، انظر الآيات التالية في فاتحة الكتاب:

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: 1-4]

وما أن تصل إلى منتصف تلك السورة العظيمة حتى تجد أن الغاية من الصلاة كلها – كما أسلفنا- قد تجمعت في الآية رقم (5):

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: 5]

ولعل أهم أنواع الهداية على الإطلاق التي يمكن للعبد أن يطلبها من ربه هي هداية الصراط المستقيم:

- ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: 6]

وهو صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين:

- ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة: 7]

وهؤلاء الذين أنعم الله عليهم هم من توافرت بهم الصفات التي ترد في قوله تعالى:

- ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: 69]
- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: 58]

فما دمت أنك تسير على صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، فأنت لا شك على الحق المبين، فتكون بذلك من المسلمين كما جاء في دعاء إبراهيم ربه:

- ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: 128]

(دعاء: اللهم ربي اجعلني مسلما لك ومن ذريتي، إنك سميع الدعاء - آمين)

تلخيص ما سبق: فقه ما يسمى بصلاة السنة

نحن نفتري الظن بأن فقه ما يعرف بين العامة تحت مسمى صلاة السنة هو في الحقيقة (كما فهمناها) تسبيح بحمد الرب، ويكون ذلك في أوقات محددة كما ورد في آيتين كريمتين تتلاقى في مجملها مع أوقات إقامة الصلاة التي ترد في آيتين الكريمتين، كما في الجدول التالي:

إقامة الصلاة	التسبيح بحمد الرب
﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78] ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114]	﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ [طه: 130] ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩﴾ [ق: 39]

ويزيد التسبيح بحمد الرب عن إقامة الصلاة في الأوقات التي ترد في الآية الثالثة التالية:

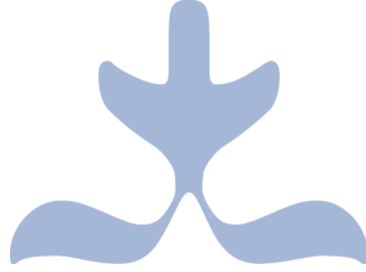
- ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠﴾ [ق: 40]

فيصبح الجدول السابق على النحو التالي:

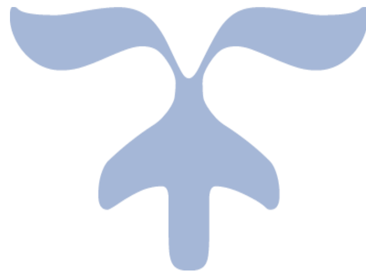
إقامة الصلاة	التسبيح بحمد الرب
﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78] ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114]	﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ [طه: 130] ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩﴾ [ق: 39] ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠﴾ [ق: 40]

وللحديث بقية إن شاء الله

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الشرمان
8 آذار 2017



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟ الجزء الرابع



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟ – الجزء الرابع

حاولنا في الأجزاء السابقة من هذه المقالة تقديم تصورنا المفترى من عند أنفسنا في العديد من القضايا الخاصة بالصلاة مثل عدد الصلوات وأوقاتها والصلاة الوسطى (الجزء الأول) وكذلك مشروعية الوضوء وفقهه (الجزء الثاني) والتفريق بين ما يسمى بالصلاة المفروضة والصلاة المندوبة أو ما يسمى بصلاة السنة (الجزء الثالث). وسنتابع في هذا الجزء الرابع من المقالة التعرض لبقية القضايا التي نظن أن لها علاقة بفقه الصلاة كما يمكن لنا أن نستنبطها من كتاب الله. وهنا سنتعرض لموضوعات مثل:

1. الأقوال والحركات في الصلاة
2. عدد الركعات
3. علاقة الصلاة بالعبادات الأخرى وخاصة الزكاة
4. الخ

أما بعد،

بداية لابد لي في هذا الصدد أن أحاول تبيان قضيتين اثنتين أظن أنهما مفصليتان في هذه الصدد، وهما:

1. مصدر المعلومة الموثوقة
2. طريقة استنباط المعلومة الصحيحة من المصادر الموثوقة

باب مصدر المعلومة الموثوقة

لعلنا لا نختلف جميعا بأن أول مصدر للمعلومة يثق به الجميع من أصحاب الفكر الديني الإسلامي هو القرآن الكريم. وفيما دون ذلك، يقع الجميع في الاختلاف. فإن كنت أنت تقبل بالرواية التي ترد في صحيح البخاري مثلا، فإن غيرك قد لا يثق بها. وبالمقابل فإن كنت أنت تثق بالمعلومة التي ترد في كتاب الكافي للكليني، فإن غيرك يرفضها جملة وتفصيلا. وهكذا يتعاظم الخلاف كلما ذهبنا إلى ما دون ذلك في مصادر التشريع الأخرى المعروفة لدى العامة وأهل الاختصاص على حد سواء.

وحتى لا نفتح على أنفسنا باب الخلاف من بدايته، فإننا سنلتزم كليا بجلب المعلومة من مصدر التشريع الأول كما نفهم نصوصه، مسطرين في الوقت ذاته افتراءات خطيرة هي لا شك من عند أنفسنا، مبنية بكليتها على فهمنا (ربما الخاطئ) لما جاء في قوله تعالى في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١﴾ [الجاثية: 6-11]

الافتراءات

أولا، نحن نؤمن بالله وبآياته المتلوة والمرئية (تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ)

ثانيا، نحن لا نؤمن بأي حديث بعد ذلك (فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ)

ثالثا، نعوذ بالله من كل أفاك أثيم سطر حديثا دون آيات الله، ثم طلب من الناس أن يؤمنوا به (وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ)

رابعا، نعوذ بالله من أنفسنا إن كنا من أصحاب الإفك

خامسا، نعوذ بالله أن نكون ممن يسمعون آيات الله فيتصرف كأنه لم يسمعها (يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ)

سادسا، نعوذ بالله أن نكون ممن إذا علم من آيات الله شيئا أن يتخذها هزوا (وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ)

سابعا، نعوذ بالله أن نكون ممن يتخذون من دونه أولياء (مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

ثامنا، نحن نؤمن يقينا بأن آيات الله هي الهدى (هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ)

نتيجة مفتراة خطيرة جدا جدا: كل حديث دون الله وآياته (بغض النظر عن مصدره) هو إفك مفترى على الله وعلى رسوله. انتهى.

باب الاستشهاد بما يسمى بالأحاديث المنسوبة للنبي نقلا

وهنا ربما يستشيط الكثيرون غضبا ظنًا من عند أنفسهم أننا لا نؤمن بقول أو بفعل الرسول الكريم، لذا يجب أن يكون مفهوما عند الجميع افتراؤنا التالي الذي هو لا شك من عند أنفسنا، ألا وهو: نحن نؤمن إيمانا مطلقا بكل ما قال محمد (فهو الذي لا ينطق عن الهوى)، لكننا في الوقت ذاته لا نؤمن بما تناقله الناس على أنه قول محمد، وأطلقوا عليه لفظ الحديث النبوي. فمشكلتنا لا تكمن في ما قاله محمد وإنما بطريقة نقلهم والغاية من نقلهم لهذه الأحاديث.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن السبب في ذلك يعود إلى الغاية من وجود هذه الأحاديث في ضوء وجود كتاب الله فينا. وهنا لا نتردد أن نطرح بعض التساؤلات التي تؤرقنا ونطلب من كل قارئ لهذه السطور أن يجد الهفوات في كلامنا ليرده علينا.

السؤال الأول: هل تؤمن عزيزي القارئ بأي حديث (منسوب للرسول الكريم) يتعارض في متنه مع منطوق الآيات الكريمة؟ وبكلمات أخرى نحن نسأل: ما الذي تفعله إن أنت وجدت فعلا حديثا يتناقض مع آية كريمة؟ هل تأخذ به أم تأخذ بالآية الكريمة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لعل الغالبية العظمى من المؤمنين تختار الأخذ بالآية الكريمة ولا تأخذ بأي حديث (مهما كان مصدره) إذا كان يتعارض معها. أليس كذلك؟

وهنا قد ينبري البعض بالقول بأن الأحاديث لا تتعارض مع الآيات، وربما نحن بحاجة أن نفهم هذه الأحاديث أولا على حقيقتها قبل القطع بأنها تتعارض مع منطوق الآيات الكريمة.

رأينا المفترى: ربما استطيع الرد على مثل هذا الظن بطرح السؤال الثاني على الفور، ألا وهو: ما الغاية (أو لنقل ما الحاجة) من وجود حديث لا يتناقض مع الآيات الكريمة؟

جواب: ربما يظن البعض بأن الحديث جاء مفسرا للآيات الكريمة، فربما كان منطقهم هذا على نحو أننا قد لا نستطيع فهم الآيات الكريمة نفسها، لذا جاء الحديث ليوضح لنا هذه الآيات.

رأينا المفترى 1: هل يوجد أحاديث كافية لتفسر لنا جميع الآيات الكريمة؟ وإن لم يكن الأمر كذلك، فما الغاية من وجود بعض الأحاديث التي تفسر بعض الآيات؟ ولم لا يوجد أحاديث تفسر جميع الآيات؟ نحن نسأل طبعا.

رأينا المفترى 2: إذا كان هناك أحاديث تفسر بعض الآيات، ألا يدل ذلك على أن الآيات والأحاديث المفسرة لها (كما قد يزعم البعض) يؤديان الغرض ذاته؟ فما الغاية إذن من وجود هذه الأحاديث مادام أنها تعطي المدلول ذاته الذي تقدمه لنا الآيات الكريمة؟ ألا يصبح ذلك يقع في باب الزيادة التي ربما لا طائلة

منها؟ وهل يمكن أن يصل بشر (حتى محمد نفسه) إلى درجة أن يصوغ المعنى بقالب لغوي أفضل من القالب الغوي الذي استخدمه الإله نفسه لصياغة الفكرة نفسها؟ فمن إذن أصدق من الله قيلا؟

رأينا المفترى: إذا كان الحديث يدل على المعنى ذاته الذي تقوله الآية الكريمة نفسها، فلا داع إذن (نحن نفتري القول من عند أنفسنا) لوجود الحديث لأن الله هو أصدق القائلين:

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء: 122]

وهنا قد يرد البعض بالقول أن الحديث يساعدنا في تفسير الآية الكريمة التي ربما لا نستطيع تفسيرها بأنفسها.

رأينا المفترى: نحن نظن أن تفسير الآيات قد جاء مباشرة من عند الله، فهو من قال في كتابه الكريم:

- ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان: 33]

منطقنا المفترى

نتيجة مفتراة 1: إذا كان الحديث يتعارض مع الآية الكريمة، وجب الالتزام بالآية الكريمة، فلا حاجة لنا بما يتعارض مع قول الله بغض النظر عن مصدره

نتيجة مفتراة 2: إذا كان الحديث يقول الفكرة نفسها التي تقولها الآية الكريمة، فلا داع له مادام أنه ليس هناك من هو أصدق من الله قيلا. فآيات الله تكفينا، وهي مصاغة بطريقة يستحيل أن يوجد أفضل منها.

نتيجة مفتراة 3: إذا جاء الحديث ليفسر آيات الله، فإننا نؤمن بأن آيات الكتاب الحكيم جاءت مفسرة من عند الله نفسه، فلا داع لوجود ما يفسرها من مصادر أخرى (وهذا ما سنتعرض له بحول الله توفيقه بشيء من التفصيل لاحقا)

وهنا ربما يريد البعض أن يستدرك قائلا بأن الحديث يكمل الآية الآيات الكريمة، فهو – برأي البعض - لا يناقض الآيات الكريمة، وهو أيضا لا يقول الشيء ذاته الذي تقوله الآية الكريمة، ولكنه مكملا للآيات الكريمة.

جواب مفترى: نحن نرفض مثل هذا القول جملة وتفصيلا لأن الله هو من أكمل دينه يوم أن ختم تنزيل آيات الكتاب الحكيم حيث قال:

- ﴿... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [المائدة: 3]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نؤمن يقينا بأن كتاب الله كامل لا يعتريه نقص، لذا فهو ليس بحاجة لمصدر آخر حتى يكمله.

باب جمع القرآن ونقله مقابل جمع الحديث ونقله

وهنا قد يستدركنا البعض بالقول بأن الذين نقلوا لنا القرآن الكريم هم أنفسهم الذين نقلوا لنا أحاديث الرسول الكريم، فكيف بكم تثقون بنقل القرآن ولا تثقون بنقل الأحاديث؟ ربما يريد بعضهم أن يسأل.

رأينا المفترى: نحن لا نقبل بمثل هذا المنطق المفترى من عند الكثيرين للسببين اثنين على الأقل، وهما:

1. أن القرآن لم ينقل إلينا بطريقة نقل الحديث، وذلك لأن الله هو من تولى جمع قرآنه، قال تعالى:

- ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: 16-19]

فالله (نحن نؤمن) هو من تكفل بمهمة جمع القرآن، وهو (نحن نؤمن) من تكفل أيضا بعملية تبيان القرآن. فالقرآن جمع من لدن عزيز حكيم، وقد تم تبيانه أيضا من لدن عزيز حكيم. فالقرآن مكتمل بذاته، لا يحتاج إلى شيء آخر ليسنده.

2. لو صحّ منطق أهل الحديث بأن عملية جمع الحديث ونقله تواز عملية جمع ونقل القرآن، فإننا ندعوهم على الفور إلى أن يأتونا بآيات صحيحة وأخرى حسنة وثالثة ضعيفة ورابعة موضوعة وخامسة مدسوسة، وهكذا، بالضبط كما رُتِّبت أحاديثهم في التصنيفات التي هي من صناعتهم أنفسهم. فمنطق القول عندنا هو على النحو التالي: لو أن جمع الحديث ونقله مواز لعملية جمع ونقل القرآن، لما وجدنا تصنيفات لهذه الأحاديث تبدأ بالصحيح المتواتر وتنتهي بالمدسوس. ولو أن جمع القرآن ونقله مواز لعملية نقل وجمع الحديث (كما يرغب البعض أن يزعم)، لوجدنا تصنيفا لآيات الكتاب الحكيم تماثل تصنيف الأحاديث التي نقلوها. لكن لمّا كان جمع القرآن ونقله قد تم بتعهد إلهي مباشر، كانت جميع آيات الكتاب الحكيم ثابتة، لا يعتريها علة، ولا تشوبها شائبة. وبالمقابل لما كان جمع الحديث ونقله هو صناعة بشرية، ظهر على الفور عيبها، فكان لزاما إدراج

تصنيفات لها بناء على درجة صحتها، والموثوقية في نقلها، فما كانت جميعها صحيحة، فكان منها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والمدسوس. انتهى.

إن من أخطر التبعات التي حلّت بالأمة من جراء صناعة الحديث التي راجت في الفكر الإسلامي هو ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان: 30]

نعم، لقد أدى الانشغال بالحديث إلى هجر القرآن. فلو بحثت حولك – عزيزي القارئ الكريم- لوجدت بأن الشغل الشاغل لعلماء الأمة (إن وجدوا أصلا) هو الاشتغال بصناعة الحديث. لا بل لقد كان الأخطر من هذا هو أن جلّ التشريعات الدينية التي قدمها علماء الإسلام قد جاءت مبنية على صنعة الحديث. ففقه المعاملات في الإسلام بُني بكليته على أحاديث منسوبة للرسول الكريم، وجل تشريعات العبادة التي يقوم بها الناس مبنية أيضا على أحاديث منسوبة للرسول الكريم. وقلما نجد أن المشرع يستند في تشريعه على آيات الكتاب الحكيم. فهل تجد في كل الفكر الإسلامي – عزيزي القارئ- بحثا علميا واحدا كرس فيه الباحث جهده لتبيان آية كريمة واحدة من كتاب الله؟ من يدري؟!

ولو دققت عزيزي القارئ الكريم لما حصل يوم أن اشتغل الناس بصناعة الأحاديث، لوجدت على الفور أنهم قد تفرقوا شيعا، كل حزب بما لديهم فرحون. فربما يستحيل أن تقنعني بأن صحيح البخاري هو كتاب صحيح مادام أنه يخلو من حديث واحد رواته هم أهل البيت، وبالمقابل يستحيل أن تقنعني بأن الأحاديث في الكافي هي أحاديث صحيحة مادام أن كل رواتها هم أهل البيت. فيستحيل (أنا أظن) أن يأتي هذا من قبيل المصادفة.

ولا يمكن لي أن أرى (ربما مخطئا) بأن إسلام العباس وأبو سفيان قد جاء من قبيل المصادفة. فكلا الرجلين (كما تقول رواياتهم) قد أسلم يوم فتح مكة. والأغرب من هذا كله أن الدولة الإسلامية التي نشأت في أعقاب الخلافة الراشدة، قد حطت رحالها في بيت هذين الرجلين. فكانت أولا في بني أمية (من سلالة أبي سفيان) ثم انتقلت مباشرة بعد ذلك بني العباس (سلالة العباس ابن عبد المطلب).

نتيجة مفتراة من عند نفسي: أنا على العقيدة التي مفادها أن ما عندنا من الإسلام الدارج اليوم هو الإسلام بنسختيه الأموية (أي نسخة أبي سفيان) والعباسية (أي نسخة العباس). ففي أعقاب نشوء الخلافة الأموية، كان صنّاع الحديث لا يتجرءون أن ينسبوا أي حديث إلى أهل البيت مادام أنهم الخصم اللدود والمنافس الوحيد لبني أمية، فكانت كل الأحاديث حينئذ تروى عن غير أهل البيت. ولما وصلت الخلافة إلى بني العباس، أصبح من المحظور أن يتكلم الناس عن غير أهل البيت. فأصبحت كل مروياتهم منسوبة إلى أهل البيت. لذا، لا أتردد أن أصرخ في الجميع قائلا أن إسلامكم الذي بين أيديكم هو إسلام دولة بني أمية (منسوبة إلى أبي سفيان) مقابل إسلام دولة بني العباس (منسوبة إلى العباس ابن عبد المطلب). فكان إسلام بني أمية يمثله صحيح البخاري وكان إسلام بني العباس يمثله الكافي للكليني.

أما الإسلام الذي جاء به محمد ابن عبد الله، فيمثله القرآن الكريم، ولا شيء غير القرآن الكريم. إذن، نحن نطلقها من هنا صرخة قوية للعودة إلى كتاب الله، تعالوا نحتكم جميعا إلى كتاب الله، تعالوا نشتغل بكتاب الله، تعالوا نبذل الجهد لتبيان أسرار هذا الكتاب العظيم إن كنتم فعلا تؤمنون أنه كلام الله الأزلي الذي لا تنضب كنوزه.

السؤال: وهنا ربما يريد البعض أن يطرح التساؤل التالي: إذا كنتَ ترُد هذه الأحاديث على كليتها، فما الذي يمكن أن نستفيده من سيرة الرسول الكريم؟ هل يعقل أن لا نأخذ عنه شيئا؟ ألم يقل الله في كتابه الكريم:

- ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: 21]

أليس هذا الذي تقول (يرد صاحبنا) إذن هراء؟!

رأينا المفترى من عند أنفسنا: دعنا نحاول الإجابة على هذا التساؤل بالانتقال إلى قضية نظن أنها مفصلية في باب الحديث عن الأخذ (أو عدم الأخذ) بالأحاديث المتوافرة بين أيدينا، ألا وهي قضية التفريق بين قول محمد مقابل فعل محمد.

أما بعد،

باب الفرق بين قول النبي وفعل النبي؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن بداية أن مهمة محمد (كما هي مهمة الرسل من قبله) هي التبليغ:

- ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور: 54]
- ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨﴾ [العنكبوت: 18]

ونحن نؤمن يقينا بأن محمدا ليس بدعا من الرسل، لأنه ببساطة متبعا فقط لما يوحى إليه:

- ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩﴾ [الأحقاف: 9]

تساؤلات محيرة: إذا كان محمد رسولا قد خلت من قبله الرسل، فأين أحاديث هؤلاء الرسل الذي جاءوا من قبله كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى؟ لم لا نجد في كتب التاريخ ما نقله الناس عن هؤلاء الرسل؟

لم نخص محمدا على وجه التحديد بأحاديث تنقل عنه ولا نجد مثل ذلك في سيرة عيسى أو موسى أو إبراهيم أو نوح؟

هل لو وجدت – عزيزي القارئ- أحاديثا تناقلتها الناس عن عيسى (غير الإنجيل)، فهل تؤمن بها؟ وهل لو وجدت أحاديث تناقلتها الناس عن موسى (غير التوراة)، فهل تؤمن بها؟

إن كنت فعلا تؤمن بتواتر الأحاديث التي ينقلها الناس، فها هم قد نقلوا لنا مثلا أحاديث متواترة كثيرة عن صلب المسيح عيسى بن مريم، فهل تؤمن عزيزي المسلم بأحاديثهم تلك؟ من يدري؟!

منطقنا المفترى: إذا كان كلام الله في التوراة والإنجيل لم تسلم من تحريفاتهم، أتريدني بعد ذلك كله أن أؤمن بحكاياتهم؟! ما لكم كيف تحكمون؟!

جواب: إذا كنت أنت تؤمن بأحاديث رواها البشر، فأنا على العقيدة التي مفادها أني لا أؤمن إلا بكلام رب البشر، وكل حديث دون الله وآياته هو إفك مفترى، وكفى:

- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۞ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞﴾ [الجاثية: 6-8]

ولو دققت - عزيزي القارئ- في هذه الآيات الكريمة، لوجدت بأنها قد وردت في كتاب الله في سورة الجاثية، والمتدبر لهذه السورة العظيمة سيجد الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞﴾ [الجاثية: 28]

إذن، لتكن جاهزا عزيزي المؤمن إلى أي كتاب تريد أن تدعى في ذلك اليوم العصيب، أما أنا فغير كتاب الله لا أقبل كتابا مهما كان مصدره. فالله وحده أدعوه أن أكون ممن يدعون إلى كتابه، وأعوذ به وحده أن أكون ممن يدعون إلى غيره، إنه هو السميع العليم - آمين.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن هناك قضية مفصلية في هذا الصدد يجب تبيانها وهي التفريق بين قول محمد وفعل محمد.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لقد أوصل لنا أهل الرواية من عند أهل الدراية تعريفهم للحديث المنسوب إلى الرسول الكريم (كما علمونا إياه في الصف الخامس ابتدائي ب) على النحو التالي:

كل ما ورد عن النبي من قول أو فعل أو تقرير

ونحن في هذا الصدد نود (كعادتنا) مخالفة أهل الدراية في ذلك، فنحن نفرق بين قول محمد من جهة وفعل محمد من جهة أخرى. وفي الوقت ذاته نود أن نسطر عقيدتنا المفتراة من عند أنفسنا والتي هي على النحو التالي: نحن ملزمون بما قال محمد لكننا غير ملزمين بما كان محمد يفعل. وبكلمات أخرى نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن قول محمد ملزم لأتباعه لكن فعله غير ملزم لهم.

السؤال: وكيف ذلك؟ ولم يكون قول محمد ملزما لنا؟ ولم لا يكون فعل محمد (بالمنطق نفسه) ملزما لنا؟

الدليل

لو تدبرنا كتاب الله في كل آياته التي تتحدث عن الرسول الكريم على مساحة النص القرآني، لوجدنا مثلا الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 3-4]

فمحمد إذن يستحيل أن ينطق عن الهوى، فكل ما قاله محمد هو قول صحيح على إطلاقه، لا شائبة فيه.

ولو تدبرنا آيات الكتاب الحكيم مرة أخرى، لوجدنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة: 44-47]

لذا، يستحيل أن يتقول محمد على الله ما لا يجب.

لكن – بالمقابل- لو تدبرنا آيات الكتاب الحكيم الخاصة بما فعل محمد، لوجدنا الآيات الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١﴾ [الأحزاب: 1]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١﴾ [التحريم: 1]
- ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ۝٣٧﴾ [الأحزاب: 37]

إذن، نحن نجد كثيرا من أفعال محمد قد وقعت على غير ما كان يجب أن تكون عليه، لذا جاءه الأمر الإلهي بالانتهاء عن ذلك:

- ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ٣٧﴾ [الأحزاب: 37]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: لا نجد في كتاب الله آية واحده تشكك بما قاله محمد، لكننا في الوقت ذاته نجد أكثر من آية كريمة تدعو محمدا للعدول عما فعل.

تساؤلات مثيرة:

⇐ هل لو زار محمد نفرا من الناس، هل كان المؤمنين من حوله ملزمين أن يزوروا من زارهم النبي؟
⇐ هل لو ترك النبي طعاما ما، هل كان المؤمنين من حوله ملزمين أن يتركوا ذاك الطعام؟
⇐ هل لو نام الرسول الكريم تحت شجرة معينة، هل كان المؤمنين من حوله ملزمين أن يناموا تحت الشجرة نفسها؟
⇐ هل لو دخل الرسول الكريم الخلاء في ساعة محددة من النهار أو الليل، هل كان المؤمنين من حوله ملزمين أن يفعلوا مثل ما فعل؟
⇐ الخ

منطقنا المفترى: إن من أساسيات المنطق عند كل صاحب تشريع هو التوضيح لمن حوله أنهم ملزمين بكل ما يقول لهم لكنهم ربما غير ملزمين بكل ما يفعل فيهم.

مثال

تخيل - عزيزي القارئ- أن أحد المشرعين كان مدخنا، فهل يعني ذلك أنه قد أباح التدخين لمجرد أنه هو مدخن؟ متى يمكن أن نفهم أن هذا المشرع قد أباح أو قد حضر التدخين؟

رأينا المفترى: نحن لا نؤمن أن ذلك يصبحا تشريعا نافذا إلا أن صدر قوله بذلك. فإن هو قال أن التدخين مباح أو أن التدخين محظور، عندها فقط يصبح ذلك تشريعا وجب الأخذ به. لكن فعله الأمر بنفسه (دون قول له فيه) لا يمكن أن يكون سببا في ترخيص الفعل أو حضره؟

ولتقريب الصورة للأذهان، كم مرة ترى أحد علماء الدين يدخن، فهل تأخذ (أنت كمسلم) الفتوى بالتدخين من مجرد رؤيتك لهذا الشخص يدخن؟ ألن تسأله (حتى لو رأيته يدخن) إن كان التدخين حلالا أو حراما؟ فحتى لو كان مدخنا بنفسه، فلربما كانت فتواه تقضي بحرمة التدخين، وهكذا.

السؤال: هل وضح النبي الكريم لمن حوله ذلك؟ هل وضح لهم بأنهم ملزمون بما يقول فقط وليس بما يفعل؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: لما كان الصحابة يريدون مراقبة النبي في كل أفعاله (حتى بما كان يفعله داخل بيته) للاقتداء به، جاءهم الأمر الإلهي بالنهي على النحو التالي:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [الأحزاب: 53]

السؤال: لماذا يجب علينا الالتزام بقول محمد ولا يجب علينا الالتزام بفعل محمد؟

رأينا المفترى: لما كنا نؤمن يقينا بأن محمدا بشر، فهو إذن يعيش حياة طبيعية، ربما تميل نفسه إلى فعل أشياء غير تلك التي يجب عليه أن يفعلها. فهو من كان قد أعجب بحسن بعض النساء، لكن الله هو من منعه أن ينكحهن:

- ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ [الأحزاب: 52]

وهو من حرم على نفسه ما أحل الله، فجاءه الأمر الإلهي بالعدول عن ذلك، ففرض له تحلة يمينه:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [التحريم: 1-2]

وهكذا.

باب حديث تأبير النحل

قال الإمام مسلم في كتاب الفضائل:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ وَهَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلاَءِ؟ فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الأُنْثَى فَيَلْقَحُ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا

قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ فَقَالَ:

إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلاَ تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وقال الإمام أحمد في المسند:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ سِمَاكٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُوسَى بْنَ طَلْحَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَرَرْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي نَخْلِ الْمَدِينَةِ فَرَأَى أَقْوَامًا فِي رُءُوسِ النَّخْلِ يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ فَقَالَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلاَءِ قَالَ يَأْخُذُونَ مِنَ الذَّكَرِ فَيَجْعَلُونَهُ فِي الأُنْثَى يُلَقِّحُونَ بِهِ فَقَالَ مَا أَظُنُّ ذَلِكَ يُغْنِي شَيْئًا فَبَلَغَهُمْ فَتَرَكُوهُ وَنَزَلُوا عَنْهَا فَلَمْ تَحْمِلْ تِلْكَ السَّنَةَ شَيْئًا فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ ظَنٌّ ظَنَنْتُهُ إِنْ كَانَ يُغْنِي شَيْئًا فَاصْنَعُوا فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَالظَّنُّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ وَلَكِنْ مَا قُلْتُ لَكُمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ

لقد أثار الكثيرون الدنيا وربما لم يقعدوها حول ما جاء في هذا الحديث، طارحين التساؤل المثير التالي: كيف يكون الرسول وحيا يوحى وفي الوقت ذاته يوقع الناس من حوله في هذه الإشكالية؟ فلسان حال الكثيرين منهم يقول بأنه لو كان محمد وحيا يوحى، لما أوقع من حوله من المؤمنين في هذه الإشكالية، ولأرشدهم إلى وجوب تأبير النخل حتى تحمل الثمار كالمعتاد.

رأينا المفترى: لو تفقدنا هذا الحديث المنسوب إلى النبي الكريم، لوجدنا أنه يصور لنا فعلا قام به النبي الكريم وليس قولا تلفظ به (فهو فعل يخص تأبير النخل)، ولو تفقدنا نهاية هذا الحديث، لوجدنا في آخره غاية ما نبغي إيصاله في هذه العجالة من الكلام، وهو القول التالي:

... وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ

السؤال: ما الذي يمكن أن نستفيده من ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن خلاصة الأمر هو توجيه نبوي كريم إلى المؤمنين من حوله وإلى الذين يأتون من بعدهم بأن لا يأخذوا عنه ما كان يفعل بل وجب عليهم الأخذ فقط بما كان يقول (لأنه لا يكذب على الله)، فهو في نهاية المطاف بشر يمكن أن يفعل ما هو خلاف الأولى.

السؤال: كيف إذن حصلت حادثة تأبير النخل على أرض الواقع؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: لو أردنا أن نحلق في خيالنا لنرى ما حصل حينئذ، لربما افترينا الظن من عند أنفسنا (ربما مخطئين) بأن القصة قد حصلت على أرض الواقع على النحو التالي: لما جاء وقت تأبير النخل بوجود النبي الكريم بين ظهراني المؤمنين من حوله في المدينة، لم يعمد النبي إلى فعل ذلك بنفسه، فلم يقم مثلا (نحن لازلنا نتخيل) بتأبير النخل العائد إليه شخصيا، ولمّا كان المؤمنين من حوله دائمي المراقبة لأفعاله، ووجدوا أنه لم يفعل ذلك بنفسه، ربما ظن الكثيرون (ممن يحاولون الاقتداء به) بأن هذا وحي إلهي لمحمد، فلربما كان ظنهم على نحو أنه لو كان تأبير النخل ضرورة، لربما قام به محمد

بنفسه. لذا عدل كثير من الناس حينئذ عن تأبير النخل الخاص بهم في ذلك العام ظانين أنهم بذلك يقتدون بفعل نبيهم. لكن لما حصلت المشكلة، فلم يحمل النخل الثمار كالمعتاد، راجعوا الرسول الكريم بذلك، عندها أرشدهم إلى أنه لم يفعل ذلك لأن هذا شأن خاص بهم، وفي الوقت ذاته أرشدهم إلى أهمية الالتزام بما يقول فقط، وانظر عزيزي القارئ الكريم نهاية هذه الرواية:

وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

سؤال: ربما يريد البعض أن يسارع ليسأل عن هذا التناقض الذي يجده في كلامنا قائلا: ألم تقل بأن القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع، فكيف بك الآن تعود لتقول بأننا ملزمون بما يقول النبي الكريم؟ أليس هذا تناقضا فاضحا في هذا الطرح؟ وربما يريد الزيادة بالتساؤل التالي: ألا تنقل كثير من الأحاديث قول النبي لنا؟ لم لا نأخذ بها إذا؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن هذا سؤال مشروع يجب أن نجد الإجابة المرضية له، لكن قبل محاولتنا الإجابة على هذا التساؤل المثير، دعنا نرد على هذا التساؤل بسؤال آخر: هل تضمن لي عزيزي القارئ الكريم بأن ما نقل عن النبي الكريم قد نقل بصحيح اللفظ كما قاله هو؟ لِم نجد الحديث الواحد قد تمت روايته بأكثر من طريقة وبألفاظ متعددة؟

وما الفرق؟ ربما يريد صاحبنا أن يسأل.

رأينا المفترى: نحن نظن أن هذه قضية محورية لابد أن تنقلنا إلى باب جديد في النقاش يخص طريقة استنباط الأحكام من القرآن الكريم أو من ألفاظ الحديث الصحيحة كما قالها النبي الكريم بدقة اللفظ الذي نحاول جاهدين الوصول إليه.

باب طريقة استنباط المعلومة الصحيحة

نحن نظن أن طريقة استنباط المعلومة الصحيحة يجب أن تكون مبنية على الأسس التالية التي هي لا شك مفتراة من عند أنفسنا:

- ⇐ كلام الله يؤخذ على الحقيقة، لذا لا مجاز في كلام الله
- ⇐ كلام الله كامل لا زيادة فيه
- ⇐ كلام الله كامل لا نقص يعتريه
- ⇐ كتاب الله يبين بعضه بعضا
- ⇐ كتاب الله محكم فيستحيل أن يدخل عليه شيء أو أن يؤخذ منه شيء
- ⇐ كتاب الله هو تبيان لكل شيء، لذا لابد أن ذكر كل شيء موجود في كتاب الله
- ⇐ ألفاظ كتاب الله دقيقة، فيستحيل أن يعارض بعضها بعضا
- ⇐ المعلومة الموجود في كتاب الله مطلقة الصحة والثبات

⇐ أي معلومة خارج كتاب الله تتعارض مع أي آية في كتاب الله، فهي إذن معلومة خاطئة
⇐ الخ.

سؤال: ما علاقة هذا بالأخذ (أو بعدم الأخذ) بالحديث المنسوب للرسول الكريم؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن منطلقات التفكير هذه ضرورية لتمحيص الكلام الصحيح من غير الصحيح.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لما كنت أدرس في بلاد الغرب نظريات تحليل الخطاب (أو النص) أو ما يسمى باللسان الأعجمي بـ Discourse Analysis أو Text Analysis، كانت جميع تلك النظريات تجمع على أن قيمة أي نص تقاس بمقدار التفاوت الموجود في النص نفسه. فالقيمة النقدية لمسرحية لشكسبير أو رواية لتشارلز دكينز أو قصيدة ل ت. س. إليوت، أو للوحة فنية كالموليينزا مثلا، تقاس بمقدار الانسجام (أي تضاءل الاختلاف) بين مكونات النص أو اللوحة نفسها. فإذا ما وجدنا أن شكسبير قد قال شيئا في بداية مسرحيته ثم عاد ليقول شيئا آخر في نهاية مسرحيته يناقض ما كان قد قاله من ذي قبل، فإن هذا يعد عيبا فاضحا في المسرحية. فأنا لا أستطيع أن أحكم على ما قاله شكسبير من خلال ما قاله غيره، ولا أستطيع أن أحكم على ما قاله غيره من خلال ما قال شكسبير، فما عندي ليس حجة على ما عندك، وما عندك ليس حجة على ما عندي، وهكذا.

ولتوضيح الصورة أكثر، دعنا نحاول تصوير الأمر على نحو ما يحصل في المحاكم، فإن المحامي الفذ هو الذي يحاول أن يوقع خصمه في تناقضات، ليقيم بذلك الحجة عليه. فإذا ما كان كلام المتهم متناقضا (أي يناقض بعضه بعضا)، كان ذلك أكبر حجة يلجأ إليها المحامي لإدانته.

ولو طبقنا هذا المبدأ على أي نص كالقرآن الكريم أو كالأحاديث المنسوبة للرسول الكريم، فإن أي تناقض في النص نفسه يعد عيبا فيه، ينقص من قيمته، لا بل ويقدح في مصداقيته، وقد لا أخفي سرا أن أول حافز كان عندي للبحث في كتاب الله هو محاولة إيجاد تناقضات في النص، ليكون سببا مقنعا لي لتركه على كليته، لكن الصاعقة كانت تقع على رأسي دائما أن زيادة البحث في كتاب الله كانت على الدوام تنفي وجود أي تناقض في كتاب الله، فالنص منسجما تماما مع بعضه، لا يترك مجالا للتشكيك فيه، وخلال رحلتي العلمية بين النصوص الكثيرة، لم أجد نصا واحدا يخلو من التناقض إلا كتاب الله. فكانت القناعة تزداد عندي يوما بعد يوم أنه من الاستحالة بمكان أن يكون هذا الكتاب قد أحكم من غير لدن عزيز حكيم. فكل عمل من صنع من هم من دون الله هو نص مختلف، يستحيل أن يصل إلى درجة الكمال. لذا نحن نتحدى أن يأتينا أحد بأي تناقض في كتاب الله. فإن هو فعل، فأنا على استعداد أن أترك هذه الصنعة برمتها إلى غير رجعة.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يصبح من الاستحالة بمكان أن يحسن أحد من دون الله صياغة نص يكون هو بذاته تبيانا لكل شيء، قال تعالى:

- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: 89]

السؤال: هل يمكن أن نجد مثل هذا الإحكام (في الصياغة وفي شمولية المعلومة) في الأحاديث المنسوبة للنبي؟ من يدري؟!

الدليل

باب العصبة والنسوة

دعنا نقدم مثالا بسيطا لنبين من خلاله كيف يكون كتاب الله شامل في المعلومة محكما في صياغته، أي كيف يقدم كتاب الله المعلومة كاملة غير منقوصة بأدق وسيلة تخلو من التكلف تماما.

المثال

لو قرأ البعض الآية الكريمة التالية التي ترد فيه مفردة " عُصْبَةٌ ":

- ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [يوسف: 8]

لربما ظن الكثيرون بأن هذا كلام عام لا يُحمل على وجه الدقة، فلسان حالهم يقول بأن إخوة يوسف الذين تآمروا عليه كانوا "عصبة"، لأنهم مجموعة من الرجال، وكفى. أليس كذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن ننفي جملة وتفصيلا مثل هذا الفهم، ونظن جازمين بأن مفردة عُصْبَةٌ هي لفظة دقيقة جدا يستحيل أن تستبدل بلفظة أخرى غيرها، وذلك لأن العصبة تعني عشرة من الرجال على وجه التحديد.

السؤال: كيف يكون ذلك؟

جواب مفترى: نحن نعلم أن أبناء يعقوب الذين تآمروا على يوسف كانوا عصبة، أليس كذلك؟

- ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [يوسف: 8]

وهؤلاء العصبة هم أنفسهم الذين خرجوا بيوسف وجعلوه في غيابة الجب:

- ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤﴾ [يوسف: 14]

لذا، نحن نفتري الظن بأننا نفهم الآية التالية الخاصة بكنوز قارون على نحو عشرة من الرجال فقط:

- ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ [القصص: 76]

وربما يصدق ظننا هذا ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: 8]

منطقنا المفترى: لما كان ليعقوب النبي من الأبناء اثنا عشر ولد (بمن فيهم يوسف)، جاءت الآية الكريمة لتشير إلى الفصل الواضح بين يوسف وأخيه من جهة (اثنان) وبقية الأخوة العشرة الآخرين (أي العصبة) من جهة أخرى، فانقسم الأخوة في صفين: يوسف وأخوه في صف (لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ) يقابله إخوته العشرة الآخرون في صف آخر (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ). فكانوا هؤلاء العشرة من الأبناء معا يكونون بنص القرآن عُصْبَةٌ:

- ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: 8]

(للتفصيل انظر قصة يوسف الجزء الثالث والجزء العشرين)

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: جاءت المؤامرة الأولى على يوسف من قبل إخوته العشرة، فكانوا عُصْبَةٌ.

ولو دققنا في السياق القرآني جيدا مرة أخرى، لوجدنا أن مؤامرة أخرى قد حيكت في أرض مصر ضد يوسف، وكان المتآمرون عليه حينئذ هم "النسوة" اللاتي راودنه عن نفسه، كما جاء على لسان يوسف يوم أن جاءه رسول الملك:

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾ [يوسف: 50]

ليكون السؤال المطروح على الفور: كم كان عدد هؤلاء النسوة اللاتي راودن يوسف عن نفسه؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن عدد أولئك النسوة كان عشرة بالضبط. انتهى.

الدليل

دقق عزيزي القارئ بما قالته العصبة (أخوة يوسف) عن أبيهم مقابل ما قالته النسوة في المدينة عن امرأة العزيز

المؤامرة الأولى ضد يوسف: عصبة	المؤامرة الثانية ضد يوسف: نسوة
﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾ [يوسف: 8]	﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾ [يوسف: 30]

فلا شك عندنا أن الذي أحب يوسف حبا جما في البداية هو أبوه يعقوب، فنعت أخوة يوسف تصرف أباهم هذا على نحو أنه من باب الضلال المبين (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)، ولما كانت امرأة العزيز هي من أحبت يوسف لاحقا حبا جما، نعت النسوة تصرفها هذا على نحو أنه يقع كذلك في باب الضلال المبين (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ). ليصبح التقابل في ذهننا على النحو التالي:

المؤامرة الأولى	المؤامرة الثانية
الضحية: يوسف الغلام	الضحية: يوسف الفتى
المتهم: يعقوب (لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ)	المتهم امرأة العزيز (فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ)
المتآمرون رجال: إخوة يوسف (عُصۡبَةٌ)	المتآمرون نساء: النسوة في المدينة (نِسۡوَةٞ)

منطقنا المفترى من عند أنفسنا: إن صح مثل هذا المنطق المفترى من عند أنفسنا، فإن الحاجة تدعونا إلى استنباط القول بأن العصبة من الرجال الذين تآمروا على يوسف كانوا عشرة في العدد، وأن النسوة من النساء اللائي تآمرن على يوسف كن عشرة من النساء.

وربما يسعفنا في ذلك دقة الوزن اللفظي لمفردتي العصبة والنسوة، فبالرغم من بعد السياقين عن بعضهما البعض، إلا أن حبكة القصة، ودقة اللفظ تجبرنا على الربط بينهما، ومن ثم الاستدلال (ربما مخطئين) بأنهما متطابقتين بكل شيء، ماعدا الجنس، ففي حين أن العصبة خاصة بالرجال، فإن النسوة خاصة بالنساء، لكنهما متطابقتين في الوظيفة في القصة كتطابقهما في اللفظ:

عُصۡبَةٌ	نِسۡوَةٞ
عشرة من الرجال يحيكون موآمرة ضد شخص بعينه	عشرة من النساء يحكن موآمرة ضد شخص بعينه

ولو حاولنا تدقيق النظر في المفردتين لوجدنا أنهما متطابقتين في الميزان الصرفي، وأن الاختلافات بينهما تبين في الجدول التالي:

عُصْبَةٌ (رجال)	نِسْوَةٌ (نساء)
عُ : عين مضمومة (تذكّر أن هؤلاء رجال) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: 165]	نِ: نون مكسورة (تذكّر أن هؤلاء نساء) ﴿... وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: 228]
صْ : صاد ساكنة (تذكّر أن هؤلاء رجال)	سْ: صاد ساكنة (تذكّر أن هؤلاء نساء)
بَ : باء مفتوحة	وَ : واو مفتوحة
ةٌ : تاء مربوطة منونة	ةٌ : تاء مربوطة منونة
المجموع: خمسة حروف + خمس حركات	المجموع: خمسة أحرف + خمس حركات

لا أريد أن أطيل في الشرح هنا، لكني لا أتردد أن أبوح بالعقيدة التي مفادها أننا لو دققنا في النص القرآني أكثر، لاستطعنا (بحول الله وتوفيق من) أن نحدد هؤلاء العصبة وأولئك النسوة ليس فقط بالعدد وإنما أيضا بالاسم والشخصية. ربما يكون هذا الكلام سابقا لأوانه، لذا سأترك الحديث عنه هنا، لأعود إليه لاحقا بحول الله وتوفيق منه عند متابعة الحديث عن قصة يوسف.

فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم وأن يزدني علما وأن يهديني لأقرب من هذا رشدا، وإن يأتيني علما لا ينبغي لأحد غيري، إنه هو الحكيم العليم - آمين.

السؤال المربك للجميع: هل يمكن أن يحكم نص غير كتاب الله بمثل هذه الآلية الدقيقة التي لا يمكن اختراقها؟ من يدري؟!

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نؤمن يقينا بأن كتاب الله هو النص الوحيد على وجه الأرض الذي لا ريب فيه، قال تعالى:

- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: 1-2]

لذا، جاء التبيان الإلهي الواضح بأن كل الكتب الأخرى التي ليست من عند غير الله مختلف فيها، قال تعالى:

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: 82]

ولا تتوقف عقيدتنا عند هذا الحد، بل نجزم القول بأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المحكم الذي يمكن أن تختبر مصداقيته بمثل هذه الآلية؟

السؤال: ما الذي تقصده من قولك أن هذا الكتاب محكم؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن إحكام الكتاب تعني – بأبسط صورها- استحالة الزيادة فيه أو الانتقاص منه، وذلك لأنه نص يصحح نفسه بنفسه، فلا يستطيع بشر أن يتلاعب فيه، مادام أن مكونات النص تبيّن بعضها بعضا.

ولتوضيح الصورة دعنا ننتقل إلى قضية غاية في الخطورة تخص النص القرآني نفسه، ألا وهي ماهية الكتاب الذي هو من عند الله مقابل ما كان من عند البشر.

أما بعد،

أولا، نحن نؤمن بأن الله هو من تعهد بحفظ كتابه

ثانيا، نحن نؤمن أن القرآن قد جاء منطوقا ولم يأت مكتوبا

ثالثا، نحن نعرف بأن عملية نسخ القرآن (المقروء) في مصحف مكتوب قد قام بها البشر، فلم يكن ما أنزل على محمد كتاب في قرطاس:

- ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأنعام: 7]

بل كان كله آيات بينات في صدور الذين آتوا العلم:

- ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: 48-49]

رابعا، نحن نعرف أن التنقيط والتشكيل وعلامات الوقف قد أدخلت على النص المكتوب، فهي ليست مما أنزل في الكتاب

الخ.

السؤال: هل يمكن أن نثق بما فعله البشر عندما أدخلوا التنقيط والتشكيل وعلامات الوقف على الآيات المكتوبة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن لا نثق كثيرا بما فعل هؤلاء، فليس ذلك من كتاب الله في شيء.

السؤال: وكيف يمكن لنا أن نتأكد بأن الكتاب صحيح؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن آيات الكتاب الحكيم تسعف بعضها بعضا، لذا ستبين الصناعة البشرية على الفور، لأنها ستكون صناعة يعتريها النص والاختلاف.

باب وبالوالدين إحسانا

ربما يجد القارئ العادي للقرآن الكريم (من مثلي) الإرباك الشديد في أن ترد عبارة بالوالدين إحسانا (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) واقعة في هذا السياق القرآني:

- ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: 151]

تسبقها الدعوة إلى عدم الإشراك بالله (أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ) ويتبعها الدعوة إلى عدم قتل الأولاد خشية الإملاق (وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ).

فلقد كنت على الدوام أتساءل عن السبب أن يحرم الله علينا البر بالوالدين كما حرم علينا أن لا نشرك به شيئا، فكان السؤال الذي يخالجني هو: هل البر بالوالدين من الأشياء التي حرمها الله علينا؟

وقد حاول أحد القراء لمقالاتنا أن يثير هذا التساؤل سابقا، فحاولنا أن نقدم له إجابتنا على هذا الأمر على عجل حينئذ، لكننا سنحاول التفصيل بالقضية هنا لعلاقتها بفحوى موضوع النقاش.

أما بعد، نحن نكاد نجزم أن السبب في هذا الخطأ في الفهم يعود إلى طريقة قراءة الآية الكريمة، فبالرغم أن هناك كثير من المتخصصين بعلم القراءات، إلا أننا نظن أنهم قد فشلوا جميعا في قراءة هذه الآية الكريمة كما يجب، والغلط الذي وقع به هؤلاء يكمن – في ظننا- في علامات الوقف والوصل في هذه الآية الكريمة، فنحن نظن أن علامات الوقف على هذه الآية الكريمة يجب أن تكون على نحو استبدال علامة (ۖ) التي وضعوها بأيديهم بعد مفردة عَلَيْكُمْ كما في الرسم القرآني:

- ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: 151]

بعلامة الوقف الإلزامي (م) قبل مفردة عَلَيْكُمْ، لتصبح علامات الوقف على الآية الكريمة على النحو التالي:

- ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: 151]

بالضبط كما نقرأ الآية الكريمة التالية بالوقف بعد مفردة يَسْمَعُونَ:

- ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام: 36]

السؤال: لماذا؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن ذلك يعود لأن مفردة عَلَيْكُمْ التي ترد في هذه الآية الكريمة لا تعني أن الله قد خصّنا نحن بالذات بهذه المحرمات، فأنت عندما تقرأ الآية بالوقف بعد مفردة عليكم كما أراد أهل اللغة (وأهل الدين) الذين وضعوا علامات الوقف على كتاب الله:

- ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ ... ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: 151]

فإنك تؤكد بأن ذلك يخصنا ولا يخص غيرنا، وبكأن لسان حالهم يقول لنا أن هذه كلها هي ما حرمها الله علينا نحن فقط، لنطرح السؤال الآن على النحو التالي: أليست هذه من المحرمات علينا وعلى غيرنا؟ فما بالنا نخص أنفسنا (دون غيرنا) بها.

رأينا: كلا وألف كلا، هذا ما لا نتقبله إطلاقا لأن هذه – نحن نظن- من الأشياء التي حرمها الله على كل الأمم وليس علينا فقط. لذا يجب أن تقرأ الآية بالوقف على النحو التالي:

- ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ... ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: 151]

فتصبح بذلك شريعة نافذة على الجميع.

ثانيا، نحن نظن أن أهل الدراية من سادتنا العلماء قد أخفقوا في فهم معنى مفردة عَلَيْكُمْ في هذه الآية الكريمة. ولكن كيف ذلك؟

جواب: لو تدبرنا الآيات الكريمة التي ترد فيها هذه المفردة (عَلَيْكُمْ)، لوجدناها بمعنى الظرفية التي تخص مجموعة محددة بذاتها في كثير من الآيات الكريمة:

- ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ [البقرة: 40]
- ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾ [البقرة: 54]
- ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٤﴾ [البقرة: 64]
- ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: 105]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾ [البقرة: 178]

ولكن الذي ربما يؤسف له أن علماءنا الأجلاء أهل الدراية والرواية قد غفلوا (ربما عن غير قصد) أن هناك في كتاب الله استخدام آخر لمفردة عليكم تدل على معنى الإلزام أو الإجبار كما في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة: 105]

فنحن بنص الآية الكريمة ملزمين بأنفسنا وغير ملزمين بما يفعل غيرنا. والآية الكريمة التالية تلزمنا بنصر من استنصرنا من الذين آمنوا:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾ [الأنفال: 72]

والشيطان ليس ملزما بما نفعل لأن مهمته لم تتجاوز حدود الدعوة التي قبلناها بأنفسنا لانتفاء وجود سلطان له علينا:

- ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم: 22]

ويتكرر هذا الاستخدام لمفردة عليكم في سياقات قرآنية كثيرة:

- ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور: 29]
- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: 54]
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النور: 58]
- ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور: 61]
- ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب: 5]
- ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الصافات: 30]

نتيجة مفتراة 1: نحن نظن أن مفردة عليكم تعني توجيه الخطاب ليخص مجموعة محددة بعينها دون غيرها (أي هي ظرفية: جار ومجرور):

- ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: 16]
- ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: 78]

نتيجة مفتراة 2: نحن نظن أن مفردة عليكم تعني الإلزام بأمر ما كما في الآيات التالية (أي هي اسم فعل أمر بمعنى إلزم) كما في قوله تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة: 105]

السؤال: ما علاقة هذا كله بالمحرمات في الآية الكريمة التي نحن بصددها؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: دعنا نعود إلى الآية الكريمة التي انطلق هذا النقاش منها لنقرأها على هذه الشاكلة التي افتريناها من عند أنفسنا وهي أن مفردة عَلَيْكُمْ الواردة فيها تعني الإلزام للجميع (أي بمعنى إلزم)، وربما يبين هذا على الفور بالوقف التام قبلها كما في الرسم التالي الذي افتريناه من عند أنفسنا:

- ﴿۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ ... أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ [الأنعام: 151]

لتصبح الآية تنقسم إلى جزئين رئيسيين هما:

- **الجزء الأول**: قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ ...
- **الجزء الثاني**: ... عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ

لتصبح المحرمات هي:

1. عليكم أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
2. عليكم بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
3. عليكم أ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ
4. عليكم أ لَاتَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
5. عليكم أ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

فتصبح مفردة عليكم معطوفة على كل هذه المحرمات وتصبح جميعها من الوصايا التي وصانا الله بها (ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)، لنخرج من ذلك بالوصايا الإلهية على النحو التالي:

1. ألا نشرك به شيئا
2. بالوالدين إحسانا
3. لا نقتل أولادنا خشية إملاق
4. لا نقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن
5. لا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق

(دعاء: اللهم أسألك أن أكون ممن يعقلون وصاياك - آمين)

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أنه مهما حاول البشر أن يدسوا أيديهم في كتاب الله (ربما ليتلاعبوا فيه)، فإن الكتاب نفسه كفيلا بأن يوقفهم عند حدهم، ويفضح سوء ما فعلوه بأيديهم. انتهى.

لقد قدمنا هذا الدليل لنبين بأن علامات الوقف التي أدخلت على النص القرآني هي صناعة بشرية، بان ضعفها بمجرد أن حاولنا نحن (على ركاكة منطقنا وقلة حيلتنا) تدبر آيات الكتاب الحكيم نفسها. فهي الكفيلة بأن تفضح الأيدي التي دست في كتاب الله على الفور وذلك لأنه نص محكم لا يمكن التلاعب فيه.

ولتوضيح الصورة أكثر دعنا ننتقل إلى مثال آخر يخص هذه المرة تشكيل مفردات الكتاب الحكيم التي لا ينكر أهل العلم أنها من صناعتهم أنفسهم.

لكن علينا التنبيه مرة أخرى أنه قد وجب الآن على كل من لا يريد المساس بإرث الآباء والأجداد أن ينسحب فورا من متابعة القراءة، وذلك لأننا سنتجرأ على كلام ربما يصعب على أذنيه الاستماع له. ولا يفوتنا أن نذكر الجميع بأن كلامنا هنا لا يعدو أن يكون أكثر من اجتهاد بشري قابل للخطأ. لذا سنكون شاكرين ومقدرين لكل من يجد الهفوات في كلامنا هذا أن يصححه لنا، ونحن على استعداد أن نلق به كله في سلة المهملات فورا إن ثبت لنا خطأه. فنحن طلاب علم نبحث عن المعلومة الصحيحة الموثوقة، ولسنا من أصحاب العقائد الذي يبحثون عن ما يثبت قولهم بأي وسيلة كانت.

أما بعد،

باب غلبت الروم

- ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: 1-7]

دعني أبدأ النقاش هنا بالافتراء الخطير التالي: أنا أظن جازما بأن الحركات التي وضعت على هذه الآيات الكريمة قد جاءت بناء على فهم أهل الدراية العام لمنطوق هذه الآيات الكريمة، وأنها لم توضع بناء على فهم لإحكام النص القرآني ذاته.

السؤال: وكيف ذلك؟

بداية لابد من الاعتراف ورد الفضل إلى أصحابه، لذا وجب التنبيه أن فكرة البحث في هذه الآيات الكريمة قد جاءتني من عند أحد الأخوة المعلقين على أحد وسائل التواصل الاجتماعي (الفيس بوك)، فهو من أشار في تعليقه ذاك أن هذه الآيات لا تقرأ بهذه الطريقة التقليدية، وأن القراءة الصحيحة يجب أن تكون على نحو أن الروم كانوا هم الغالبين وليس المغلوبين). الأمر الذي أثار فضولي للتحقق من مصداقية افتراءه هذا، فعدت أنبش في بطون الكتب عما جاء فيها حول هذه الآيات الكريمة، فوجدت العجب الذي دعاني أن أحاول التفصيل في الأمر. فخلصت إلى قصة بديلة تختلف تماما عن كل الموروث السائد. ولما كانت الفطنة تنقني على الدوام لم أسجل اسم هذا الشخص الكريم الذي لفت انتباهي إلى القضية لأضع اسمه مع اسمي في نهاية هذه المقالة، لأن جزء كبير من الفضل في ذلك يعود إليه. وإذا كان هذا الشخص من القراء لمقالاتنا فإني ادعوه أن يراسلني على الفور وسيجد اسمه بإذن الله مكتوبا في نهاية هذه المقالة على أساس أنه أحد المؤلفين لها إن هو رغب في ذلك. فله منا خالص الشكر وندعو الله له بالأجر إن كان في ذلك أصلا أجر لنا جميعا. والله من وراء القصد.

معركة مؤتة: حكاية جديدة

دعنا بداية نناقش ما وصلنا عن تفسير هذه الآيات الكريمة على لسان أهل الرواية كما نقلوه لنا من عند أهل الدراية. فهذا ما جاء مثلا في تفسير الطبري (شيخ المفسرين) لهذه الآيات الكريمة:

غلبت الروم

وقوله : { غلبت الروم } اختلفت القراء في قراءته , فقرأته عامة قراء الأمصار : { غلبت الروم } بضم الغين , بمعنى : أن فارس غلبت الروم . وروي عن ابن عمر وأبي سعيد في ذلك ما :

21221 -حدثنا ابن وكيع , قال : ثني أبي , عن الحسن الجفري , عن سليط , قال : سمعت ابن عمر يقرأ " الم غلبت الروم " فقيل له : يا أبا عبد الرحمن , على أي شيء غلبوا ؟ قال : على ريف الشام . والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره { الم غلبت الروم } بضم الغين , لإجماع الحجة من القراء عليه . فإذ كان ذلك كذلك , فتأويل الكلام : غلبت فارس الروم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك : 21222 - حدثنا ابن المثنى , قال : ثنا محمد بن سعيد , أبو سعيد الثعلبي الذي يقال له أبو سعد من أهل طرسوس , قال : ثنا أبو إسحاق الفزاري , عن سفيان بن سعيد الثوري , عن حبيب بن أبي عمرة , عن سعيد بن جبير , عن ابن عباس , قال : كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب , وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس , لأنهم أهل الأوثان , قال : فذكروا ذلك لأبي بكر , فذكره أبو بكر للنبي صلي الله عليه وسلم فقال : " أما إنهم سيهزمون " , قال : فذكر ذلك أبو بكر للمشركين , قال : فقالوا : أفنجعل بيننا وبينكم أجلا , فإن غلبوا كان لك كذا وكذا , وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا ; قال : فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين , قال : فمضت فلم يغلبوا ; قال : فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلي الله عليه وسلم , فقال له : " أفلا جعلته دون العشر " , قال سعيد : والبضع ما دون العشر , قال : فغلب الروم , ثم غلبت ; قال : فذلك قوله : { الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين } قال : البضع : ما دون العشر { لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله } قال سفيان : فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر . 21223 - حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري , قال : ثنا موسى بن هارون البردي , قال : ثنا معن بن عيسى , قال : ثنا عبد الله بن عبد الرحمن , عن ابن شهاب , عن عبيد الله , عن ابن عباس , قال : لما نزلت { الم غلبت الروم في أدنى الأرض } الآية , ناحب أبو بكر قريشا , ثم أتى النبي صلي الله عليه وسلم , فقال له : إني قد ناحبتهم , فقال له النبي صلي الله عليه وسلم : " هلا احتطت فإن البضع ما بين الثلاثة إلى التسع ". قال الجمحي : المناحبة : المراهنة , وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك . 21224 - حدثني محمد بن سعد , قال : ثني أبي , قال : ثني عمي , قال : ثني أبي , عن أبيه , عن ابن عباس , قوله { الم غلبت الروم } إلى قوله { ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله } قال : قد مضى كان ذلك في أهل فارس والروم , وكانت فارس قد غلبتهم , ثم غلبت الروم بعد ذلك , ولقي نبي الله صلي الله عليه وسلم مشركي العرب , يوم التقت الروم وفارس , فنصر الله النبي صلي الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين على مشركي العرب , ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم , ففرح المؤمنون بنصر الله إياهم ونصر أهل الكتاب على العجم . قال عطية : فسألت أبا سعيد الخدري عن ذلك , فقال : التقينا مع محمد رسول صلي الله عليه وسلم ومشركي العرب , والتقت الروم وفارس , فنصرنا الله على مشركي العرب , ونصر الله أهل الكتاب على المجوس , ففرحنا بنصر الله إيانا على المشركين , وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس , فذلك قوله { ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله } - حدثني علي , قال : ثنا أبو صالح , قال : ثني معاوية , عن علي , عن ابن عباس , في قوله { الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون } غلبتهم فارس , ثم غلبت الروم . 21225 - حدثني أبو السائب , قال : ثنا أبو معاوية , عن الأعمش , عن

مسلم , عن مسروق , قال : قال عبد الله : خمس قد مضين : الدخان , واللزام , والبطشة , والقمر, والروم . * حدثنا ابن المثنى , قال : ثنا عبد الأعلى , قال : ثنا داود , عن عامر , عن ابن مسعود , قال : قد مضى { الم غلبت الروم } 21226 - حدثني محمد بن عمرو , قال : ثنا أبو عاصم , قال: ثنا عيسى ; وحدثني الحارث , قال : ثنا الحسن , قال : ثنا ورقاء جميعا , عن ابن أبي نجيح عن مجاهد { الم غلبت الروم } إلى قوله { أكثر الناس لا يعلمون } قال : ذكر غلبة فارس إياهم , وإدالة الروم على فارس , وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان . 21227 - حدثنا القاسم , قال : ثنا الحسين , قال : ثني حجاج , عن أبي بكر بن عبد الله, عن عكرمة , أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض , قالوا : وأدنى الأرض يومئذ أذرعات , بها التقوا , فهزمت الروم فبلغ ذلك النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة , فشق ذلك عليهم وكان النبي صلي الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم , ففرح الكفار بمكة وشمتوا , فلقوا أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم , فقالوا : إنكم أهل الكتاب , والنصارى أهل كتاب , ونحن أميون , وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب , وإنكم إن قاتلتمونا لأظهرن عليكم , فأنزل الله { الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله } الآيات , فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار , فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا , ولا يقرن الله أعينكم , فوالله ليظهرن الروم على فارس , أخبرنا بذلك نبينا صلي الله عليه وسلم , فقام إليه أبي بن خلف , فقال : كذبت يا أبا فضيل , فقال له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله , فقال : أناحبك عشر قلائص مني , وعشر قلائص منك , فإن ظهرت الروم على فارس غرمت , وإن ظهرت فارس على الروم غرمت إلى ثلاث سنين ; ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلي الله عليه وسلم فأخبره , فقال : وما هكذا ذكرت , إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع , فزايده في الخطر , وماده في الأجل ". فخرج أبو بكر فلقي أبيا , فقال : لعلك ندمت , فقال : لا , فقال : أزايدك في الخطر , وأمادك في الأجل , فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص إلى تسع سنين , قال : قد فعلت. 21228 - حدثنا القاسم , قال : ثنا الحسين , قال ثني حجاج , عن أبي بكر , عن عكرمة, قال : كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك الأبطال , فدعاها كسرى , فقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك , فأشيري علي أيهم أستعمل , فقالت : هذا فلان , وهو أروغ من ثعلب , وأحذر من صرد , وهذا فرخان , وهو أنفذ من سنان , وهذا شهربراز, وهو أحلم من كذا , فاستعمل أيهم شئت ; قال : إني قد استعملت الحليم , فاستعمل شهربراز , فسار إلى الروم بأهل فارس , وظهر عليهم , فقتلهم , وخرب مدائنهم , وقطع زيتونهم ; قال أبو بكر : فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا , قال : أما إنك لو رأيتها , لرأيت المدائن التي خربت , والزيتون الذي قطع , فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته . قال عطاء الخراساني : ثني يحيى بن يعمر , أن قيصر بعث رجلا يدعى قطمة بجيش من الروم , وبعث كسرى شهربراز , فالتقيا بأذرعات وبصرى , وهي أدنى الشام إليكم , فلقيت فارس الروم , فغلبتهم فارس , ففرح بذلك كفار قريش , وكرهه المسلمون , فأنزل الله { الم غلبت الروم في أدنى

الأرض } الآيات , ثم ذكر مثل حديث عكرمة , وزاد : فلم يزل شهربراز يطؤهم , ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج ثم مات كسرى , فبلغهم موته , فانهزم شهربراز وأصحابه , وأوعبت عليهم الروم عند ذلك , فأتبعوهم يقتلونهم قال : وقال عكرمة في حديثه : لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب , فقال لأصحابه : لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى , فبلغت كسرى , فكتب إلى شهربراز : إذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس فرخان , فكتب إليه : أيها الملك , إنك لن تجد مثل فرخان , إن له نكاية وضربا في العدو , فلا تفعل . فكتب إليه : إن في رجال فارس خلفا منه , فعجل إلي برأسه . فراجعه , فغضب كسرى ; فلم يجبه , وبعث بريدا إلى أهل فارس : إني قد نزعت عنكم شهربراز , واستعملت عليكم فرخان ; ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة : إذا ولي فرخان الملك , وانقاد له أخوه , فأعطه هذه ; فلما قرأ شهربراز الكتاب , قال : سمعا وطاعة , ونزل عن سريره , وجلس فرخان , ودفع الصحيفة إليه , قال : ائتوني بشهربراز , فقدمه ليضرب عنقه , قال : لا تعجل حتى أكتب وصيتي , قال : نعم , فدعا بالسفط , فأعطاه ثلاث صحائف , وقال : كل هذا راجعت فيك كسرى , وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد , فرد الملك , وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم : أن لي إليك حاجة لا يحملها البريد , ولا تبلغها الصحف , فالقني , ولا تلقني إلا في خمسين روميا , فإني ألقاك في خمسين فارسيا ; فأقبل قيصر في خمس مائة ألف رومي , وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق , وخاف أن يكون قد مكر به , حتى أتته عيونه أن ليس معه إلا خمسون رجلا , ثم بسط لهما , والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما , مع كل واحد منهما سكين , فدعيا ترجمانا بينهما , فقال شهربراز : إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي , بكيدنا وشجاعتنا , وإن كسرى حسدنا , فأراد أن أقتل أخي , فأبيت , ثم أمر أخي أن يقتلني , فقد خلعناه جميعا , فنحن نقاتله معك , فقال : قد أصبتما , ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين , فإذا جاوز اثنين فشا . قال : أجل , فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما , فأهلك الله كسرى , وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية , ففرح ومن معه . 21229 - حدثنا بشر , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا سعيد , عن قتادة { الم غلبت الروم } قال : غلبتهم فارس على أدنى الشام { وهم من بعد غلبهم سيغلبون } الآية , قال : لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدق المسلمون ربهم , وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس , فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص , خمس قلائص , وأجلوا بينهم خمس سنين , فولي قمار المسلمين أبو بكر , وولي قمار المشركين أبي بن خلف , وذلك قبل أن ينهى عن القمار , فحل الأجل , ولم يظهر الروم على فارس , وسأل المشركون قمارهم , فذكر ذلك أصحاب النبي للنبي صلى الله عليه وسلم قال : " ولم تكونوا أحقاء أن تؤجلوا دون العشر , فإن البضع ما بين الثلاث إلى العشر , وزايدوهم في القمار , ومادوهم في الأجل " , ففعلوا ذلك , فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البضع سنين من قمارهم الأول , وكان ذلك مرجعه من الحديبية , ففرح المسلمون بصلحهم الذي كان , وبظهور أهل الكتاب على المجوس , وكان ذلك مما شدد الله به الإسلام وهو قوله { ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله } الآية . 21230 - حدثني يعقوب , قال : ثنا ابن علية , عن داود بن أبي هند , عن الشعبي , في قوله { الم غلبت الروم } إلى قوله { ويومئذ يفرح المؤمنون } قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب,

قال : فنزل القرآن بذلك , قال : وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس , لأنهم أهل الكتاب. 21231 - حدثنا ابن وكيع قال : ثنا المحاربي , عن داود بن أبي هند , عن عامر , عن عبد الله , قال : كانت فارس ظاهرة على الروم , وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم , وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس , لأنهم أهل كتاب , وهم أقرب إلى دينهم : فلما نزلت { الم غلبت الروم } إلى { في بضع سنين } قالوا : يا أبا بكر : إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين , قال : صدق , قالوا : هل لك أن نقامرك ؟ فبايعوه على أربع قلائص , إلى سبع سنين , فمضت السبع , ولم يكن شيء , ففرح المشركون بذلك , وشق على المسلمين , فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم : فقال : " ما بضع سنين عندكم ؟ " قالوا : دون العشر , قال : " اذهب فزايدهم وازدد سنتين " قال : فما مضت السنتان , حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس , ففرح المسلمون بذلك , فأنزل الله : { الم غلبت الروم } إلى قوله { وعد الله لا يخلف الله وعده } * حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا أبي , عن الأعمش , ومطر عن أبي الضحى, عن مسروق , عن عبد الله قال : مضت الروم . 21232 - حدثني يونس , قال : أخبرنا ابن وهب, قال : قال ابن زيد , في قوله { الم غلبت الروم في أدنى الأرض } قال : أدنى الأرض : الشام { وهم من بعد غلبهم سيغلبون } قال : كانت فارس قد غلبت الروم , ثم أديل الروم على فارس , وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الروم ستغلب فارسا " , فقال المشركون : هذا مما يتخرص محمد , فقال أبو بكر : تناحبونني ؟ والمناحبة : المجاعلة , قالوا : نعم , فناحبهم أبو بكر , فجعل السنين أربعا أو خمسا , ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم , فقال رسول صلى الله عليه وسلم : " إن البضع فيما بين الثلاثة إلى التسع , فارجع إلى القوم , فزد في المناحبة " , فرجع إليهم . قالوا : فناحبهم فزاد . قال : فغلبت الروم فارسا , فذلك قول الله : { ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء } يوم أديلت الروم على فارس . * حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا معاوية بن عمرو , عن أبي إسحاق الفزاري , عن سفيان , عن حبيب بن أبي عمرة , عن سعيد بن جبير , عن ابن عباس { الم غلبت الروم } قال : غلبت وغلبت . فأما الذين قرءوا ذلك : " غلبت الروم " بفتح الغين , فإنهم قالوا : نزلت هذه الآية خبرا من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم . ذكر من قال ذلك : 21233 - حدثنا نصر بن علي , قال : ثنا المعتمر بن سليمان , عن أبيه, عن سليمان , يعني الأعمش , عن عطية , عن أبي سعيد , قال : لما كان يوم ظهر الروم على فارس , فأعجب ذلك المؤمنين , فنزلت { الم غلبت الروم } على فارس. * حدثنا محمد بن المثنى, قال : ثنا يحيى بن حماد , قال : ثنا أبو عوانة , عن سليمان , عن عطية , عن أبي سعيد , قال : لما كان يوم بدر , غلبت الروم على فارس , ففرح المسلمون بذلك , فأنزل الله { الم غلبت الروم } إلى آخر الآية . - يحيى بن إبراهيم المسعودي , قال : ثنا أبي , عن أبيه , عن جده , عن الأعمش , عن عطية , عن أبي سعيد , قال : لما كان يوم بدر , ظهرت الروم على فارس , فأعجب ذلك المؤمنين , لأنهم أهل كتاب , فأنزل الله { الم غلبت الروم في أدنى الأرض } قال : كانوا قد غلبوا قبل ذلك , ثم قرأ حتى بلغ { ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله } وقوله : { في أدنى الأرض } قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدم قبل , وأذكر قول من لم يذكر قوله. 2123 - حدثني علي , قال :

ثنا أبو صالح , قال : ثني معاوية , عن علي , عن ابن عباس , قوله { في أدنى الأرض } يقول : في طرف الشام . ومعنى قوله أدنى : أقرب , وهو أفعل من الدنو والقرب . وإنما معناه : في أدنى الأرض من فارس , فترك ذكر فارس استغناء بدلالة ما ظهر من قوله { في أدنى الأرض } عليه منه. وقوله: { وهم من بعد غلبهم } يقول : والروم من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس. وقوله : { من بعد غلبهم } مصدر من قول القائل : غلبته غلبة , فحذفت الهاء من الغلبة . وقيل : من بعد غلبهم , ولم يقل : من بعد غلبتهم للإضافة , كما حذفت من قوله : { وإقام الصلاة } 24 37 للإضافة . وإنما الكلام : وإقامة الصلاة . وأما قوله : { سيغلبون } فإن القراء أجمعين على فتح الياء فيها , والواجب على قراءة من قرأ : " الم غلبت الروم " بفتح الغين , أن يقرأ قوله : " سيغلبون " بضم الياء , فيكون معناه : وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون , حتى يصح معنى الكلام , وإلا لم يكن للكلام كبير معنى إن فتحت الياء , لأن الخبر عما قد كان يصير إلى الخبر عن أنه سيكون , وذلك إفساد أحد الخبرين بالآخر. وقوله : { في بضع سنين } قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معنى البضع فيما مضى , وأتينا على الصحيح من أقوالهم , بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد : 21235 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا الحكم بن بشير , قال : ثنا خلاد بن أسلم الصفار , عن عبد الله بن عيسى , عن عبد الرحمن بن الحارث , عن أبيه , عن عبد الله بن عمرو, قال : قلت له : ما البضع ؟ قال : زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع . وأما قوله : { لله الأمر من قبل ومن بعد } فإن القاسم . 21236 - حدثنا , قال : ثنا الحسين , قال : ثني حجاج , عن ابن جريج , قوله : { لله الأمر { دولة فارس على الروم } { ومن بعد } دولة الروم على فارس . وأما قوله: { ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء } فقد ذكرنا الرواية في تأويله قبل , وبينا معناه

ملاحظات

أولا، إن أول ما يمكن أن نجده في هذا التفسير "العظيم" هو أن التشكيل (أي وضع الحركات) على كلمات هذه الكريمة هو صناعة بشرية، فهو إجماع أهل القراءة كما جاء في التفسير نفسه:

والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره { الم غلبت الروم } بضم الغين , لإجماع الحجة من القراء عليه .

ثانيا، يقر المفسر الجليل بأن هناك احتمالية في أن تشكل على غير هذا النحو، كما جاء في نهاية كلامه:

وأما قوله : { سيغلبون } فإن القراء أجمعين على فتح الياء فيها , والواجب على قراءة من قرأ : " الم غلبت الروم " بفتح الغين , أن يقرأ قوله : " سيغلبون " بضم الياء , فيكون معناه : وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون , حتى يصح معنى الكلام

السؤال: كيف يمكن الوصول إلى التشكيل الحقيقي للمفردات؟ هل تقرأ بضم الغين (غُلِبَتِ) كما هو الرأي الشائع أم بفتح العين (غَلِبَتِ) كما هو بالرأي غير الشائع؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نكاد نجزم الظن مفترينه طبعا من عند أنفسنا بأن القراءة الصحيحة يجب أن تكون بفتح العين (أي الرأي غير الشائع)، فتصبح الآيات على النحو التالي:

- ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم: 1-7]

وهذا يتطلب أيضا أن تبدل حركة الفتح على الياء في مفردة (سَيَغْلِبُونَ) إلى الضم، وكذلك تبدل حركة الكسر على اللام في الكلمة نفسها إلى حركة فتح، فتصبح الآيات على النحو التالي:

- ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم: 1-7]

فتصبح الآية تفهم على النحو التالي: أن الروم هم الذين غَلَبوا هذه المرة (أي هم الذين كانوا منتصرين، فكانت الغلبة لهم)، وأن النبوة تتحدث عن أنهم سيُغبلَون في المرة القادمة (أي سيكونون هم المهزومين، فتكون الغلبة عليهم).

الدليل

مهما حاول البشر أن يدسوا أيديهم في كتاب الله، فإن كتاب الله يبقى حافظا لنفسه، ولو دققنا في مفردة غَلَبِهِمْ لوجدنا أنها تؤكد صحة ما نفتريه من قول. فالكلمة تدل أن الروم فعلا قد غلبوا. ولو أن الروم كان قد غَلبوا فعلا، لجاءت المفردة على نحو (غُلْبِهِمْ) بضم الغين وتسكين اللام وليس (غَلَبِهِمۡ) بفتح الغين.

السؤال: لماذا نفهم أن الروم قد غَلبوا (غَلَبِهِمۡ)؟

رأينا المفترى: نحن نحاول التسويق لظننا هذا من خلال طرح التساؤلات التالية:

- ⇐ بداية نحن نتساءل عن سبب أن يكون التفسير على نحو أن المواجهة كانت بين الروم من جهة والفرس من جهة أخرى، فإذا كان ذكر الروم قد جاء بصريح اللفظ القرآني، فمن أين جاء (نحن نتساءل) ذكر الفرس؟ فهل عجز الإله أن يذكر الفرس في كلامه كما ذكر الروم؟
- ⇐ لم يفرح أو يحزن المؤمنون لغلبة الفرس على الروم (إن صح قولهم) أو العكس؟
- ⇐ لم سيفرح المؤمنون عندما سيغلب الروم (إن صح فهمهم)؟ ولم سيحزنون إن كانت الغلبة للفرس؟
- ⇐ ثم، ما بال المسلمون يجهزون الجيش لملاقاة الروم قبل الفرس في موتة؟ أليسوا هم أحباؤهم يفرحون لنصرهم ويحزنون على هزيمتهم (إن صحت رواية أهل العلم من قبلنا)؟
- ⇐ لِم لم تكن المواجهة الأولى للمسلمين مع الفرس (إن صح ما قاله أهل الدراية عن شعور المسلمين اتجاه الطرفين)؟
- ⇐ ولم إذن انطلقت الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ضد الفرس والروم في آن واحد؟ فهذا جيش القادسية يقود معركة ضارية ضد الفرس، وهذا جيش اليرموك يقود معاركة أشد ضراوة ضد الروم!
- ⇐ الخ

منطقنا المفترى: نحن نود أن نلقي بهذه التفسيرات القديمة في مكانها الصحيح المعهود الذي تعرفونه، لنحاول بدلا عن ذلك تقديم رأينا المفترى الذي ربما يكون (نحن نظن) أكثر وجاهة من سابقيه، ونطالب القارئ الكريم أن ينظر إلى رأينا هذا بعين الناقد، فيرده لنا إن وجد فيه الفجوات التي تعيبه. وسنكون له بكل تأكيد شاكرين مقدرين.

أما بعد،

افتراء خطير جدا 1: نحن نفهم الآيات الكريمة التي جاءت في بداية سورة الروم على أنها تصور لنا ما حصل بالضبط مع جيش المسلمين في معركة مؤتة التاريخية. لذا يجب أن تقرأ على النحو المفترى من عند أنفسنا التالي:

- ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: 1-7]

السؤال: كيف ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لو تفقدنا النص القرآني على مساحته، لوجدنا على الفور أن الحديث قد جاء واضحا عن كل المواجهات العسكرية التي حصلت بين المؤمنين من جهة وخصومهم من جهة

أخرى؛ فالقرآن الكريم قد فصل لنا ما حصل في بدر وفي أحد ويوم الخندق وفي فتح مكة وفي يوم حنين، ليكون السؤال المحوري المربك لجميع أهل العلم هو: أين الحديث في كتاب الله عن معركة مؤتة التي حصلت في حياة النبي الكريم؟ ألم يجهز النبي بنفسه جيش مؤتة بقيادة زيد بن حارثة؟ ألم يكن جعفر هو القائد الثاني؟ ألم يكن عبد الله بن رواحة هو القائد الثالث؟ ألم يقتلوا جميعا في هذه المواجهة التاريخية؟ ألم يتولى خالد قيادة المعركة بعد أن قضى هؤلاء الثلاثة نحبهم؟ ألم ينسحب خالد بالجيش، فما حسمت المعركة لصالح المسلمين؟ ألم يقابل أهل المدينة جيش خالد العائد من أرض المعركة بالهتافات (يا فرار)؟ ألم يرد النبي عليهم بالقول: بل الكرار إن شاء الله؟

السؤال مرة أخرى: أين خبر هذه المواجهة التاريخية مع الروم في كتاب الله؟ نحن نسأل.

افتراء خطير جدا 2: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن ما جاء في بداية سورة الروم تصور لنا أحسن تصوير ما حصل في تلك المواجهة التاريخية الأولى بين جيش المسلمين من جهة وجيش الروم من جهة أخرى في أرض مؤتة الخالدة.

السؤال: كيف ذلك؟

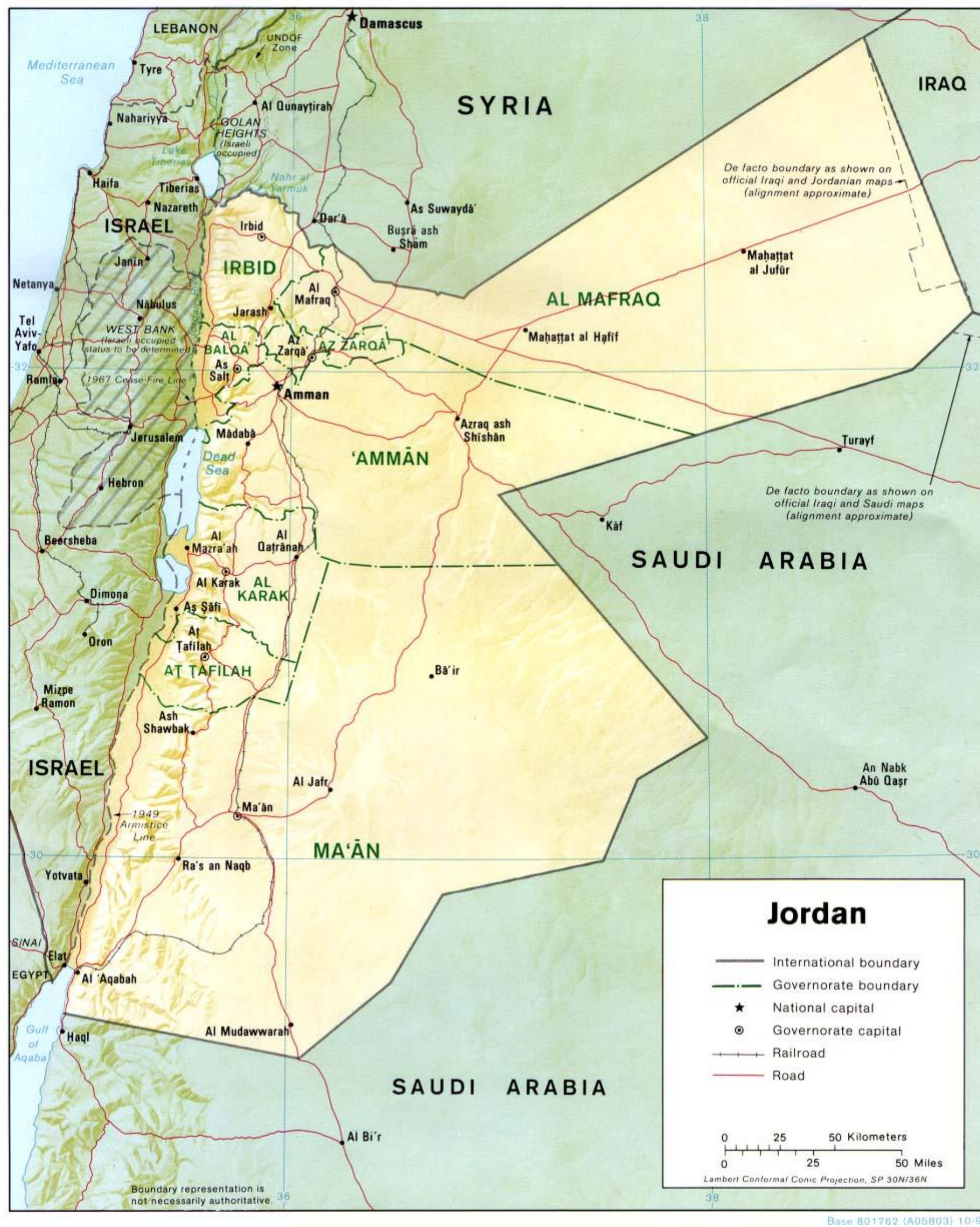
تخيلات مفتراة من عند أنفسنا

أولا، جهّز الرسول الكريم جيش مؤتة لملاقاة الروم، في أول مواجهة تاريخية بين جيش المسلمين وعدوهم خارج جزيرة العرب، فكانت المواجهة بينهم وبين الروم (وليس الفرس يا علماء المسلمين). فكان جيش مؤتة بقيادة زيد بن حارثة، وكان القائد الثاني جعفر بن أبي طالب والقائد الثالث هو عبد الله بن رواحة، فانطلق الجيش بقيادة زيد، وكان خالد بن الوليد في صفوف الجند في ذلك الجيش.

ثانيا، ما أن حط جيش المسلمين خارج الجزيرة العربية حتى كان معسكرهم في مؤتة (جنوب الأردن).

ثالثا، من هناك (من أرض مؤتة) بدأت فعاليات المعركة باستكشاف لجيش الروم، فمن غير المنطقي أن يبدأ الجيش (أي جيش) معركة دون جمع معلومات أولية عن جيش الأعداء. لذا نحن نتخيل بأن جيش المسلمين قد عسكر في أرض مؤتة التي لازالت بعيدة عن متناول جيش الروم.

رابعا، من هناك (أي من ارض مؤتة) انطلقت السرايا الأولية لاستكشاف جيش الروم، فكانت السرية الأولى قد تجهزت بقيادة القائد الأول وهو زيد بن حارثة. فانطلق زيد على رأس سرية باتجاه أرض الخصم في أدنى الأرض، وهي الأرض القريبة من منطقة البحر الميت في الأردن (أدنى الأرض)، وهي الأرض التي تبعد عن أرض مؤتة قليلا. انظر الخريطة حيث مؤتة تقع بالقرب من مدينة الكرك الأردنية التي تقع على مقربة من البحر الميت:



Source

خامسا: ما أن بدأت مناوشات تلك السرية بقيادة زيد بن حارثة حتى انتهت بمصرع زيد. فرجعت السرية بزيد، ودفن في أرض مؤتة (منطقة المزار الجنوبي).

سادسا، ما أن قضى زيد نحبه في تلك المواجهة الأولية حتى كان الخبر قد شاع في المدينة على لسان محمد، فهو الذي أخبر من حوله أن زيد قد صرع.

سابعا، لكن مصرع زيد لم يكن ليثني المؤمنين عن الاستمرار في المواجهة والإصرار عليها، فانطلقت السرية الثانية من أرض معسكر المسلمين في مؤتة باتجاه جيش الروم في أدنى الأرض (منطقة البحر الميت) مرة أخرى، لكن هذه المرة بقيادة جعفر ابن أبي طالب، وانتهت المواجهة الفرعية الثانية بمقتل زيد. عادت السرية بجعفر وتم دفنه إلى جانب صاحبه في المنطقة نفسها التي دفن فيها صاحبه من قبل.

ثامنا، ما أن قضى زيد نحبه حتى شاع الخبر في المدينة على لسان محمد، فهو الذي أخبر من حوله بأن جعفر قد صرع، فطلب أن يعمل بعض أهل المدينة طعاما لأهل جعفر.

تاسعا، بالرغم من الدعوات التي بدأت تتعالى بوجوب عدم الاستمرار في المواجهة، أصر القائد الثالث للمؤمنين وهو عبد الله بن رواحة على الاستمرار فيا، فخرج هو بنفسه على رأس السرية الثالثة إلى أرض الروم (أي في أدنى الأرض)، لكن لم يكن الأمر ليختلف كثيرا، فكانت النتيجة مصرع عبد الله بن رواحة. فعادت السرية بعبد الله وتم دفنه إلى جانب صاحبيه في الأرض نفسها.

عاشرا، ما أن قضى عبد الله نحبه حتى شاع الخبر في المدينة على لسان محمد، فهو الذي أخبر من حوله بأن عبد الله بن رواحه قد صرع.

أحد عشر، في هذه اللحظة، حصل اجتماع لجيش المسلمين كلهم لاختيار قائدا لهم بعد أن قتل القادة الثلاثة الذين عيّنهم رسول الله على رأس الجيش. فوقع الاختيار من قبل الجميع على خالد.

ثاني عشر، ما أن وقع الاختيار على خالد حتى شاع الخبر في المدينة على لسان محمد، فهو الذي أخبر من حوله بأن الجيش قد اختار قائدا له، وهذا القائد الجديد هو سيف من سيوف الله مسلط على عدوهم.

ثالث عشر، كان خالد رجلا عسكريا من الطراز الأول، فما أن وجد أن الكفة تميل بكليتها لصالح جيش الروم، حتى اتخذ قراره بالانسحاب، لأن تبعات الاستمرار في المواجهة ستكون لا محالة كارثية على المسلمين.

السؤال: لماذا اتخذ خالد قراره بالانسحاب؟

رأينا المفترى: لما كان المؤمنون يعلمون أن تأييد الله لهم كان على الدوام على النحو التالي الذي تصوره الآيات الكريمة التي نزلت فيهم في بدر:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنفال: 65]

وجد خالد (وكل المؤمنين معه) أن العشرين من المؤمنين يغلبوا مئتين وأن المئة منهم تغلب الألف من عدوهم، فكانت الحسبة على النحو التالي:

10 = 1

أي أن نفرا واحدا من المؤمنين يمكن أن يقابله عشرين من العدو، ويتحقق النصر للمؤمنين، كما في الجدول التوضيحي التالي:

المؤمنون	عدوهم
10 X (20)	200
10 X (100)	1000

ولكن المؤمنون يعلمون أيضا ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝٦٦﴾ [الأنفال: 66]

فتكون النتيجة على نحو أن المؤمن الواحد يقابله اثنان من عدوهم على النحو التالي:

2 = 1

أي أن نفرا واحدا من المؤمنين يمكن أن يقابله اثنان من العدو، ويتحقق النصر للمؤمنين، كما في الجدول التوضيحي التالي:

المؤمنون	عدوهم
2 X (100)	200
2 X (1000)	2000

السؤال: أي المعادلتين استند إليها خالد في هذه المعركة (1 = 10) كما في الآية الأولى أم (1 = 2) كما في الآية الثانية، واتخذ بناء على ذلك قراره بالانسحاب؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن بأن خالد قد اتخذ قراره على المعادلة الثانية (1=2).

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لعل القارئ الكريم لهذين السياقين القرآنيين يجد الإرباك الذي ربما يصعب عليه فهمهما معا. انظر عزيزي القارئ السياقين معا مرة أخرى:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝٦٥ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ

أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الأنفال: 65-66]

فالآية الأولى تبين أن المعادلة على نحو أن المؤمن الواحد يقابله العشرة من عدوهم (وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)، في حين أن الآية الثانية تعود لتبين بأن المؤمن الواحد يقابله اثنان من عودهم (فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِۚ).

السؤال: كيف يمكن أن نفهم ما تقوله الآية الثانية في ضوء ما جاء في الآية الأولى؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لو دققنا في الآيتين الكريمتين جيدا، لوجدنا أن ذكر النبي قد جاء واضحا في الآية الأولى:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنفال: 65]

لكن ذكر النبي قد غاب من الآية الثانية:

- ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: 66]

السؤال: ما علاقة هذا بحسبة المقابلة بين الفئتين؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نفتري الظن بأنه مادام النبي موجود مع المقاتلين، فإن الضعف لن يعتريهم، وستكون المقابلة على نحو أن النفر الواحد من المؤمنين يقابله عشرة من عدوهم، وذلك لأن نصر الله قد جاء لرسوله الكريم قطعيا حتى ولو انفض الكثيرون من حوله:

- ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَاۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: 40]

فالمدقق بهذه الآية الكريمة يجد أن الله هو من ينصر نبيه الكريم (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ)، كما تجد بأن الله هو من أيد نبيه الكريم بجنود لا نراها (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا).

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: مادام محمد موجود على أرض المعركة مع المقاتلين، فيستحيل أن لا ينصره الله. وهذا بالضبط ما حصل في بدر والخندق ويوم حنين. فبالرغم من عدم التكافؤ العددي بين الفئتين في هذه المواجهات جميعاء، وبالرغم من انفضاض المؤمنين من حول النبي في حنين، إلا أن النصر كان حليف محمد، وذلك لأن الله هو من ينصر نبيه وهو من أيده بجنود لا نراها.

معركة بدر: رواية جديدة

لو عدنا إلى المواجهة في يوم بدر، لوجدنا أنها لم تكن على نحو واحد مقابل اثنين، بل أكثر من ذلك بكثير، لكن النصر قد تحقق للمؤمنين، ولو دققنا في تفاصيل مجريات المعركة، لوجدنا الملاحظات التالية:

- لم يقتل من الكافرين العدد الكبير (حوالي سبعين رجلا في روايات أهل العلم)
- كان معظم الذين قتلوا من الكافرين هم من رؤوس الكفر في مكة
- أن قتل هؤلاء كان على نحو أن جميعهم قد سقطوا عن خيولهم، فأجهز عليهم من كان قريبا منهم من المؤمنين (كحالة أبي جهل الذي تصوره الروايات لنا بأن غلامين صغيرين هم الذين أجهزوا عليه بعد أن سقط عن فرسه)
- أن جيش الكافرين قد فرّ بأكمله بمجرد قتل جزء يسير منهم
- الخ

السؤال: لماذا هرب جيش الكافرين في بدر بالرغم أن القتل فيهم لم يكن كثيرا؟ فهل يؤدي مقتل سبعين رجلا من الجيش المكون من أكثر من ألف من المقاتلين المدججين إلى فرارهم؟ فما الذي دفع بهم للهروب على الفور؟ نحن نسأل.

وبالمقابل، ألم يؤيد الله نبيه في تلك المعركة بأكثر من ثلاثة آلآف من الملائكة منزلين، ووعد بأن يمددهم بخمسة آلآف من الملائكة مسومين؟

- ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۝١٢٤ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ [آل عمران: 124-125]

السؤال المربك: إذا كان الله قد مدّ نبيه (ومن معه من المؤمنين في يوم بدر) بثلاثة آلآف من الملائكة منزلين، هل تكون النتيجة على نحو أن يقتل من الكافرين نفر قليل فقط؟ لِم لم تكن النتيجة على نحو إبادة جيش الكافرين عن بكرة أبيه (كما تقول الأعراب)؟ هل قتل سبعين رجلا من الكافرين (على أصح روايات أهل الدراية) هو ما استطاع هذا العدد الهائل من الملائكة المنزلين والمسومين فعله ي يوم بدر؟ من يدري؟!

جواب مفترى: كلا وألف كلا. لابد إذن من فهم ما حصل بطريقة أكثر منطقية.

رأينا المفترى: دعنا نقدم لكم – يا سادة- تصورنا المفترى من عند أنفسنا لما حصل في يوم بدر، ثم نترك لكم بعد ذلك الاختيار بين ما وجدتموه عند أهل العلم من قبلنا من روايتهم الموثوقة وما تجده عندنا من شطحات فكرية ربما لا تصل إلى درجة العلم من الكلام المفترى من عند البشر الذين قلما يصيبون وكثيرا ما يخطئون.

أما بعد،

نحن نؤمن أن الله هو من ينصر رسوله وهو من يؤيده بجنود لا نراها:

- ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: 40]

كما نؤمن يقينا بأن الله قد أمدّ رسوله في يوم بدر بثلاثة آلآف من الملائكة منزلين، ووعد أن يمدهم بخمسة آلآف من الملائكة مسومين:

- ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: 124-125]

لكننا نؤمن يقينا بأن هؤلاء الملائكة لم يقاتلوا الكفار في تلك المواجهة إطلاقا لأن مهمتهم كانت تتمثل فقط في تثبيت الذين آمنوا (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ):

- ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: 9-12]

ونؤمن أيضا بأن الله هو من ألقى بنفسه الرعب في قلوب الذين كفروا (سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ)

نتيجة مفتراة 1: كان جل دور الملائكة الذين أمد الله به المؤمنين في بدر هو تثبيت الذين آمنوا.

نتيجة مفتراة 2: كان الله هو من ألقى في قلوب الذين كفروا الرعب.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا مهمة جدا: كان سبب هروب الكفار السريع في تلك الواقعة هو ذلك الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: لما رأى المؤمنون الكافرون، كانت إرادة الله تقضي بأن يثبت الذين آمنوا، فأرسل ملائكته لهذه المهمة، وقلل الطرفين في أعين بعضهم البعض. فبالرغم من كثرة جيش الكافرين مقابل جيش المسلمين، إلا أن أمر الله كان لابد أن ينفذ في المواجهة. فقلل كل طرف في أعين الطرف الآخر:

- ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: 44]

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فغشاهم النعاس أمنة منه وأنزل على المؤمنين ماء ليطهرهم به وليربط على قلوبهم ويثبت به الأقدام:

- ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: 11]

السؤال: كيف دارت مجريات المعركة؟

رأينا المفترى: لما كان محمد بين المقاتلين، كان المؤمنون في حالة نعاس مادام أن الله هو من غشاهم ذلك النعاس، فلم يكونوا (نحن نتخيل) يدركوا تماما ما يجري فعلا على أرض المعركة، فكان محمد هو المسيطر على مجريات المعركة من خيمته.

فما الذي فعله محمد؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نظن أن محمد لم يكن يهدف إلى إبادة جيش المشركين كله، فما كانت خطته تقضي بذلك، لأنه يعلم يقينا بأن هؤلاء جميعا مغرر بهم من قبل سادتهم وكبرائهم، فهم لا يعلمون تماما ما يفعلون. لكنه في الوقت ذاته، كان يهدف إلى إبادة رؤوس الكفر الذين جروا هؤلاء البسطاء إلى هذه المواجهة المصيرية، كأمثال أبي جهل وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وغيرهم. في خضم المعركة، وجه محمد (نحن نتخيل) سكينته التي أنزلها الله عليه في ذلك اليوم باتجاه هؤلاء على وجه التحديد، فما

كان المؤمنون والمشركون المتواجدون حينئذ في ساحة المعركة يرون إلا هؤلاء (المتجبرون) يتساقطون عن خيولهم الواحد تلو الآخر، وهم لا يعلمون يقينا من الذي أسقطهم عن خيولهم، وما كانت مهمة المؤمنين بعد ذلك إلا أن يجهزوا على هؤلاء المتساقطين من رؤوس الكفر. فعلى الغلامان صدر أبي جهل وأجهزا عليه، وكذلك فعل بلال بأمية ابن خلف (كما شاهدنا في فلم الرسالة).

لما أن رأى جيش المشركين ما حلّ برؤوس قادتهم حتى كان الرعب الذي ألقاه الله في صدورهم قد فعل فعله فيهم، فهربوا جميعا مرة واحدة، دون إدراك منهم (ولا حتى من المؤمنين) عن ما كان يدور فعلا على أرض المعركة. فهم لا يفهمون مصدر هذه القوة الرهيبة التي تطيح برؤوس الكفر من بعيد. فالكفار مرعوبين، والمؤمنين في نعاس يغشاهم، والمعركة تدور رحاها من هناك (من داخل خيمة النبي نفسه).

نتيجة مهمة جدا جدا وخطيرة جدا جدا: كان محمد هو (نفتري الظن من عند أنفسنا) من حسم المعركة في بدر من داخل خيمته، فما علم المؤمنون ولا المشركون ما فعل الرجل فيهم، فانتهت المعركة وكأنها كانت كابوسا على المشركين وحلما خفيفا على المؤمنين.

وتكرر مثل هذا النصر في مواطن أخرى كثيرة، ولعل ما حصل في يوم حنين يؤكد مثل هذا التصور المفترى من عند أنفسنا. فبالرغم من كثرة المقاتلين في صف محمد يوم حنين، إلا أن هذه الكثرة لم تكن لتغني عنهم من الله شيئا:

- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: 25]

فالأرض ضاقت بالمؤمنين يوم حنين فولّوا مدبرين، فما تبقى في ساحة المعركة إلا محمد نفسه (وربما قليل ممن كانوا حوله من المؤمنين الأولين كأبي بكر)، وما أن ولى المؤمنون مدبرين حتى كان محمد قائما بشخصه في مواجهة مباشرة مع جيش المشركين كله في يوم حنين، فتمكن بتأييد مباشر من ربه بأن يدحرهم جميعا بتلك السكينة التي كانت بيده:

- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: 26-25]

ولو تدبرنا الدقة اللفظية في الآيتين السابقتين، لوجدنا على الفور أن السكينة لم تنزل منذ بداية المعركة، ولكنها نزلت بعد أن ولى المؤمنون مدبرين (ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)، وما أن ولوا مدبرين حتى أن أنزل

الله سكينته على رسوله وأنزل جنودا لم يروها (ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَا)، فكانت الغلبة لمحمد عليهم جميعا.

نتيجة مهمة جدا: ما كان لجيش أن يندحر وفيه محمد لأن الله لا محالة سينزل عليه سكينه وسيؤيده بجنود من عنده. انتهى.

السؤال: إن صح ما تقول، فما الذي حصل في يوم أحد؟

تخيلات مفتراة من عندنا: لما انتهى إلى محمد وصحبه خبر قدوم جيش الكفار إلى المدينة، لم يكن ذلك ليفزع محمد، فكان قراره أن ينتظر قدومهم في المدينة، فهو سيتكفل بمقارعتهم جميعا كما فعل في بدر. لكن المؤمنين لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى درجة الثقة المطلقة بما يستطيع محمد فعله حيال جيش المشركين (خاصة من لم يكن منهم ممن حضر يوم بدر)، فكان خوفهم على أموالهم وأهليهم أكبر من إيمانه بما يستطيع محمد فعله بنفسه حيال جيش المشركين، لذا كان قرارهم على نحو الخروج لمواجهة جيش المشركين خارج مدينتهم.

لما رأى محمد ما كان منهم، اتخذ قراره بأن يؤدبهم جميعا، فيلقنهم درسا لن ينسوه، يتمثل في أن المقارعة مع الكافرين ليست مقارعة عددية وأن النصر فعلا من عند الله. لذا تركهم في هذه المواجهة وشأنهم.

في بداية اللقاء دحر محمد جيش المشركين كما فعل في بدر حتى لا تكون غلبة حاسمة للمشركين عليه وعلى جيشه، ولكن لما كانت نفوس بعض المؤمنين لازالت غير مؤمنة تمام الإيمان، غر هؤلاء ما رأوه من المغانم، ربما ظانيين أنهم هم فعلا من صنعوا ذلك النصر الأولي على جيش المشركين، فانفضوا إليها وتركوا محمدا قائما مع قلة قليلة من المؤمنين الحقيقيين من حوله، ولما شاهد محمد فعلتهم هذه، تراجع بمن معه من المؤمنين الحقيقيين إلى جبل أحد، تاركا هؤلاء المتعجلين إلى الغنائم، يقارعون جيش خالد الذي التف حولهم، فكانت الخسارة الشديدة والقاسية عليهم.

ما أن انقضت هذه المعركة حتى تعلم كثير من المؤمنين الدرس، وأيقنوا أنه ما كان يجب مخالفة ما يقضي محمد فيهم:

- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب: 36]

لذا، ما أن جاء وقت معركة الخندق حتى كان غالبية العظمة من المؤمنين من حول محمد قد تعلموا الدرس، فما طالبوا بالخروج من المدينة، فنزلوا عند قضاء الرسول، فحصلت المعركة على تخوم المدينة. لكن بقية فئة قليلة من المنافقين، فكان لزاما أن يعلمهم محمد.

ولو تدبرنا سير المعركة في غزوة الخندق، لوجدنا أن الحصار حول المدينة قد استمر عدة أيام وليالي، فكان نتيجة هذا الحصار انكشاف الفئة المنافقة الذين تركوا المعركة متعللين بأن بيوتهم عورة وما هي بعورة:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ
ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ
لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ وَلَوۡ
دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ
مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ١٥ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ
ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٦ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ
وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ
وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي
يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ
فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ
يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠ لَّقَدۡ كَانَ
لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ وَلَمَّا رَءَا
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا
٢٢﴾ [الأحزاب: 9-22]

فلقد انتظر محمد وقتا من الزمن قبل أن يحسم المعركة (نحن نتخيل) من أجل كشف زيف إيمان هؤلاء المنافقين، وما أن عَلِم محمد الصابرين وعلم المنافقين حتى تصرف على الفور، فكان النصر من الله على شكل ريح أرسلها مع جنود لا يراها الناس.

عودة على بدء: قصة معركة مؤتة

نتيجة مفتراة 1: إذا كان محمد في الجيش، فإن النفر من المؤمنين يقابله عشرة من العدو:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنفال: 65]

نتيجة مفتراة 2: إذا لم يكن محمد في الجيش، فإن الضعف سيصيب جيش المؤمنين، لذا تتناقص المعادلة لتصبح على نحو أن النفر الواحد من جيش المسلمين يقابله اثنان من العدو:

- ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: 66]

السؤال: ما الذي كان يفكر به خالد في اللحظة التي تولى فيها زمام قيادة الجيش في مؤتة؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: لما كان خالد رجل عسكري من الطراز الأول، لم يكن ليزج الجيش في معركة خاسرة مسبقا، فهو يعلم الآن أن المقاتلين من المؤمنين فيهم ضعفا (بسبب عدم وجود النبي بينهم)، لذا لن يزج الجيش في معركة يفوق فيها جيش الكافرين جيش المسلمين بالعدد أضعافا كثيرة. لذا اتخذ قراره بالانسحاب فورا.

ما أن عاد جيش المسلمين بقيادة خالد إلى المدينة حتى ظن أهل المدينة أنهم فرارا.

السؤال: لماذا؟

نتيجة مفتراة خطيرة جدا جدا لا تصدقوها إن شئتم: نحن نفتري القول بأنه لم تحدث مواجهة مسلحة عسكرية مباشرة بين الجيشين (جيش المسلمين وجيش الروم) في مؤتة إطلاقا. وأن جل ما حصل هو مناوشات سرايا من المسلمين مع بدايات جيش الروم، وكان ذلك في أدنى الأرض (قرابة البحر الميت) وليس في مؤتة.

افتراء خطير جدا 1: نحن نفتري الظن بأن بدايات سورة الروم تثبت الغلبة لجيش الروم على جيش المسلمين في أدنى الأرض، لذا يجب أن يكون التشكيل على المفردات على النحو التالي المفترى من عند أنفسنا:

- ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ... ۝٣﴾ [الروم: 1-3]

ولكنها أثبتت أيضا النبوءة للمؤمنين بالنصر في بضع سنين على الروم:

- ﴿... وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ...۝٤﴾ [الروم: 3-4]

وحينئذ سيكون الفرح الحقيقي للمؤمنين بنصر الله:

- ﴿... وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم: 4-5]

فهذا وعد من الله لن يخلفه:

- ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: 6-7]

السؤال: متى تحقق هذا الوعد الإلهي بالنصر على الروم؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن هذا الوعد قد تحقق بعد بضع سنين فقط في معركة اليرموك الخالدة (على أرض الأردن) بقيادة خالد. انتهى.

تصورات تاريخية

لو دققنا في تاريخ هذه الواقعة، لوجدنا بأن معركة مؤتة قد حصلت في السنة الثامنة للهجرة في أصح روايات أهل الدراية. ولو دققنا في معركة اليرموك، لوجدناها قد حصلت في السنة الخامسة عشر للهجرة. فيكون الفارق الزمني بين الواقعتين هي فقط بضعة سنين (أي سبعة سنين على وجه الدقة).

الدليل

لو دققنا في مفردة بِضْعِ التي ترد في هذا السياق القرآني:

- ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: 1-7]

لما وجدناها قد وردت مرة أخرى إلا في قصة سجن يوسف:

- ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾ [يوسف: 42-43]

فلقد لبث يوسف في السجن بضع سنين، ليكون السؤال الحتمي هو: كم سنة على وجه التحديد لبث يوسف في السجن؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن يوسف قد لبث في سجنه سبع سنين. انتهى.

السؤال: لماذا تفتري القول بأن يوسف قد لبث في سجنه سبع سنين؟ لم لم تأت في النص القرآني بصريح اللفظ، أي سبع سنين وكفى؟

رأينا المفترى: تعرضنا لهذه الجزئية عند الحديث عن عمر نوح الذي تصوره الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾ [العنكبوت: 14]

وزعمنا الظن حينئذ بأن السنين هي من حسبة الأقوام، لذا تختلف من قوم إلى آخرين لأن لهم عادين:

- ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾ [المؤمنون: 112-113]

لذا، يختلف حساب السنيين قوم إلى آخرين، فالسنة بالنسبة للصينيين لا تتطابق مع السنة عند العبرانيين، والسنة عند الروم لا تتطابق مع السنة عند العرب، وهكذا. فلكل قوم حسبتهم للسنة التي تختلف عن حسبة القوم الآخرين.

لذا، نحن نتجرأ على القول بأنه مادامت المقابلة في الآية الكريمة:

- ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم: 1-7]

هي بين الروم من جهة والمؤمنين من الأعراب في الجهة الأخرى، لم يكن الله ليعطي الرقم بذاته، لأن كل قوم حينها سيظن أن الحسبة من عنده، فلو ثبت أنها سبع سنين عند الروم سيظن العرب أن هذا خطأ في التقدير مادام أن سنينهم السبعة قد زادت أو قد نقصت. وسيقع السيناريو نفسه لو أن العدة قد جاءت بسنين العرب، وهكذا.

(للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان كم لبث نوح في قومه؟)

للخروج من هذه الدوامة، كان الوعد الإلهي على نحو أنها بضع سنين (أي سبعة) بغض النظر عن الحسبة التي سيقوم بها كل قوم (الروم أو العرب).

فيوسف قد لبث بضع سنين من سنين أهل مصر مادام أنه قد دخل سجن مصر ويجري عليه التقويم المصري. فكانت سنين يوسف في السجن هي سبعة (فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ).

ولو دققت في قصة يوسف، لوجدنا أن المرأة قد راودته عندما بلغ أشده، أي عندما أصبح عمره عشرين سنة:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [يوسف: 22]

وفي تلك السنة حصلت له فتنة النسوة اللائي راودنه فدخل السجن سبع سنين

- ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢﴾ [يوسف: 42]

وفي نهاية تلك السنة السابعة حصلت رؤيا الملك، فخرج يوسف من السجن، فكان في سن السابعة والعشرين:

- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾ [يوسف: 43]

جعله الملك على خزائن الأرض، فكانت سبع سنين دأبا يتبعها سبع عجاف. وفي خلال السنوات السبعة العجاف جاء إخوة يوسف إليه، فاستمرت القصة حتى كانت السنة قبل الأخيرة عندما دخل أبوه يعقوب مع بني إسرائيل أرض مصر:

- ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾ [يوسف: 99]

فكان يوسف في سن الأربعين، أي سن النبوة.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ	20
فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ	7
قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ	7

ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ	7
المجموع	41

إن صح منطقنا المفترى هذا من عند أنفسنا، فإن الشارع الكريم يوجب علينا تقديم مال اليتيم إلى صاحبه فقد عندما يبلغ أشده، أي عندما يصبح عمره عشرين سنة:

- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: 152]
- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: 34]

(للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان من هي زوجة موسى؟)

إن ما يهمنا الآن هو القول بأن الوعد الإلهي بنصر المؤمنين على الروم كان في بضع سنين (أي سبع سنين). ولو حسبنا الفترة الزمنية الفاصلة بين معركة مؤتة حيث كانت الغلبة للروم ومعركة اليرموك حيث كان النصر المؤزر للمسلمين لوجدنا فعلا سبعة سنين فقط.

السؤال: لماذا كان قرار أبي بكر (خليفة المسلمين) بتولية خالد على جيش اليرموك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لما تواجه المؤمنون مع الروم في واقعة اليرموك، لم يستطع أحد الطرفين أن يحسم المعركة، عندها تنبه الصديق إلى الوعد الإلهي الذي جاء في بداية سورة الروم:

- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: 1-7]

فعلم يقينا أن وعد الله نافذ، لذا كان لابد أن تكون المقارعة مع جيش الروم بأولئك المؤمنين الذين حضروا مؤتة، فأرسل إلى خالد ومن كان معه في العراق من الذين حضروا مؤتة، وأمرهم بالتوجه فورا إلى لقاء الروم في اليرموك، وما أن وصل خالد مع النفر من المؤمنين الذين حضروا مؤتة حتى كان النصر المؤزر للمؤمنين، فكان ذلك نصرا من الله الذي وعدهم إياه، فما أخلف الله أبدا ما وعد به عباده المؤمنين عندما قال:

- ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم: 6-7]

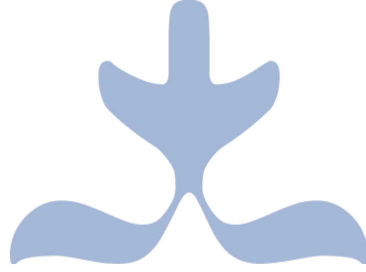
(دعاء: اللهم أدعوك أن أكون من القليل من عبادك المؤمنين، وأعوذ بك أن أكون من الغافلين الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، إنك أنت السميع البصير – آمين)

السؤال: ما دخل هذا الكلام كله بفقه الصلاة وخاصة عدد ركعاتها؟

هذا ما سنحاول أن نتناوله في الجزء القادم من هذه المقالة بحول الله وتوفيق منه.

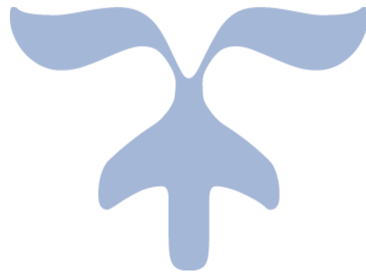
فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم وأن يزيدني علما وأن يهدين لأقرب من هذا رشدا، إنه هو العليم الحكيم

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الجراح & مجهول حتى الساعة
بقلم د. رشيد الجراح
26 آذار 2017



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟

الجزء الخامس



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟ – الجزء الخامس

دعنا نبدأ الجزء الخامس من هذه المقالة بالعودة إلى الحديث عن فقه الصلاة، خاصة ما يتعلق منها بالتساؤلات التالية:

1. الأقوال والحركات في الصلاة
2. عدد الركعات
3. علاقة الصلاة بالعبادات الأخرى وخاصة الزكاة
4. الخ

باب ما بين الجهر والمخافتة في الصلاة مقابل باب ما دون الجهر من القول

تحدثنا في الجزء الأول من هذه المقالة عن الفرق بين الصلاة وإقامة الصلاة، وزعمنا الظن بأن الصلاة الحركية تقع في باب إقامة الصلاة كما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة: 3]
- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة: 43]

وفعل إقامة الصلاة يتطلب الغسل لها (أو ما يسمى بالوضوء بين الناس) كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]

وزعمنا الظن بأن الصلاة كانت على جميع المؤمنين بالله كتابا موقوتا:

- ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء: 103]

فهي ليست عبادة خاصة بدين محمد، ولكنها شريعة كل الرسل من قبله:

- ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾ [المائدة: 12]

لكن المشكلة باتت في من سبقنا عندما أضاعوا هذه الشعيرة العظيمة:

- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ٥٨ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: 58-59]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا 1: كانت الصلاة على الدوام كتابا موقوتا على كل المؤمنين من عند نوح وحتى محمد

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا 2: أضاع الخلف من بعد الرسل السابقين هذه العبادة العظيمة

لما جاءت رسالة محمد، عادت هذه الشعيرة إلى جدول أعمال المؤمنين بربهم، فكانت حاضرة على الدوام في سجلهم اليومي، فما انقطعت هذه العبادة العظيمة يوما من حياة المؤمنين بربهم، المتبعين لشريعة محمد.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لما جاء محمد بهذه الشريعة، لم تفرض الصلاة على المؤمنين منذ اليوم الأول، فظلت الدعوة إلى التوحيد (نحن نتخيل) هي جوهر رسالة محمد حتى كانت حادثة الإسراء:

- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء: 1]

وفي تلك الليلة العظيمة حصل (نحن نتخيل) التعليم الإلهي لمحمد كما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ

﴿٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ
١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدْ
رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ١٨﴾ [النجم: 1-18]

فنزل الروح الأمين بالكتاب كله على قلب محمد:

- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١٩٩﴾ [الشعراء: 192-199]

ولكن كان الطلب الإلهي من محمد أن لا يحرك به لسانه ليعجل به، فكان محمد مطالبا أن يتبع من القرآن ما يقرأ عليه فقط:

- ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: 16-19]

فكان الوحي هو من يقرأ على محمد ما يجب عليه أن يخرجه من هذا الكتاب العظيم في كل مرحلة زمنية حينئذ. فكان قرآنا مفرقا، فقرأه محمد على مكث:

- ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ١٠٦﴾ [الإسراء: 106]

فأصبح لزاما أن لا يعجل محمد بالقرآن مرة واحدة من قبل أن يقضى إليه وحيه:

- ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ١١٤﴾ [طه: 114]

الخلاصة: إن من أهم الاستنباطات المفتراة من عند أنفسنا (ربما مخطئين) بأن علم ما في الكتاب كله قد جاء محمدا جملة واحدة، فكان ذلك سببا في أن يثبت الله به قلب محمد:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ٣٢﴾ [الفرقان: 32]

وعندما بدأ محمد تطبيق ما يوحى إليه، كانت التشريعات تتدرج شيئا فشيئا بناء على ما كان يقرأ الوحي منه على محمد، فعندما نزل عليه قول الحق:

- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78]

أقام محمد فيمن حوله من المؤمنين صلاتين هما صلاة الفجر التي ينقضي وقتها عندما تدلك الشمس (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) وصلاة العشاء التي ينتهي وقتها مع غسق الليل (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ)، فأقام محمد صلاتين اثنتين، هما صلاة الفجر وصلاة العشاء:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨﴾ [النور: 58]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا مهمة جدا جدا: كانت الصلاة الأولى هي صلاة الفجر

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا مهمة جدا جدا: كانت الصلاة الأخيرة هي صلاة العشاء

وعندما أوحي إلى محمد الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114]

أقام الرسول الكريم فيمن حوله من المؤمنين ثلاث صلوات أخرى في اليوم والليلة، فكانت صلاتان في طرفي النهار (الظهر والعصر) وصلاة ثالثة زلفا من الليل (المغرب). فأصبح مجموع الصلوات التي يقيمها محمد في المؤمنين من حوله هي خمس صلوات في اليوم والليلة:

- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78]
- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114]

(للتفصيل انظر الجزء الأول من هذه المقالة).

ولما كان محمد يقيم الصلاة فيمن حوله من المؤمنين، كان لزاما أن يُوحى إليه كيفية إقامة هذه الصلاة، فكان (نحن نرى) من أول ما نزل على محمد في هذا الصدد (نحن نتخيل) هو قول الحق:

- ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ [الإسراء: 110]

فكان محمد يصلي فيمن حوله، فلا يجهر بصلاته ولا يخافت بها، ولكنه كان يبتغي بين ذلك سبيلا. فكان المؤمنون من حوله (نحن نتخيل) يسمعون ما يقول محمد في صلاته كما يشاهدون حركاته في الصلاة. وظل هذا السلوك سائدا حتى نزل قول الحق في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: 205]

فأصبح محمد يصلي بما دون الجهر من القول (أي سرية) في الصلاة التي يقيمها لهم بالغدو والآصال.

ولو تتبعنا معاني مفردتي الغدو والآصال من كتاب الله، لوجدنا أن الغدو هو ما يتبع أول النهار (أي فترة الغداء)، بدليل أنه في هذا الوقت يتم تبوء المؤمنين للقتال:

- ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾ [آل عمران: 121]

وهو الوقت الذي كان يبدأ به سليمان رحلته إلى الأرض المباركة:

- ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢﴾ [سبأ: 12]

وبكلمات أكثر دقة، فإننا نفهم أن الغدو هو وقت يكون فيه حاجة للظل (من حر الشمس):

- ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ١٥﴾ [الرعد: 15]

ولا يكون الظل فقط في وقت الغدو (الظهيرة) وإنما أيضا في وقت الآصال. واقرأ عزيزي القارئ – إن شئت- الآية الكريمة مرة أخرى:

- ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ١٥﴾ [الرعد: 15]

وفي هذين الوقتين شرع الله للمؤمنين أن يذكروا اسم الله في المساجد:

- ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦﴾ [النور: 36]

نتيجة مفتراة 1: جاء التشريع الإلهي بأن يذكر المؤمن ربه بالغدو (وقت الظهر) والآصال (وقت العصر) في نفسه دون الجهر من القول. فكانت صلاة سرية في الظهر والعصر

- ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: 205]

نتيجة مفتراة 2: ظل المؤمنون يذكرون الله في الصلوات الثلاث الأخرى فيما بين الجهر والمخافتة، فكانت صلاة جهرية في الفجر والمغرب والعشاء:

- ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ [الإسراء: 110]

باب: كيفية النداء للصلاة (الآذان)

لو تفقدنا الآيات الكريمة، لوجدنا بأن المؤمنين مطالبين بصريح اللفظ القرآني بالنداء لهذه الصلوات:

- ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨﴾ [المائدة: 58]

فكان من الضروري أن يتعلم المؤمنون من حول الرسول الكريم كيفية النداء للصلاة في هذه الأوقات، فشرع الآذان على النحو التالي:

الله أكبر
أشهد أن لا إله إلا الله
أشهد أن محمدا رسول الله
حي على الصلاة
حي على الفلاح

السؤال: لماذا جاء النداء للصلاة على هذا النحو؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لو تفقدنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن النداء حاضر للصلاة في يوم الجمعة:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة: 9]

فكان لزاما الفهم أن المناداة للصلاة تحمل في ثناياها ذكر الله (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ). وجاء الحديث عن ذكر الله في أوقات الصلاة كلها:

- ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦﴾ [النور: 36]

وهذا ما جاء على لسان موسى يوم أن دعا ربه أن يرسل إلى هارون:

- ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ [طه: 29-34]

ففي إقامة الصلاة ذكر الله، وفيها أيضا تسبيح الله. وقد افترينا الظن في جزء سابق من هذه المقالة بأن ذكر الله يتم بالصلاة المفروضة (أو ما يسمى بين العامة بصلاة الفرض) وتسبيحه يتم في الصلاة المندوبة (أو ما يسمى بين العامة بصلاة السنة)

(للتفصيل انظر الأجزاء السابقة من هذه المقالة)

السؤال: كيف يتم ذكر الله؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن (ربما مخطئين) بأن ذكر الله يتم بالعبارة التالية: الله أكبر

السؤال: وكيف يتم تسبيح الله؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن (ربما مخطئين) بأن تسبيح الله يتم بالعبارة التالية (سبحان الله)

السؤال: وكيف يذكر اسم الله في المساجد بناء على ما جاء في الآية الكريمة التالية؟

- ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦﴾ [النور: 36]

السؤال مرة أخرى: كيف يتم ذكر الله في بيوت الله؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن ذلك يتم برفع هذه الكلمة: الله أكبر.

السؤال: لماذا جاءت العبارة الأولى في الآذان على نحو "الله أكبر"

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن السبب في ذلك يمكن أن نفهمه مما جاء في قوله تعالى (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ):

- ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: 45]

فذكر الله هو إذن أكبر من كل شيء غيره. ولو دققنا فيما قاله إبراهيم يوم كان باحثا عن ربه الحقيقي، لوجدنا بأنه كان يتخذ الرب بناء على من هو أكبر، فما أن رأى الشمس بازغة حتى قال بأن هذا هو ربه، لأنه أكبر:

- ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: 78]

فنحن إذن نقول "الله أكبر" لأنه ليس هناك في الوجود من هو أكبر من الله. فكانت العبارة الأولى في المناداة للصلاة هي:

الله أكبر

السؤال: لم جاءت العبارة الثانية في الآذان على النحو التالي؟

أشهد أن لا إله إلا الله

جواب مفترى: لو تدبرنا الحوار التالي الذي يدور بين الله (رب العالمين) من جهة وعيسى بن مريم (المسيح) من جهة أخرى:

- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: 116]

لوجدنا أن رد عيسى بن مريم تمثل بكلمة واحدة وهي (سُبْحَانَكَ)، فما الذي نفهمه من هذا الرد؟

رأينا المفترى: جاء السؤال الإلهي لعيسى على النحو التالي:

- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ... ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: 116]

فكان يكفي عيسى بن مريم أن يقول سُبْحَانَكَ لينفي عن نفسه تلك التهمة.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن عيسى قد نفى عن نفسه تهمة أنه قد طلب من الناس اتخاذه وأمه إلهين من دون الله. فبمجرد قول عيسى لربه سُبْحَانَكَ فهو إذن قد نفى وجود الشريك مع الله الواحد الأحد.

نتيجة مفتراة: إن مجرد قولنا سبحان الله، فإن هذا يعني أننا ننفي يقينا بأن يكون مع الله شريك آخر، وفي الوقت ذاته نحن نثبت الوحدانية المطلقة لله.

السؤال مرة أخرى: ما معنى قول عيسى سُبْحَانَكَ؟ وما معنى قولنا على الدوام سبحان الله؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن مفردة سبحان الله تعني أن ليس هناك إله آخر يشرك مع الله. انتهى.

السؤال: وكيف يمكن أن نشهد بذلك عند رفع الآذان؟

رأينا: نحن نظن أن ذلك يتحقق بقولنا: أشهد أن لا إله إلا الله

الدليل

نحن مطالبون أن نشهد على الدوام لله بالوحدانية، ونحن مطالبون أن نشهد بذلك بأفضل طريقة، فما هي إذن الطريقة الأفضل للشهادة لله بالوحدانية؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الطريقة الأفضل هي الطريقة التي شهد الله لنفسه بها. فلو تفقدنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن الله يشهد لنفسه بالوحدانية على النحو التالي:

- ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: 18]

فإذا كان الله قد شهد لنفسه بهذه العبارة (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)، وإذا كان الملائكة وأولوا العلم قد شهدوا على شهادة الله نفسه (وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ)، فكيف يشهد كل واحد منا بذلك؟

رأينا المفترى: نحن نفتري القول بأن على كل مؤمن أن يشهد هو بنفسه بأنه لا إله إلا الله، فكانت شهادتنا عند رفع الآذان هي شهادة صحيحة بوحدانية الله، فجاءت على النحو التالي:

أشهد أن لا إله إلا الله.

- ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: 19]

السؤال: لماذا جاء بعد ذلك في النداء للصلاة (أي الآذان) الشهادة لمحمد بالرسالة على النحو التالي؟

وأشهد أن محمدا رسول الله؟

رأينا المفترى: لما قرأنا في كتاب الله قوله تعالى:

- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40]

أصبح لزاما علينا الإقرار لمحمد بالرسالة، أي أن محمدا هو رسول الله.

السؤال: لماذا وردت هذه الشهادة لمحمد في النداء للصلاة (أي في الآذان)؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لو تدبرنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا بأن الله قد رفع لمحمد ذكره:

- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: 4]

فكان لزاما أن يرفع ذكر محمد على الدوام، وليس أدل على ذلك - برأينا - مما نقوله في الآذان، وهي الشهادة لمحمد بالرسالة:

أشهد أن محمدا رسول الله

السؤال: لماذا جاء بعد ذلك قولنا:

حي على الصلاة؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن ذلك تطبيقا فعليا لما جاء في قوله تعالى:

- ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة: 58]

فعبارة (حي على الصلاة) هي تطبيق عملي للمناداة للصلاة، فعندما يقول المنادي "حي على الصلاة"، فإنه بذلك ينادي على المؤمنين بالحضور إلى الصلاة.

السؤال: لماذا جاءت عبارة "حي على الفلاح" بعد المناداة للصلاة بقولنا "حي على الصلاة"؟

رأينا المفترى: لو تفقدنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا بأن المفلحين هم من كانوا في صلاتهم خاشعين:

- ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: 1-2]

فأصبح لزاما التذكير إلى أن الفلاح يكمن في إقامة الصلاة على وقتها.

فأصبح النداء للصلاة يتضمن الأمور التالية التي يوضحها الجدول التالي:

ذكر الله	الله أكبر: وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ
تسبيح الله	أشهد أن لا إله إلا الله: شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
رفع ذكر محمد	أشهد أن محمدا رسول الله: وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ
المناداة إلى الصلاة	حي على الصلاة: وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ
التذكير بفلاح المصلين	حي على الفلاح: قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢

باب أوقات الصلاة

لقد أصبح واضحا (في ذهننا) أن الصلوات المفروضة على المؤمنين في اليوم والليلة هي خمس صلوات كما نفهم ذلك من منطوق الآيتين الكريمتين التاليتين:

- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨﴾ [الإسراء: 78]
- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾ [هود: 114]

ونحن نكاد نجزم الظن (ربما مخطئين) بأن هذه هي الأوقات التي تقام فيها كل صلاة، فهناك صلاة تقام قبل دلوك الشمس: أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ

وبذلك يكون وقت هذه الصلاة ممتدا حتى دلوك الشمس، لكن يبقى التساؤل التالي قائما: متى يبدأ وقت هذه الصلاة؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن وقت هذه الصلاة هو الوقت الحقيقي لبداية الفجر:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ

جُنَاحٌۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٨﴾ [النور: 58]

فهذا الوقت هو وقت العورة الأولى حيث يكون الناس حينئذ واضعي ثيابهم. ويبدأ الفجر عندما يبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الليل، وعندها يكون هذا الوقت هو الوقت الفعلي الذي حدده الشارع للإمساك عن الطعام والشراب والرفث إلى النساء من أجل الصيام:

- ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝١٨٧﴾ [البقرة: 187]

فما قبل بيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود يكون الوقت هو الليل. ويبدأ الفجر عندما يبدأ الخيط الأبيض (من الفجر) يبين من الخيط الأسود من الليل.

نتيجة مفتراة: تبدأ صلاة الفجر مع نهاية الليل ببيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وتنتهي مع دلوك الشمس: أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ

السؤال: لماذا جاء النص القرآني على نحو لدلوك الشمس؟ لِم لم يأت على نحو طلوع الشمس أو ظهور الشمس أو حتى رؤية الشمس؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن عوامل الطبيعة تتقلب من يوم إلى آخر ومن مكان إلى آخر. فقد يكون هناك مطر أو غيوم أو ما شابه من عوامل الطقس المتقلبة، لذا يصبح من الاستحالة تحديد وقت هذه الصلاة بناء على رؤية الشمس، ولكن يمكن تحديدها بناء على دلوك الشمس. فما معنى دلوك الشمس إذن؟

رأينا المفترى: نحن نظن (ربما مخطئين) بأن دلوك الشمس تعني وجود العلامة أو العلامات الدالة على أن الشمس قد جاءت. فحتى لو كان الجو ماطرا أو غائما، فهذا لا يمنع معرفة أن الشمس قد جاءت بناء على بعض العلامات، كدرجة الإضاءة أو الظل وما شابه. ولقد كان انشغال الناس بالتوقيت منذ الأزل مرتبط بهذه الكينونة (الشمس).

ولو تفقدنا مفردة الفجر التي ترد مصاحبة للصلاة في قوله تعالى:

- ﴿... مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ ... ﴾ [النور: 58]

لوجدنا على السريع بأن مفردة الفجر مشتقة من الانفجار كما في قوله تعالى:

- ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: 60]
- ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: 74]
- ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء: 90]
- ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف: 33]
- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [يس: 34]
- ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: 12]
- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: 6]
- ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: 3]

السؤال: ما هو الفجر (الانفجار)؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن بأن الانفجار بداية الانفلاق لظهور شيء جديد من شيء سابق. فعيون الماء انفجرت من الحجر، والينابيع تتفجر من الأرض، وكذلك العيون تتفجر من الأرض.

نتيجة مفتراة: الفجر هو بداية ظهور لشيء واضح من شيء غير واضح

لذا، فإن صلاة الفجر هي الصلاة التي تبدأ مع عملية الانفجار، ويتمثل ذلك ببيان الخيط الأبيض (كما هو الماء) من الخيط الأسود (كما هو باطن الحجر أو الأرض)

لكن يجب لفت الانتباه هنا إلى أن الفترة الزمنية الواقعة بين بيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود (بداية الصلاة) ودلوك الشمس (نهايتها) هو وقت ليس بالطويل جدا. وسنرى تبعات هذا الظن بعد قليل بحول الله وتوفيقه على عدد الركعات الخاصة بهذه الصلاة.

أما الصلاة الأخيرة (وهي صلاة العشاء) فهي تبدأ في الليل وتنتهي عند غسق الليل: أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ

ولا شك أن وقت هذه الصلاة يكون هو وقت عورة حيث يضع الناس لباسهم في هذا الوقت:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨﴾ [النور: 58]

ولو دققنا في هذه الصلاة، لوجدنا بأن وقتها يمتد من الليل حتى غسق الليل. ليكون السؤال هو: ما هو غسق الليل؟ أي متى ينتهي وقت هذه الصلاة؟

جواب مفترى: نحن نظن أن غسق الليل هو الوقت الذي يقترب من منتصف الليل. وما أن ينتهي غسق الليل حتى يكون وقت هذه الصلاة قد انتهى.

الدليل

لو دققنا في الآية الكريمة التالية، لوجدنا أنه في هذا الوقت من الليل تبدأ صلاة أخرى تسمى قيام الليل:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ [المزمل: 1-4]

السؤال: متى تبدأ صلاة قيام الليل؟ وكيف يمكن أن نقيم الليل؟

رأينا المفترى: تطرقنا لهذه القضية على وجه التحديد في الجزء الثاني والعشرين من قصة يونس، ونحاول هنا إعادة الخطوط العريضة ذات العلاقة بالصلاة هنا لأهميتها في تحديد أوقات الصلاة الفعلية التي يجب على المؤمن الالتزام بها.

أما بعد،

باب قيام الليل

التساؤلات

⇐ كم مطلوب منا أن نقوم الليل؟
⇐ هل مطلوب منا أن نقوم الليل كله إلا قليلا؟
⇐ هل مطلوب منا أن نقوم نصفه؟
⇐ هل مطلوب منا أن ننقص من نصفه قليلا؟

⇐ هل مطلوب منا أن نزيد على نصفه؟
⇐ كم مطلوب منا أن نزيد على نصفه؟
⇐ الخ

لنبدأ النقاش هنا بمفردة المزمل، لنطرح التساؤل الأول وهو: ما معنى مفردة المزمل التي ترد في الآية الكريمة نفسها؟

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ④﴾
[المزمل: 1-4]

رأينا المفترى: عند محاولتنا البحث عن كلمة الْمُزَّمِّلُ (ومشتقاتها)، لم نجد في كتاب الله ذكر لهذه المفردة أو أي من مشتقاتها في سياقات قرآنية أخرى، لذا حاولنا أن نقارن المفردة نفسها بما يوازيها في سياقات أخرى، فوجدنا الآيات الكريمة التالية التي ظننا أنها الأقرب لهذا السياق القرآني، قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥﴾
[المدثر: 1-6]

فوجدنا أن الخطاب موجه في السياقين القرآنيين لشخص الرسول نفسه، ففي السياق الأول جاء الخطاب على نحو أنه مزمل (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)، وجاء الخطاب في السياق القرآني الثاني على نحو أنه مدثر (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ). ليكون السؤال هو ما الفرق بين المزمل والمدثر؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن المزمل هو من جاءه الخطاب بقيام الليل:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ④﴾
[المزمل: 1-4]

ولو دققنا في السياق أكثر، لوجدنا بأن المزمل هو من طُلب منه قيام الليل (قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) وترتيل القرآن (وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا)

نتيجة مفتراة 1: نحن نظن أن المزمل هو من يقوم الليل ويرتل القرآن، لذا فإن هذه الأفعال هي أفعال خاصة بالليل، لا تحصل في النهار

نتيجة مفتراة 2: نحن نظن أن المزمل لا يقوم بهذه الأفعال (من قيام الليل وترتيل القرآن) إلا أن يكون شخصيا على طهارة. فهو لم يلامس النساء بعد.

بينما المدثر – بالمقابل- فهو من جاءه الخطاب بالقيام بفعل الإنذار (قُمۡ فَأَنذِرۡ):

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: 1-6]

ولو دققنا أكثر، لوجدنا أن المدثر قد طلب منه أن يكبر (وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ) ويطهر ثيابه (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ) ويهجر الرجز (وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ) ولا يكثر من المني (وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ).

نتيجة مفتراة 3: نحن نظن أن المدثر هو من وجب عليه القيام بفعل الإنذار بعد أن يكون قد طهر ثيابه ولم يكثر من المني، وهذه الأفعال تحصل بعد النهوض من الفراش في الصباح الباكر.

نتيجة مفتراة 4: نحن نظن بأن المدثر هو من كان على جنابة بعد ملامسة النساء.

النتائج المفتراة من عند عندنا

من كان في حالة قيام الليل وترتيل القرآن فيما حول منتصف الليل، فهو يسمى بصريح اللفظ القرآني مزمل

من كان في حالة نهوض من الفراش في آخر الليل وبداية النهار، فهو يسمى بصريح اللفظ القرآني مدثر

إن صح منطقنا المفترى هذا، فإنه يجب علينا أن نفهم ماهية قيام الليل، لنطرح التساؤل التالي على الفور: متى يمكن أن يحصل قيام الليل؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن الله يطلب منا بداية قيام الليل إلا قليلا:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [المزمل: 1-2]

ونحن نفهم ذلك (ربما مخطئين) على نحو أن المؤمن مطالب أن يقوم معظم الليل، كأن يقوم أكثر أيام الأسبوع. فلو افترضنا بأن أيام الأسبوع هي ستة أيام (للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته: باب الشهر)، فإن المؤمن مطالب أن يقوم الليل على الأقل في أربعة منها. فنكون بذلك قد قمنا الليل كله إلا قليلا منه، ولنبدأ بقراءة الآيات الكريمة بهذا الفهم المفترى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [المزمل: 1-2]

السؤال: متى يبدأ وقت القيام في كل ليل من هذه الليالي؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن قيام الليل في الليلة الواحدة لا يتم إلى في الوقت الذي يقع حول منتصف الليل، فيمكن أن تنقص من ذلك قليلا، أي قبل منتصف الليل بقليل:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: 1-4]

ويستمر وقت قيام الليل بعد منتصف الليل بما شئت من الوقت حتى بيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الليل:

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٨٧﴾ [البقرة: 187]

تلخيص ما سبق: نحن نظن أن الصورة (كما نفهمها) هي الآن على النحو التالي: يأمرنا الله أن نقوم الليل (كل الليل) إلا قليلا (قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)، فيصبح المسلم مطالبا بقيام معظم الليل، كأن يقوم مثلا أربعة ليال من ستة في الأسبوع الواحد أو أن يقوم عشرين ليلة من الثلاثين ليلة في الشهر الواحد، وهكذا. وربما بهذا الفهم المفترى يبين لنا معنى (قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا). ثم يجب على من أراد أن يقوم الليل الواحد أن يتبين وقت القيام فيه، أي في أي ساعة من الليل تقع الصلاة ضمن تصنيف قيام الليل، ونحن نظن أن الصلاة في الليل لا تقع في قائمة قيام الليل إلا إذا كانت مقاربة لنصف الليل، ولا يجوز تقديم ذلك عن نصف الليل إلا قليلا، فإذا كان نصف الليل هو الساعة الثانية عشر ليلا، فإن وقت القيام يكون حول ذلك ولا يقل مثلا عن الحادية عشر، وبهذا يبين لنا كيف أن النقصان منه مشروط بالقليل (نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا)، ولكن يحق لنا – بالمقابل- أن نؤخر القيام عن نصف الليل ما نشاء شريطة عدم ظهور الفجر، وبهذا يبين لنا كيف أن الزيادة غير مشروطة بالقليل (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا).

عودة على بدء

إن ما يهمنا من هذا الطرح هنا هو افتراءونا القول بأن وقت العشاء يمتد إلى غسق الليل، أي إلى ظلمة الليل الحالك التي تكون قبل منتصف الليل بقليل حيث يبدأ وقت قيام الليل. فتصبح أوقات الصلاة على النحو التالي:

⇐ وقت قيام الليل يبدأ من قبل منتصف الليل بقليل ويمتد حتى وقت الفجر، أي ظهور الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر

⇐ وقت صلاة الفجر تبدأ مع الفجر (الانفجار)، أي بيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ويمتد حتى دلوك الشمس، أي وجود العلامات الدالة على ظهور الشمس

⇐ وقت صلاة الظهر يبدأ من طرف النهار الأول (انحسار الظل)، وهذا هو وقت الغدو، ويمتد حتى بداية طرف النهار الثاني (امتداد الظل)، وهذا هو وقت الآصال:

- ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور: 36]
- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: 15]

⇐ في هذين الوقت على وجه التحديد يكون ذكر الله في النفس خفية دون الجهر من القول:

- ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205]

⇐ بينما تكون الصلاة في جميع الأوقات الأخرى ما بين الجهر والمخافتة:

- ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205]

⇐ الخ.

باب الحركات في الصلاة

لو حاولنا أن نتدبر كتاب الله الكريم حول هذه الجزئية على وجه التحديد، لوجدنا أن الحديث عن إقامة الصلاة (كما نفهمه طبعا) يتطلب القيام بثلاث حركات رئيسية وهي القيام والركوع والسجود.

- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: 26]

فإقامة الصلاة فيها قيام، فها هم الملائكة تنادي زكريا وهو قائم يصلي في المحراب:

- ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران: 39]

ولا شك عندنا أن القيام هو الحركة التي يقابلها حركة القعود:

- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: 12]

وها هم رسل ربنا يدخلون بيت إبراهيم عندما كانت امرأته قائمة:

- ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: 71]

ولا شك عندنا أن الصلاة فيها سجود كما فيها قيام مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: 9]
- ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: 11]

فالقيام هو واحد من الأفعال التي تتم في المساجد:

- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: 107-108]

كما قد يحصل القيام في غير المسجد أيضا:

- ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟

ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾ [المزمل: 20]

- ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: 218-219]
- ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور: 48-49]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: 1-4]

ولو تدبرنا الصلاة الحركية التي لازلنا نطبقها على الدوام في حياتنا اليومية، لوجدنا أنها هي عبارة عن قيام وركوع وسجود.

باب ما نقول في الصلاة

لو تدبرنا هذه الحركات الثلاثة وهي القيام والركوع والسجود، لوجدنا بأننا مطالبين أن نتلفظ ببعض العبارات المحددة في كل حركة من هذه الحركات، لتكون التساؤلات على النحو التالي:

1. ما الذي نقوله عندما نكون في حالة قيام؟
2. ما الذي نقوله عندما نكون في حالة ركوع؟
3. ما الذي نقوله عندما نكون في حالة سجود؟
4. ما الذي نفعله ونقوله للخروج من الصلاة؟
5. الخ

باب ما نقول في حالة القيام؟

لو تدبرنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: 18]

لوجدنا أن أول ما يطلب منا في المساجد هو إفراد العبودية لله، فلا نشرك بربنا أحدا. ونقر بأن الله هو الإله الذي يستحق العبادة. فكيف يمكن تحقيق ذلك على أرض الواقع؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ذلك يتم بأن نتلفظ بالعبارة التالية: الله أكبر

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن مجرد تلفظنا بهذه العبارة (الله أكبر) في بداية كل صلاة هو بحد ذاته إقرار منا بأن الله هو أكبر وهو إذن من يستحق العبادة. فكل شيء آخر دون الله الذي هو أكبر لا

يستحق أن يعبد. وكما أسلفنا سابقا فإن هذا هو الأساس الذي اختار بناء عليه إبراهيم ربه، فعندما ظن إبراهيم أن الشمس هي أكبر اتخذها ربا له:

- ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: 78]

ولكن لما وجد أن هناك من هو أكبر من الشمس، توجه إبراهيم إليه فورا تاركا الشمس وراءه، فكان الله فاطر السموات والأرض:

- ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 79]

فمجرد تلفظنا بعبارة الله أكبر إذانا ببدء مراسم إقامة الصلاة الحركية، فإن ذلك (نحن نظن) إقرار منا بأن الله هو أكبر من كل شي، وأننا بذلك نفرد العبودية لله وحده، وبذلك نتخلص من الشرك كله، فنكون حنفاء لله، لا نشرك به شيئا (حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، ونكون بذلك مؤهلين (إن شاء الله) بالمغفرة من الله، لأن الله يغفر الذنوب جميعا إلا أن يشرك به:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48]
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: 116]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن مجرد قولنا الله أكبر هو إقرار منا بأننا لا نشرك مع الله أحدا. لهذا مطالبين (نحن نفهم) أن يكون أول ما نتلفظ به للدخول في الصلاة هو قولنا: الله أكبر

ثانيا، ما أن نقر لله بالوحدانية وندخل في الصلاة مكبرين (الله أكبر)، حتى نبدأ بقراءة القرآن في الصلاة، ولكن يجب على كل من يقرأ القرآن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم حينئذ، مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: 98]

فنبدأ ذلك بقولنا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ونحن مطالبين بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، لأن هذا الشيطان هو من توعدنا بالضلالة:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝١١٩ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [النساء: 116-120]

وهذه الاستعاذة تكون بالله من الشيطان الرجيم على وجه التحديد، ليكون السؤال المطروح على الفور هو: لماذا نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم على وجه التحديد؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الشيطان الرجيم هو إبليس نفسه، فبالرغم أن هناك شياطين كثيرة، إلا أن إبليس من بينهم جميعا هو الشيطان الرجيم، لأن الله هو من رجمه يوم أن رفض السجود لآدم:

- ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤﴾ [الحجر: 33-34]
- ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٧٧﴾ [ص: 76-77]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: بالرغم من وجود الشياطين الكثيرة، إلا أن هناك من بينهم جميعا شيطان واحد هو رجيم، وهو إبليس. (للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان هل وسوس إبليس لآدم؟)

السؤال: لماذا نستعيذ بالله من هذا الشيطان الرجيم على وجه التحديد؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن بأن السبب في استعاذتنا من هذا الشيطان الرجيم تكمن في أنه هو من توعد بأن يقعد لنا على الدوام صراط الله المستقيم عندما قال:

- ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾ [الأعراف: 16-17]

السؤال: ما الذي نطلبه من ربنا عندما نستعيذ به من هذا الشيطان الرجيم؟

رأينا المفترى: نحن نطلب من الله أن يعيذنا بالله من هذا الشيطان الذي هو قاعد لنا صراط الله المستقيم (قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) حتى لا يأتينا من بين أيدينا ولا من خلفنا ولا عن

أيماننا ولا عن شمائلنا كما توعدنا بذلك (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ)، فلا نكون حينئذ من الشاكرين إن هو فعلا تمكن منا (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ).

فتصبح الصلاة حتى اللحظة على النحو التالي:

الله أكبر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

السؤال: ما الذي يجب أن نقوله حتى نكون من الملتجئين إلى الله في مواجهة هذا الشيطان الرجيم؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: أن نبدأ كلامنا بذكر اسم الله

السؤال: وكيف يتم ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ذلك يتحقق بقولنا:

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: 1]

السؤال: ما الذي نستفيده من ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الفائدة المرجوة من ذلك تتمثل في اللجوء إلى الله الذي هو الرحمن الرحيم في مواجهة الشيطان الرجيم؟

فتصبح أقوال الصلاة الآن على النحو التالي:

الله أكبر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: 1]

السؤال: كيف يمكن أن ندحر هذا الشيطان؟

رأينا المفترى: نحن نظن أننا نستطيع دحر الشيطان بسهوله عندما نكون لله من الشاكرين، لأن خطة الشيطان كانت على نحو أن يقعد لنا عن صراط الله المستقيم عندما يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا حتى لا نكون شاكرين. وانظر عزيزي القارئ – إن شئت – الآية الكريمة السابقة مرة أخرى:

- ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: 16-17]

السؤال: وكيف نستطيع أن نبطل خطة الشيطان الرجيم هذه؟

رأينا المفترى: نحن نظن أننا نستطيع أن ندحر هذا الشيطان فورا عندما نقول على الفور العبارة التالية التي تبين أننا فعلا من الشاكرين (على غير ما يريد الشيطان ويتمنى):

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: 2]

وهنا نتوقف للحظة لمحاولة التمييز بين الشكر الذي يتحدث عنه إبليس (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ) مقابل الحمد الذي نتلفظ به في بدايات سورة الفاتحة في الصلاة:

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: 2]

السؤال: ما الفرق بين الشكر والحمد؟

رأينا المفترى: لو تدبرنا السياقات القرآنية الخاصة بهاتين المفردتين، لوجدنا على الفور أن الحمد لا يكون إلا لله رب العالمين:

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: 2]
- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: 1]
- ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: 45]
- ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: 43]
- ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: 10]
- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: 39]
- ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل: 75]

- ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء: 111]
- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾ [الكهف: 1]
- ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨﴾ [المؤمنون: 28]
- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾ [النمل: 15]
- ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ [النمل: 59]
- ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [النمل: 93]
- ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القصص: 70]
- ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾ [العنكبوت: 63]
- ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾ [الروم: 18]
- ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥﴾ [لقمان: 25]
- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١﴾ [سبأ: 1]
- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾ [فاطر: 1]
- ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر: 34]
- ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: 182]
- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩﴾ [الزمر: 29]
- ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر: 74]
- ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾ [الزمر: 75]
- ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: 65]
- ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦﴾ [الجاثية: 36]
- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [التغابن: 1]

بينما يكون الشكر – بالمقابل- لله ولغير الله كما في قوله تعالى:

- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: 14]

السؤال: لماذا يكون الحمد لله وحده بينما يكون الشكر لله ولغير الله؟

رأينا المفترى: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن الحمد يكون لله وحده لأن الله هو من أصبغ علينا نعمه جميعا ظاهرة وباطنية:

- ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: 20]

نتيجة مفتراة: مادام أن الله هو من أصبغ علينا نعمه جميعا ظاهرة وباطنة، فإن الله يستحق الحمد، وذلك لاستحالة أن نحصي نعمت الله هذه:

- ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 34]
- ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: 18]

نتيجة مفتراة: الحمد يكون لله على نعمه جميعا. بينما يكون الشكر - بالمقابل - على نعمت محددة بذاتها. فإذا ما قدّم لك شخص ما فنجانا من القهوة أو كأسا من الشاي، فإنك تقول له على الفور: شكرا. لكن لا يمكن أن تقول له أحمدك.

السؤال: لماذا؟

رأينا: نحن نظن أن الشكر تكون من أجل هذه الخدمة المقدمة بذاتها. فإن أنت شكرت الله على نعمت ما، فإنك تطلب من الله الزيادة منها. قال تعالى:

- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: 7]

ولو تفقدنا آيات الكتاب الحكيم الأخرى، لوجدت بأن الشكر يكون على نعمت محددة بذاتها، قال تعالى:

- ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾ [البقرة: 52]
- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ [البقرة: 56]
- ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة: 152]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة: 172]
- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥﴾ [البقرة: 185]
- ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٢٤٣﴾ [البقرة: 243]
- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢٣﴾ [آل عمران: 123]
- ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧﴾ [النساء: 147]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: 6]
- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٨٩﴾ [المائدة: 89]
- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾ [الأعراف: 10]
- ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝٥٨﴾ [الأعراف: 58]
- ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٢٦﴾ [الأنفال: 26]

- ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠﴾ [يونس: 60]
- ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: 38]
- ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم: 7]
- ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: 37]
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾ [النحل: 14]
- ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: 78]
- ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤﴾ [النحل: 114]
- ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦﴾ [الحج: 36]
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [المؤمنون: 78]
- ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل: 19]
- ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾ [النمل: 40]
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ [النمل: 73]
- ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ [القصص: 73]
- ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ [العنكبوت: 17]
- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٤٦﴾ [الروم: 46]

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: 12]
- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: 14]
- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: 9]
- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 13]
- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: 15]
- ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: 12]
- ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يس: 35]
- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس: 73]
- ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: 7]
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: 61]
- ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الجاثية: 12]
- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: 15]
- ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر: 35]
- ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: 70]
- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: 23]
- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: 14]

- ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة: 158]
- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران: 144]
- ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾ [آل عمران: 145]
- ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾ [النساء: 147]
- ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام: 53]
- ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣﴾ [الأنعام: 63]
- ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: 17]
- ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف: 144]
- ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ [الأعراف: 189]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ [يونس: 22]
- ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾ [النحل: 121]
- ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠﴾ [الأنبياء: 80]
- ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر: 66]
- ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان: 3]

ولو تفقدت الآيات الكريمة التالية على وجه التحديد، لوجدت أن الله هو بنفسه يمكن أن يكون شاكرا:

- ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة: 158]
- ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾ [النساء: 147]

لكن لا يمكن أن يكون الله حامدا، وذلك لاستحالة أن يكون غير الله هو صاحب النعمة جميعا.

نتيجة مفتراة 1: الحمد يكون لمن هو قادر على إسباغ النعمة التي لا يمكن أن تحصى

نتيجة مفتراة 2: الشكر يكون لكل من يقدم له نعمة يمكن أن تحصى

وهنا (نحن نرى) تبدأ قصة قراءة الفاتحة في الصلاة:

- ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 1-7]

فلو تدبرنا هذه السورة العظيمة، لوجدنا أننا نحمد الله أولا حتى نكون (نحن نفتري القول من عند أنفسنا) من الحامدين لله على إسباغه علينا نعمه جميعا ظاهرة وباطنة، فندحض كيد الشيطان الذي هو أصلا كيد ضعيف:

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء: 76]

فصلاتنا هي عبارة عن مقاتلة للشيطان وأولياء الشيطان، لذا فإن مجرد قولنا:

- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة: 2]

كفيل بهزيمة الشيطان (وأولياءه)، فلا يستطيع أن يأتينا من بين أيدينا ولا من خلفنا ولا عن أيماننا ولا عن شمائلنا كما توعدنا بذلك:

- ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: 16-17]

وهنا يجب علينا أن نفرد لله (الذي نعبده) الصفات الكفيلة بأن تنصرنا على الشيطان، فيأتي قولنا بعد ذلك مباشرة على النحو التالي:

- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: 3-4]

وما أن يتم دحر الشيطان بهذه الكلمات العظيمة حتى يأتي إقرارنا بعقيدتنا التي نؤمن بها، ألا وهي العقيدة الحنفية التي مفادها أننا نعبد الله وحده وأننا نستعين به وحده على الشيطان وأولياء الشيطان:

- ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: 5]

وبعدها مباشرة يأتي تصريحنا بالهدف من هذه العقيدة كلها، ويتمثل ذلك بطلبنا من الله أن يهدينا الصراط المستقيم:

- ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6]

أي الصراط الذي توعد الشيطان أن يقعدنا إياه:

- ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: 16-17]

وهذا الصراط هو نفسه الصراط الذي هداه الله عبادة الذين أنعم الله عليهم:

- ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7]

أي صراط هؤلاء على وجه التحديد:

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ ٥٨﴾ [مريم: 58]

تلخيص ما سبق

نحن نفتري الظن من عند أنفسنا (ربما مخطئين) بأن الجدول التالي يلخص ما نقوله في بداية الصلاة في حالة القيام

ندخل في فعل إقامة الصلاة بالإقرار بوحدانية الله	الله أكبر
تبدأ الصلاة بقراءة القرآن فيكون أول ما يجب فعله عند قراءة القرآن هو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم	أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
نطلب اللجوء إلى الله في مواجهة الشيطان الرجيم	﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: 1]
نفرد الصفات الخاصة بهذا الإله الذي نلجأ إليه	﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: 3-4]
نصرح بعقيدتنا الحنفية	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5]
نصرح بالهدف الحقيقي من هذا اللجوء إلى الله	﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6]
تحديد ماهية هذا الصراط الذي نطلب من الله أن يهدينا إياه	﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 7]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: عندما نكون في حالة القيام للصلاة، فإننا نبدأ بالشهادة الكاملة بأن الله هو ربنا، وأننا نلجأ إليه في مواجهة الشيطان الذي توعدنا بأن يعمل ما في وسعه حتى لا نكون من الشاكرين، فنصرح بحقيقة العقيدة السلمية التي نؤمن بها، ونطلب من الله حاجتنا إليه لهدايتنا صراطه المستقيم، فنطلب من الله وحده أن يحقق لنا هو بنفسه هداية هذا الصراط المستقيم الذي يوصلنا إليه. فكانت فاتحة الكتاب هي التطبيق الفعلي لهذه العقيدة الحنفية (التسليم المطلق لله ربنا الواحد الأحد).

ولو تدبرنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا بأنه يحق للمصلي أن يقرأ آيات الله الأخرى (بالإضافة إلى قراءة الفاتحة) مادام قائما في صلاته، مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝١١٣﴾ [آل عمران: 113]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (1): يجب على المصلي أن يقرأ بفاتحة الكتاب مادام قائما للصلاة

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (2): يحق للقائم للصلاة (أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ) أن يتلو آيات الله مادام قائما للصلاة (يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ)

باب الركوع والسجود

ما أن ننتهي من قراءة فاتحة الكتاب في قيامنا للصلاة (وما تيسر من آيات الكتاب الحكيم) حتى تأتي الحركة التالية وهي حركة الركوع في الصلاة. فلو تدبرنا الآيات الكريمة التالية، لوجدنا أن عباد الله المؤمنين مأمورون بأن يركعوا وأن يسجدوا:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧)﴾ [الحج: 77]
- ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)﴾ [البقرة: 124-125]
- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾ [الفتح: 29]
- ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [التوبة: 112]

ولو حاولنا تدبر هذه الآيات الكريمة أكثر، لربما حق لنا أن نستنبط بأن الركوع هو فعل حركي يسبق فعل السجود (رُكَّعًا سُجَّدًا).

ولو تدبرنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا بأن تلاوة آيات الله لا تكون إلا بحالة القيام:

- ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)﴾ [آل عمران: 113]

لذا، نحن لسنا مطالبين بقراءة شيء من القرآن في حالة ركوعنا أو سجودنا في الصلاة. ليكون السؤال الذي يمكن أن يطرح الآن هو: ما الذي يجب على المؤمن أن يقوله في حالتي الركوع والسجود؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن على الراكع وعلى الساجد أن يسبح ربه، قال تعالى:

- ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)﴾ [الإسراء: 107-108]

نتيجة مفتراة: نحن نظن أنه من الواجب على من يخر للأذقان سجدا أن يقول سبحان ربنا (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا)

السؤال: كيف يمكن أن نسبح ربنا في حالتي الركوع والسجود؟

جواب مفترى: لو بحثنا في القرآن الكريم على مساحة النص كله، لما وجدنا أن التسبيح يكون بغير اسم ربنا العظيم واسم ربنا الأعلى:

- ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: 74]
- ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ [الواقعة: 96]
- ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٥٢﴾ [الحاقة: 52]
- ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: 1]

التساؤلات

⇐ ما هو الركوع؟
⇐ ما هو السجود؟
⇐ ما الذي يجب قوله في حالة الركوع؟
⇐ ما الذي يجب أن نقوله في حالة السجود؟
⇐ لماذا يجب أن نركع وأن نسجد أصلا؟
⇐ الخ

رأينا المفترى: لو حاولنا أن نتدبر مفردة الركوع والسجود أكثر، لوجدنا بداية بأن فعل الركوع وفعل السجود يتحققا بالخر، فهذا داوود يخر راكعا:

- ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝٢٤﴾ [ص: 24]

وها هم إخوة يوسف يخرون له سجدا:

- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف: 100]

السؤال: كيف يمكن أن نتخيل داوود وقد خر راكعا؟ وبالمنطق نفسه نحن نسأل: كسف يمكن أن نتخيل إخوة يوسف وقد خروا له جميعا سجدا؟ فهل هيئة الخرور راكعا تتطابق مع هيئة الخرور ساجدا؟

رأينا المفترى: كلا وألف كلا، فالخرور راكعا هو فعل قائم بذاته يختلف تماما عن الخرور ساجدا الذي هو أيضا فعل قائم بذاته.

السؤال: ما الفرق بين الحالتين (الخرور راكعا مقابل الخرور ساجدا)؟

ونحن نتخيل أن فعل الخر يكون بالنزول التدريجي من أعلى إلى أسفل. فهذا سليمان يخر بعد أن قضى عليه الموت:

- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: 14]

لكن بالرغم أن فعل الخرور يحدث في حالتي الركوع والسجود، إلا أن السجود يمكن أن يختلف عن الركوع بالوقوع والإلقاء، ففعل السجود يمكن أن يتم بالوقع على الأرض، كما حصل مع الملائكة يوم أن طلب الله منهم السجود لآدم:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 28-29]
- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: 71-72]

ولو تدبرنا فعل السجود أكثر، لوجدنا بأن فعل السجود يمكن أن يتم أيضا بالإلقاء

- ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف: 120]
- ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: 70]
- ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الشعراء: 46]

ولو تدبرنا فعل الوقوع وفعل الإلقاء، لوجدنا بأنهما يحملان في ثناياهما معنى ملامسة الأرض، فهذا موسى يلقي عصاه على الأرض:

- ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأعراف: 107]

فمادام أن العصا قد أصبحت ثعبانا، فهي إذا تتحرك كما يتحرك الثعبان على الأرض.

والله يثبت أن فعل الوقوع يصل الأرض:

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥﴾ [الحج: 65]

نتيجة مفتراة (1): يتم فعل الركوع بالنزول التدريجي باتجاه الأرض، فيكون ذلك خرورا. ولكن ذلك لا يعني بالضرورة (نحن نفتري الظن) أن يصل إلى الأرض

نتيجة مفتراة (2): يتم فعل السجود بالنزول التدريجي باتجاه الأرض، فيكون ذلك خرورا (خر ساجدا)، لكن يمكن أن يتواصل النزول حتى يصل إلى الأرض فيصبح ذلك إلقاء ووقوعا.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: فعل الركوع في الصلاة هو حركة انحناء باتجاه الأرض

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: فعل السجود في الصلاة هو حركة انحناء باتجاه الأرض حتى الوصول إليها:

خر عليهم السقف

الدليل

دعنا ندقق في الآية الكريمة التالية:

- ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨﴾ [الإسراء: 107-108]
- ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝١٠٩﴾ [الإسراء: 109]

نحن نفهم هذه الآيات (ربما مخطئين) على نحو أن الخرور للأذقان يتطلب ملامسة الأذقان للأرض، أليس كذلك؟

باب السجود

لكن هذا المنطق المفترى من عند أنفسنا يتطلب منا العودة من جديد إلى معنى السجود الذي نظن أنه غالبا ما أسيء فهمه. فالغالبية من الناس (العامة منهم وأهل الاختصاص) يظنون بأن فعل السجود يتطلب فعل الملامسة للأرض. وهذا برأينا غير صحيح لأن النص القرآني يتحدث عن أشكال متعددة للسجود. فهناك فعل السجود نفسه:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34]

وهناك فعل السجود الذي جاء متلازما بقرينة مثل الخرور:

- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: 100]

والإلقاء:

- ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف: 120]

والوقوع:

- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 29]

السؤال: ما الفرق بين السجود والوقوع ساجدا أو الإلقاء سجدا والخرور سجدا؟

رأينا المفترى: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن السجود يحمل في ثناياه معنى الطاعة. لذا فإن كل من يطيع الأوامر فهو إذن من الساجدين، ولا يتطلب ذلك القيام بحركة محددة سوى تنفيذ الأوامر المطلوبة منه تنفيذها، وليس أدل على ذلك – برأينا- مما جاء في الآية الكريمة التالي (كما نفهمها طبعا). قال تعالى:

- ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن: 6]

السؤال: كيف يمكن أن نتخيل سجود النجم والشجر؟ فهل يقوم النجم والشجر بحركة الانحناء حتى يكون ساجدا؟ ولم جاء ذكر النجم والشجر على وجه التخصيص على نحو أنهما يسجدان؟ فما الذي يفعله النجم والشجر حتى يعتبر من الساجدين؟

رأينا المفترى: نحن لا نعتقد بأن النجم والشجر يقومان بفعل السجود على هيئة حركة الانحناء، لكن بالرغم من ذلك هما لا شك من الساجدين.

السؤال: لماذا؟

رأينا: لأن السجود يعني تنفيذ الأوامر المطلوبة منهما وكفى.

السؤال: وكيف ذلك؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: هل وجدت – عزيزي القارئ- أن الشجر يتخلف عن القيام بالمهمة المناطة إليها ولو قليلا؟ هل وجدت أن شجرة لا تسقط أوراقها في فصل سقوط الأوراق؟ وهل وجدت أن شجرة لا تنبت براعمها في وقت إنبات البراعم؟ وهل وجدت أن شجرة لا تحمل ثمرها في وقت حمل الثمار؟ وهل وجدت أن شجرة تعاكس الطبيعة في هذه الحركة الثابتة التي لا يمكن أن تتغير على مر الزمان؟

السؤال: لم تقوم الشجر بهذا الفعل على الدوام في الأوقات المحددة لها بالضبط؟ لم ينتج الزيتون كله في وقت قطف ثمار الزيتون؟ ولم تثمر شجرة التفاح في وقت محدد بذاته؟ ولم يحصل هذا لكل الشجر بالآلية نفسها في كل سنة؟ هل يمكن أن يحصل خلل في ذلك؟

جواب مفترى: كلا وألف كلا. وذلك لأن الشجر من الساجدين، أي من الأشياء المكلّفة بأداء مهام ثابتة محددة بأوقات معينة وبطريقة محددة. لذا، تجد هذا النظام المحكم الذي يستحيل أن يخترق.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: مادام أن الشخص أو الشيء مطلوب منه السجود، فعليه أن يقوم بذلك شاء أم أبى. فالسجود يكون بالطوع أو بالإكراه، قال تعالى:

- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: 15]

فالشجر لا يستطيع أن لا يسجد لأن هذا ما هو مطلوب منه أن يفعل سواء رضي بذلك أو لم يرضى بذلك، فهو مفطور على هذا الفعل طوعا وكرها.

السؤال: ما الذي يمكن أن نستفيده من ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن فعل السجود يكمن في تنفيذ الأوامر المطلوبة بالشكل المطلوب. ولهذا يحصل فعل السجود لله ولغير الله. فالله هو من طلب من الملائكة السجود لآدم:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34]

لذا، كان مطلوب من الملائكة جميعا أن يطيعوا أوامر آدم. وهذا الفعل يحصل في حياتنا اليومية على الدوام. فالجندي يسجد لقائده مادام أنه ينفذ أوامره كما طلبها منه.

السؤال: كيف يفعل الجندي ذلك؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: عندما يطلب الضابط من الجندي تنفيذ أوامره، فإن الضابط يطلب من الجندي أن يكون ساجدا له، مادام أنه مكلّف بإطاعة أوامره دون نقاش ولا مسألة. لذا نجد في قانون الجندية الشعار التالي (نفذ ثم ناقش)، وذلك لأن على الجندي أن يسجد للضابط مادام أنه مكلف بتنفيذ أوامره في الحال كما طلبها منه. ويأتي الدليل العملي على ذلك بقيام الجندي بأداء الحركة العسكرية

التي تبين طاعة الجندي لأوامر الضابط المسئول عنه. فهذه الحركة العسكرية (وهي التحية العسكرية) هي الدليل الفعلي على أن الجندي يسجد للضابط المسئول عنه.

لذا، كان الطلب الإلهي الأول من الملائكة هو السجود لآدم، أي تنفيذ أوامر آدم في الحال كما يريدها. لكن كان لابد أن تقوم الملائكة بفعل محدد بذاته لبيان استعدادهم لهذا التكليف، فجاء الطلب الإلهي منهم على النحو التالي:

- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 29]
- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: 72]

السؤال: كيف يمكن أن نتخيل وقوع الملائكة لآدم ساجدين؟

رأينا المفترى: لو تدبرنا هذا النص القرآني جيدا، لربما حق لنا أن نتخيل أنّ ما كان مطلوب من الملائكة فعله لبيان قبولهم بهذا الأمر الإلهي، وبالتالي إظهار سجودهم (أي طاعتهم) لآدم هو الوقوع.

السؤال: كيف تم ذلك؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: بداية، نحن ننفي جملة وتفصيل حصول الأمر على نحو ما يمكن أن ترسمه المخيلة الشعبية عن ما حصل حينئذ. فربما يتخيل الكثيرون بأن سجود الملائكة لآدم كان على نحو السجود الذي نقوم به في الصلاة، أي ملامسة الجباه (والأذقان) للأرض. لأنه لو حصل على هذا النحو المفترى من عند الناس أنفسهم لربما جاء النص القرآني على نحو أن الطلب الإلهي من الملائكة كان بأن يخروا للأذقان سجدا لآدم، كما في قوله تعالى:

- ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: 107]

فالملائكة إذن لم تخر للأذقان سجدا لآدم وإنما وقعوا له ساجدين، لذا نحن نتخيل أن ما حصل كان على نحو أن آدم كان قائما فيهم (إماما)، وما أن طلب الله من الملائكة الوقوع لآدم ساجدين حتى انحدروا نحو الأرض، فكانوا كما لو أنهم جالسين (بغض النظر عن الهيئة التي وقعوا بها على الأرض). فعندما يكون الشخص ماشيا على الأرض، ثم يحصل أن يقع على الأرض، فإن ذلك يسمى وقوعا سواء وصل الأرض راقدا على مؤخرته أو على جنبه أو على ركبته، وهكذا. المهم في الأمر أنه قد وقع على الأرض، وكفى.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن الوقوع يمكن أن يتم بأي طريقة لكنه – لا شك عندنا- لا يكون وصوله إلى الأرض منتظما. فالسماء عندما تقع على الأرض (لو حصل ذلك فعلا) لن تستقر كلها على الأرض بنفس الطريقة، فوقوعها على الجبال لن يكون مواز لوقوعها على الوادي أو على السهل أو على البحر، لكن ذلك كله يعتبر وقوعا:

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: 65]

وعندما يقع الشخص عن دابته على الأرض، فإن وقوعه ومن ثم وصوله إلى الأرض لن يكون بنفس الطريقة في كل مرة. وهكذا.

ولو حاولنا الانتقال إلى ما فعل إخوة يوسف، لوجدنا بأنهم لم يقعوا له ساجدين (كما فعلت الملائكة مع آدم)، ولكنهم خروا له سجدا. ليكون السؤال الآن هو: ما الفرق؟ وكيف يمكن أن نتصور الموقف كما حصل (حسب فهمنا للنص طبعا)؟

رأينا المفترى: نحن نظن أنه في حين أن حركة الوقوع هي حركة غير منتظمة يمكن أن ينتج عنها هيئات متعددة كما في الحالة الشخص الذي يكون ماشيا على قدميه ثم ما يلبث أن يقع على الأرض لسبب ما، فإن فعل الخرور هو فعل منتظم لا ينتج عنه إلا هيئة واحده محددة بذاتها، بدليل أن إخوة يوسف قد خروا سجدا لأخيهم في نهاية القصة. فنحن نتخيل أنهم قد قاموا جميعا بحركة منتظمة في ذلك المكان، لأنه لا شك مكان يتوجب فيه وجود النظام الذي يسيطر على الموقف.

السؤال: ما الذي فعله إخوة يوسف عندما خروا ليوسف سجدا؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن ننفي جملة وتفصيلا أن يكون إخوة يوسف قد خروا له سجدا بالمعنى الذي يمكن أن يتصوره الفكر الشعبي. فغالبا ما ظن الكثيرون بأن ذلك كان على نحو ما نفعل في صلاتنا عندما نسجد. فلو كان هذا فعلا ما حصل، لربما جاء النص القرآني (نحن نفتري القول) مشابها لما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: 107]

فما فعله إخوة يوسف لم يكن خرورا للأذقان، لذا لا نتخيلهم وقد وضعوا جباههم (أو أذقانهم) على الأرض. ولكن جل ما فعلوه (نحن نتخيل) كان نحو أنهم خروا له سجدا، وكفى.

السؤال: كيف يمكن أن نتخيل ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن مفترين القول من عند أنفسنا بأن الأذقان هي مكان إنبات الشعر في الوجه. فعندما ينبت الشعر في وجه الرجل، فإن ذلك يسمى "لحية"، بدليل ما فعله موسى عندما عاد من لقاء ربه. فهو قد أخذ برأس أخيه ولحيته:

- ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: 94]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: اللحية هي الشعر الذي ينبت في وجه الرجل.

السؤال: ما هي الأذقان إذن؟

رأينا المفترى: لو تدبرنا مفردة الأذقان في النص القرآني، لوجدنا الآية الكريمة التالية حاضرة على الفور:

- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ [يس: 8]

فعندما توضع الأغلال، فإن واحدة من أماكن وضع هذه الأغلال هي الأعناق، لكن يمكن أن تلف هذه الأغلال أكثر من لفة واحدة حول العنق، ويمكن أن يستمر لفها حول العنق حتى تصل الأذقان، عندها تقيد حركة الشخص كليا لأنه يصبح حينها مقمح.

السؤال: كيف يكون من لُفت الأغلال في أعناقهم إلى الأذقان مقمحون؟

تخيلات غريبة مفتراة من عند أنفسنا: لو تدبرنا لفظة مقمحون، لربما حق لنا أن نربطها بسنابل القمح. ولو حاولنا أن نتفحص هذه السنابل على وجه التحديد لوجدنا بأن السنبلة الغليظة ترتكز على فرع ضعيف، فالسنبلة أكثر ثقلا ربما من تحمل الفرع أو ساقها، فهي مستوية (أي راكدة تماما) على ساقها:

- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ۝٢٩﴾ [الفتح: 29]

فالزرع الذي يخرج شطأه قد آزره (أي سانده) حتى استغلظ، وما أن استغلظ (أي ثقل حمله) حتى استوى. ليكون السؤال الآن مرة أخرى هو: كيف لهذه السنابل الغليظة أن تستوي على هذا الساق (الذي يبدو ضعيفا) خاصة إذا ما تفقدنا ما جاء في الآية الكريمة التالية؟

- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١﴾ [البقرة: 261]

رأينا المفترى: نحن نظن أن السبب الذي يجعل الساق الضعيف يحمل السنبلة الغليظة هو لأنها مقمحة، وذلك لأن الأغلال تلتف حول الأعناق كما جاء في قوله تعالى:

- ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨﴾ [يس: 8]

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا: دعنا نتفحص سنبلة القمح (أو ما شابهه) كما في الشكل التوضيحي التالي:



لو دققنا في هذه الأشكال التوضيحية، سنجد بأن هذه السنابل قد غلت (أي لفت الأغلال) في أعناقها (أي المنطقة التي تعلوها السنبلة مباشرة). وهذا الأغلال هو – برأينا- ما يمكن السنبلة الغليظة (أي الثقيلة) أن تحمل على ساق ضعيف. ولازلنا حتى الساعة نتحدث في حياتنا اليومية عن الغلة إذا ما كان الحديث جار عن السنابل. فالسنابل جميعها مغلولة، ومقدار الثمر في هذه السنابل يعتمد على قوة الأغلال التي ترتكز عليها هذه السنابل. فإن كانت الغلة مشدودة قوية، فإن المحصول سيكون لا محالة وفيرا، أما إذا كانت الغلة ضعيفة، فإن المحصول لن يكون وافرا. لذا يسأل الفلاحون بعضهم بعضا عن مقدار ما جنوا من هذه السنابل بلفظ الغلة.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: إن صح منطقنا المفترى هذا من عند أنفسنا، فإن هذا سيفتح بحول الله وتوفيقه آفاقا علمية واسعة في علم زراعة هذه المحاصيل لا مجال للخوض فيها هنا، لكنّا نسأل ربنا الله وحده أن يعلمنا وأن يزدنا علما وأن يهدينا لأقرب من هذا رشدا، إنه هو العليم الحكيم – آمين.

ولو تفقدنا مفردة الأغلال، لوجدنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الإنسان: 4]

لنخرج إذن بالفهم أن هناك أغلالا وهناك سلاسل، ولكن لو تفقدنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن السلاسل للسحب، كما في قوله تعالى:

- ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ۝٧١﴾ [غافر: 71]
- ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: 32]

لكن الأغلال لتقيد الحركة، فتوضع في الأعناق:

- ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨﴾ [يس: 8]

لذا، جاء قول الكافرين بأن يد الله مقيدة عن الحركة بعدم الإنفاق، فرد الله عليهم بأن أيديهم هي التي غلت، لأن يدا الله مبسوطتان:

- ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٦٤﴾ [المائدة: 64]

نتيجة مفتراة: اللغل هو تقييد الحركة، سواء لليدين أو للأعناق.

إن ما يهمنا قوله هنا هو أن الأذقان هو ما يمكن أن تصل له الأغلال التي تلف حول الأعناق حتى يصبح من لفت هذه الأغلال حول عنقه من المقمحون، قال تعالى:

- ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨﴾ [يس: 8]

وهو ما نفهمه على نحو ما في الصورة التوضيحية التالية:



Source

لذا، نحن نفتري القول بأن إخوة يوسف لم يخرون للأذقان سجدا، وإنما جل ما حصل أنهم قد خروا سجدا وكفى.

السؤال: فكيف يمكن أن نتخيل المشهد إذن؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: مادام أن جميع إخوة يوسف قد خروا له معا، لذا لابد أنهم قد فعلوا ذلك عندما قاموا بحركة منتظمة تبين طاعتهم (أي سجودهم) لأخيهم، ونحن نتخيل ذلك على نحو النزول على الأرض ووضع الركبة على الأرض بالضبط كما نفعل عندما نجلس في الصلاة على ركبنا بين السجدتين. فيصبح المشهد (في مخيالنا) على النحو التالي: يقف يوسف على منصة مرتفعة كما يفعل الملك بين الرعية، يقوم هؤلاء الرعية (وهم الآن جزء من رعية يوسف) بالنزول التدريجي إلى الأرض حتى تلامس ركبهم الأرض، فيكونون في حالة أدنى من حالة يوسف الواقف الآن فيهم.

ونحن ننفي أن يكون إخوة يوسف قد قاموا بحركة تشبه حركة الركوع للصلاة، وذلك لو أنهم فعلوا ذلك، لربما جاء النص القرآن (نحن نفتري القول) على نحو أنهم قد خروا له ركعا كما فعل داوود مثلا:

- ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: 24]

والآن لننتقل إلى مشهد السحرة الذين ألقوا ساجدين:

- ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠﴾ [الأعراف: 120]
- ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾ [طه: 70]
- ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦﴾ [الشعراء: 46]

السؤال: كيف يمكن أن نتخيل ما فعله السحرة عندما ألقوا سجدا؟

رأينا المفترى: لو بحثنا في النص القرآني كله عن المفردة المتداولة كثيرا بين الناس وهي مفردة الجلوس ومشتقاتها، لما وجدنا أن لها ذكر في كتاب الله إلا ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: 11]

فما نجده في هذه الآية الكريمة هي كلمة المجالس، لكننا لا نجد فعل الجلوس أو مشتقاته الأخرى. ليكون السؤال هو: لماذا؟ وما هي المفردة القرآنية التي تصوّر لنا هذا الفعل الذي عادة ما نقوم به في كل وقت وحين؟

رأينا المفترى: نحن نفتري القول بأن فعل الجلوس (الذي نعرفه) قد غاب عن النص القرآني، وذلك لأن الفعل الحقيقي الذي يصوّر لنا هذه الحركة هو فعل الإلقاء.

ففعل الإلقاء (نحن نظن) يحمل في ثناياه الوصول إلى الأرض من فوق، كما فعل موسى عندما ألقى عصاه:

ولكن المتدبر لهذا الفعل يعي تماما بأن العصا قد وصلت إلى الأرض بالطريقة الصحيحة، فلامست سطح الأرض من المكان الذي يجب أن تلامس الأرض منه. وليس أدل على ذلك أنها أخذت تسعى مباشرة:

- ﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠﴾ [طه: 20]

إن ما نود قوله هنا هو أن فعل الجلوس الذي نعرفه يتمثل بالوصول إلى الأرض والتمكن منها بالطريقة الطبيعية.

وهذا موسى يلقي الألواح:

- ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ [الأعراف: 150]

فكيف يمكن أن نتخيل كيفية إلقاء موسى للألواح؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن موسى قد ألقى الألواح إلقاء لأنه – برأينا- وضعها على الأرض بالطريقة الصحيحة، فمادام أنها ألواحا، فهي إذا ذات وجه أمامي ووجه خلفي، لذا نحن نتخيل أن موسى قد وضع الألواح على الأرض، فلامس الوجه الخلفي للألواح الأرض، بينما كان الوجه الأمامي (العلوي) متجها للأعلى حتى عاد فأخذها مرة أخرى عندما سكت عنه الغضب:

- ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ١٥٤﴾ [الأعراف: 154]

السؤال مرة أخرى: كيف يتم فعل الإلقاء؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن بأن فعل الإلقاء لا يمكن أن يتم إلا إذا جاءت ملامسة الأرض (أو الشيء) بالطريقة الطبيعية، أي وجود الطرف الخلفي على الأرض (كما يحصل في حالة القعود الذي نعرفه).

لكن ربما يجدر التنبيه هنا أن مفردة القعود التي نستخدمها في حياتنا اليومية غير دقيقة. فربما يظن الغالبية من الناس أن القعود هو الجلوس على الأرض، وهذا برأينا غير صحيح إطلاقا لأن القعود لا يعني الجلوس على الأرض وإنما الكف عن تغيير الوضع الراهن إلى إشعار آخر، كما يمكن أن نفهم ذلك من الآية الكريمة التالية:

- ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ٩٥﴾ [النساء: 95]

فالقاعدون عن القتال هم الذين لم يشاركوا فيه وليس الجالسين على الأرض.

وها هم قوم موسى يصفون أنفسهم بالقاعدين لأنهم لا يريدون مشاركة موسى القتال:

- ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة: 24]

نتيجة مفتراة: القعود هو الكف عن المشاركة في الفعل المنوي القيام به.

السؤال: فما هو إذن فعل الجلوس على الأرض كما يرد في النص القرآني؟

رأينا: نحن نظن أن فعل الجلوس في مكان محدد يصوره القرآن الكريم (كما نفهم ذلك طبعا) على أنه هو الإلقاء

الدليل

دعنا نحاول جلب الدليل من الآية الكريمة التالية التي تتحدث عن ما ألقى على كرسي سليمان، قال تعالى:

- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: 34]

لماذا جاء هذا الحدث على صيغة فعل الإلقاء؟

رأينا المفترى: نحن نتخيل أن هناك كرسيا كان خاصا بسليمان وحده بدليل قوله تعالى (عَلَى كُرْسِيِّهِ)، فكانت فتنة سليمان تتمثل بوجود جسد ملقى على كرسيه، أليس كذلك؟

السؤال: كيف يمكن أن نتخيل وجود ذاك الجسد على كرسي سليمان؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن بأن ذلك الجسد كان ملقى على كرسي سليمان إلقاء، لأنه كان – نحن نتخيل- يجلس على كرسي سليمان بالطريقة الطبيعية، فمؤخرة الجسد (نحن لازلنا نتخيل) ملامسة لسطح الكرسي، بينما مقدمة ذلك الجسد (أو واجهته) واضحة للعيان (بمن فيهم سليمان نفسه)، أي بادية لكل من ينظر إلى ذلك الجسد الملقى على كرسي سليمان.

تساؤلات

⇐ ما هو ذلك الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان؟
⇐ من الذي ألقاه؟
⇐ كيف تمت عملية إلقاء ذاك الجسد على كرسي سليمان؟
⇐ لماذا ألقي ذلك الجسد على كرسي سليمان؟
⇐ كيف استطاع سليمان التخلص من ذلك الجسد؟
⇐ أين ذهب ذلك الجسد؟
⇐ الخ

استراحة قصيرة: باب الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان

بداية، لابد من التنبيه في هذا الخروج غير المتوقع عن فحوى النقاش إلى عدة أمور، نذكر منها:

أولا، سنتجرأ على استنباطات نظن أنها غير مسبوقة، فلا تحاول عزيزي القارئ أن تقنع نفسك بها، لأنها ببساطة غير موجودة إلا في مخيال كاتب هذه السطور، لذا فهي تقع في باب تخريصات الكاتب (كما ألفتموه) الذي يظن هو شخصيا بأنها ليست مبنية على أساس علمي متين ما لم يثبتها الدليل الذي لا يرقى إليه شك

ثانيا، من أراد متابعة القراءة بعد هذه السطور، فعليه أن يعود قبل ذلك إلى ما سطرنا بأيدينا من افتراءات في مقالة سابقة تحت عنوان: ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته

ثالثا، لا يحق لمن يتابع القراءة أن ينقل الأفكار لغيره بأي وسيلة كانت، وجل ما يستطيع فعله هو أن يحيل من أراد المعرفة إلى هذه الصفحة ليقرأها هو بنفسه

رابعا، الكاتب غير مسئول عن ما ستؤول إليه الأمور، لأنه ببساطة يضع الاحتمالات الممكنة للقصة، لكنه لا يؤكدها مادام أنه لازال منتظرا الدليل الذي يثبت صحتها أو بطلانها من أي جهة كانت، سائلا الله وحده أن يتم نوره ولو كره الكافرون، داعيا الله وحده أن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأن يزدني علما، وأن يهديني لأقرب من هذا رشدا، إنه هو السميع البصير – آمين.

أما بعد،

ظهر شيء من الغرور (نحن نتجرأ على القول) في نفس سليمان عندما ظن أنه قد أوتي من كل شيء:

- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: 16]

وحشر له جنوده من الجن والإنس والطير:

- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: 17]

واستطاع أن يخضع الجميع لملكه بمن فيهم النمل:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: 18-19]

لكن ما هي إلا نشوة الانتصار التي جعلته (نحن نظن) ينشغل بالصافنات الجياد:

- ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١﴾ [ص: 31]

فأنشغل بحب الخير عن ذكر ربه:

- ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣﴾ [ص: 32-33]

(للتفصيل انظر مقالة ما دلهم على موته إلا دابة الأرض)

وهنا بالضبط حصلت الفتنة لسليمان. وانظر عزيزي لقارئ – إن شئت- السياق القرآني كله:

- ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤﴾ [ص: 30-34]

السؤال: ما الذي حصل؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: عندما اشتد ملك سليمان، ظن أن ملكه قد تحصن باستحالة أن يصل إلى كرسيه أحد، فربما (نحن نتخيل ونفتري الظن) اغتر الرجل بنفسه، فانشغل بحب الخير (أي من النساء الصافنات الجياد) عن ذكر ربه:

- ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣﴾ [ص: 32-33]

وهنا بالضبط (نحن لازلنا نتخيل) كانت فتنة الله له بالمرصاد، فأُلقي على كرسيه جسدا. وهنا بالضبط عاد سليمان إلى صوابه، فطلب المغفرة من ربه، وكان دعاؤه ربه على النحو التالي:

- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥﴾ [ص: 35]

فكان جواب دعائه على النحو التالي:

- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٠﴾ [ص: 36-40]

السؤال: كيف إذن حصلت الفتنة لسليمان؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن أن قبل هذه الحادثة لم تكن الريح قد سخرت لسليمان، بدليل أن تسخيرها قد جاء بعد دعائه ربه:

- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: 35-36]

السؤال: ما علاقة هذا بفتنة سليمان وإلقاء الجسد على كرسيه؟

جواب مفترى خطير جدا جدا لا تصدقوه: نحن نظن بأن الجسد قد أُلقي على كرسي سليمان عن طريق الريح. انتهى.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الريح لا يمكن أن تلقي بشيء إلقاء إلا أن كانت مسخرة. انتهى.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لو تدبرنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا بأن الريح يمكن أن تهوي بالشيء، قال تعالى:

- ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: 31]

فربما نستطيع أن نستنبط من هذه الآية الكريمة (كما نفهمها) أن الريح قد هوت بذلك الشيء الذي كانت تحمله. ليكون السؤال على الفور هو: ما الفرق بين أن تهوي الريح بشيء ما أو أن تلقي به إلقاء؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أنه في حالة أن تهوي الريح بشيء، فإن ذلك الشيء يمكن أن يصل إلى الأرض بأي طريقة ممكنة، فعندما تهب الريح الحاملة للأشياء، فإنها قد تهوي بها في أي مكان وبأي طريقة، لكن يكون ذلك بطريقة غير منتظمة مادام أن الشيء الذي حملته الرياح قد وصل إلى الأرض بأي حالة ممكنة.

أما عندما تلقي الريح بشيء ما، فإن ذلك يكون – لا شك عندنا- منظما، لأن الريح تكون في هذه الحالة مسخرة.

السؤال: ما علاقة هذا بما حصل لكرسي سليمان؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: لما كان سليمان يظن أنه قد اشتد ملكه، غفل عن احتمالية أن يكون هناك من يستطيع تسخير الريح، فيأتي كرسي سليمان من الأعلى. وهذا ما حصل كما يمكن أن نتخيله.

لم يكن هناك فرصة لاختراق ملك سليمان إلا من الأعلى، لذا عندما تفقد سليمان جنوده من الجن والإنس والطير، كان المكان الشاغر الذي كان صاحبه غائبا هو من الطير، الهدهد:

- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾ [النمل: 17]

لذا، كان سليمان يشك في الولاء الكامل للهدهد، وذلك لأن سليمان يخشى من يمكن أن يأتي ملكه من الأعلى، فما أن عاد الهدد من سبأ بنبأ يقين:

- ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢﴾ [النمل: 22]

لم يطمئن قلب سليمان لقول الهدد اطمئنانا كاملا، فبقي في نفسه شيء يبين شكّه في صدق الهدهد، فقال:

- ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٧﴾ [النمل: 27]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن قلب سليمان لم يكن مطمئنا للهدهد (أي الطير) لعلمه أن نقطة ضعف ملكه تكمن في اختراقه من فوق.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: نحن نعرف يقينا بأن جنود سليمان هم ثلاثة: الجن والإنس والطير:

- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾ [النمل: 17]

فسليمان يعلم استحالة أن يؤتي من ملكه (كرسيه) عن طريق الجن، وذلك لأن حركة الجن هي حركة اهتزازية:

- ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠﴾ [النمل: 10]
- ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ۝٣١﴾ [القصص: 31]

نتيجة مفتراة: حركة الجن هي حركة اهتزازية من تحت إلى فوق، فلو فعلا حاول الجن الاقتراب من كرسي سليمان لتم اكتشافه على الفور.

كما يعلم سليمان استحالة أن يؤتي ملكه (كرسيه) عن طريق الإنس لأن حركة الإنس هي حركة سعي:

- ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩﴾ [عبس: 8-9]

نتيجة مفتراة: حركة الإنس هي حركة سعي، فلو حاول الإنس الاقتراب من كرسي سليمان لتم اكتشافه على الفور.

لكن سليمان لم يكن متيقنا من استحالة أن يؤتى ملكه (كرسيه) من الأعلى. وهو يعلم حتى الساعة أن ذلك لا يمكن أن يقوم به إلا الطير لأنه هو الكائن الوحيد القادر على الطيران:

- ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام: 38]

لكن ما غفل عنه سليمان (نحن نرى) هو أن هناك احتمالية قائمة أن يؤتى ملكه (كرسيه) من الأعلى ولكن ليس من قبل الطير وإنما عن طريق الريح.

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن بأنه بالفعل حصل ذلك الاختراق لملك سليمان (كرسيه) من خلال الريح.

السؤال: كيف حصل ذلك؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نتخيل أنه ما قبل فتنة سليمان هذه كان هناك من عنده القدرة على التحكم بالريح، وما أن أتيحت له الفرصة للانقضاض على كرسي سليمان حتى استغلها، فالقي على كرسي سليمان، فكان هو ذلك الجسد.

تساؤلات

⇐ من هو ذلك الجسد؟
⇐ من أين جاء هذا الجسد؟
⇐ وأين ذهب ذلك الجسد؟
⇐ الخ

إن هذا الطرح المفترى من عند أنفسنا يدعونا فورا إلى محاولة تدبر معنى مفردة الجسد كما ترد في النص القرآني نفسه، ليكون السؤال المطروح على الفور هو: ما هو الجسد؟

رأينا المفترى: نحن نظن أنه من أجل محاولة الإجابة على هذا التساؤل، فإن المنطق يدعونا إلى جلب المفردات الأخرى ذات العلاقة، وهي على وجه التحديد مفردة الجسم والبدن. ليصبح السؤال الآن على النحو التالي: ما الفرق بين الجسد والبدن والجسم؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: إن من أول الملاحظات التي نظن أنه يجب جلب الانتباه إليها هنا هو محاولة تدبرها من زاوية لغوية بحتة تخص حالتي المفرد والجمع لهذه المفردات (الجسد والبدن والجسم).

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لو تدبرنا مفردة الجسم، لوجدنا بأنها تجمع على "أجسام"، قال تعالى:

- ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: 4]

ولو تدبرنا مفردة البدن، لوجدناها تجمع على لفظ "بدن":

- ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج: 36]

ولكن لو حاولنا البحث عن مفردة الجسد على مساحة النص القرآني كله، لوجدناها تجمع على لفظ "جسد" نفسه. فما ألقي على كرسي سليمان كان جسدا واحدا:

- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: 34]

والسامري أخرج للقوم عجلا واحدا، فكان جسدا:

- ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه: 88]

ولكن نجد – بالمقابل- أن لفظة الجسد يمكن أن تكون جمعا، كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾﴾ [الأنبياء: 8]

السؤال: ما الذي يمكن أن نستفيده من ذلك؟

جواب مفترى خطير جدا: نحن نفتري القول بأنه إذا كان للكلمة صيغة جمع تختلف عن صيغة المفرد (مثل جسم – أجسام و بدن - أبدان)، فإن ذلك يعني بأن هناك فروقات بين هذه الكينونات التي تم جمعها. فالأجسام ليست كلها متطابقة، فكل جسم يختلف عن الجسم الآخر وإن كانت كلها في نهاية المطاف أجسام. والمنطق نفسه ينطبق على مفردو بَدن. فالمفردة تجمع على بُدن، لذا يختلف المعنى بين البُدن باختلاف اللفظ. فبالرغم أن كلها بُدن، لكن يبقى لكل بَدن منها خاصية مميزة له تجعله مختلفا عن البَدن الآخر. فالبقرة بدن والناقة بدن، إلا أن لكل واحدة منها مذاقه المميز، ونجد مثل هذا الاختلاف بين البدن من الصنف الواحد. فلحم البقرة الواحدة يختلف في مذاقه من طعم لحم البقرة الأخرى، وهكذا. وبالرغم أنك أنت جسم وأنا كذلك جسم، لكن الفرق بين جسمي وجسمك واضحا للعيان بالرغم أن كلها أجسام.

أما بالنسبة لكلمة جسد، فإنها تجمع على اللفظ نفسه (أي جسد)، لذا يستحيل (نحن نفتري الظن) أن يختلف جسد عن جسد آخر. فكل جسد مطابق تماما للجسد الآخر، فجميعها في نهاية المطاف جسد.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: يختلف المعنى بين مفردة وأخرى بمقدار اختلاف اللفظ بينهما. وما أن تتطابق مفردتان في اللفظ حتى يكون التطابق في المعنى مكافئ للتطابق في اللفظ.

السؤال: ما الذي يجعل الجسد (الجمع) متطابقا؟

جواب مفترى من عند أنفسنا خطير جدا: نحن نظن أن الجسد له مميزات ثابتة يستحيل أن تتغير. انتهى.

السؤال: ما هي ميزات الجسد (مهما كان)؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نظن أن شيئين أثنين هما ما يميز كل جسد، وهما (1) عدم أكل الطعام و (2) الخلود.

السؤال: أين الدليل على ذلك (كما تزعم)؟ يسأل صاحبنا ربما متعجلا الإجابة.

رأينا المفترى: نحن نجد الدليل على ذلك في الآية الكريمة التالية (كما نفهمها طبعا)، قال تعالى:

- ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝٨﴾ [الأنبياء: 8]

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نتخيل أنه لو جعل الله أي شيء جسدا، لكان جسدا لا يأكل الطعام، ولكان هذا الجسد إذن من الخالدين.

إن ما يهمنا قوله هنا هو التالي: إن الذي يغيّر الجسم (أي جسم) ليصبح جسدا هو عدم أكل الطعام، فالجسم يبقى جسما مادام أنه يأكل الطعام، لكنه يصبح جسدا إذا انتفت الحاجة إلى أكل الطعام. لذا فإننا نتجرأ على البوح بالعقيدة التي مفادها أن الذي يجعل الأجسام فانية هو أكل الطعام. فمن يأكل الطعام، فلابد أن يفنى. لكن - بالمقابل – نحن نتجرأ على القول بأن الذي لا يأكل الطعام فهو باق، فلا يكون عرضة للفناء مادام على هذه الهيئة.

ولا شك عندنا أن لهذا تبعات جمة وخطيرة جدا سنتعرض لها لاحقا متى ما أذن الله لنا بشيء من علمه فيها، فالله وحده أسأل أن يؤتيني علما لا ينبغي لغيري إنه هو السميع البصير – آمين.

الدليل

عندما حصلت الفتنة لقوم موسى من رب العالمين، كانت الضلالة لهم واقعة من قبل السامري:

- ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه: 85]

وكانت ضلالة السامري لهم قد تمثلت في إخراجه لهم ذلك العجل، الذي كان جسدا:

- ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه: 88]

فما أن أخرج السامري لهم ذاك العجل من حليهم:

- ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف: 148]

حتى كانت ردة فعلهم أن هذا العجل هو إله:

- ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه: 88]

والإله (إي إله) - لا شك عندنا- لا يأكل الطعام وهو من الخالدين.

السؤال: كيف تخلص موسى من العجل؟

رأينا المفترى: لقد افترينا القول في أكثر من مقالة سابقة بأنه من الاستحالة التخلص من الإله إلا بالماء، لذا عمد موسى إلى إحراق العجل ثم نسفه بعد ذلك في اليم نسفا:

- ﴿... وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه: 97]

(للتفصيل انظر سلسلة مقالاتنا تحت عنوان قصة يونس وباب الأمانة)

ونحن نكاد نجزم الظن بأن العجل قد أصبح جسدا بسبب القبضة التي قبضها السامري من أثر الرسول:

- ﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾ [طه: 96]

ولقد تخيلنا ذلك في مقالتنا تحت عنوان (قصة السامري الجزء الأول والثاني) بأن القبضة هي ذلك الجزء المكور على رأس عصا موسى. وهو بحجم قبضة الرجل، كما في الشكل التوضيحي التالي:



فالشخص القابض بالعصا هو موسى، وهذه الجدارية تصور نفس موسى (الثور الهائج) والمرأتين اللتين وجدهما على ماء مدين. والجدارية تبرز موسى ماسكا عصاه. ونحن ندعو القارئ الكريم إلى النظر إلى رأس تلك العصا، وهي - برأينا- تلك القبضة التي قبضها السامري من العصا لاحقا. وسنخوض في تفاصيل الجدارية لاحقا بحول الله وتوفيق منه، فالله وحده أدعوه أن يعلمني ما لم أكن أعلم وأن يهديني لأقرب من هذا رشدا، إنه هو السميع البصير – آمين.

فما أن ألقى القوم حليهم حتى كانت تلك العصا بارزة بين حلي القوم الملقاة على الأرض:

- ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ [الأعراف: 148]

فقبض السامري قبضة من تلك العصا، فنبذها:

- ﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾ [طه: 96]

السؤال: ماذا فعل السامري بتلك القبضة؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: وضع السامري شيئا من تلك القبضة في حلي القوم التي أخرجها لهم على شكل عجل، فدبت الحياة فيه، فكان جسدا:

- ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨﴾ [طه: 88]

إن ما يهمنا افتراءه هنا هو الظن بأن العجل قد كان جسدا مادام أنه لم يكن يأكل الطعام، وكان بذلك من الخالدين لو أنه بقي على تلك الحالة. ولو لم يعمد موسى إلى إحراقه ونسفه في اليم نسفا، لبقي العجل جسدا لا يفنى.

السؤال: هل وضع السامري كل تلك القبضة التي قبضها من أثر الرسول في العجل جملة واحدة؟

جواب مفترى: كلا، لقد وضع السامري شيئا من تلك القبضة في العجل، لكنه نبذ القبضة كلها:

- ﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾ [طه: 96]

السؤال: ما الذي فعله السامري بتلك القبضة كلها؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن بأن السامري قد نبذ تلك القبضة (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا).

السؤال: كيف يمكن أن نفهم أن السامري وقد نبذ تلك القبضة التي قبضها من أثر الرسول؟

جواب مفترى: نحن نظن أنه من أجل أن تنبذ شيئا ما، فإنه يتطلب وجود مكان ما ليتم نبذ الشيء فيه.

الدليل

عندما حاولنا تدبر السياقات القرآنية كلها التي وردت فيها مفردة "نبذ" ومشتقاتها، وجدنا أن القوم قد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، قال تعالى:

- ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: 99-101]
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: 187]

والله هو من نبذ فرعون وجنوده في اليم:

- ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: 40]
- ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الذاريات: 40]

والله هو من نبذ صاحب الحوت في العراء

- ﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الصافات: 145]
- ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ [القلم: 49]

والكافرون لا محالة سينبذون في النار:

- ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾ [الهمزة: 4]

وما أن تخاف من القوم خيانة حتى يصبح لزاما عليك أن تنبذ إليهم على سواء:

- ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: 58]

السؤال: ما الذي يمكن أن نفهمه من هذه السياقات القرآنية الخاصة بفعل النبذ؟

جواب مفترى: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن النبذ يتطلب وضع الشيء المنبوذ في مكان محدد بعينه، ربما حتى يصعب على الآخرين الوصول إليه. لذا، نحن نتجرأ على القول بأن السامري قد نبذ القبضة التي قبضها من اثر الرسول في مكان محدد بعينه، فأصبح من الصعب على الآخرين (حتى موسى نفسه) الوصول إليه؟

السؤال: أين نبذ السامري تلك القبضة؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا لا تصدقوه: لما كانت العصا هي آية من آيات الله (كما أن الكتاب فيه آيات الله)، فإن من ينبذها يقوم بوضعها وراء ظهره.

السؤال: أين الدليل على أن السامري قد نبذ القبضة وراء ظهره؟

رأينا المفترى: ربما نستطيع أن نتجرأ على هذا الظن (بأن السامري قد نبذ القبضة وراء ظهره) مما قاله موسى للسامري:

- ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧﴾ [طه: 97]

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: دعنا نحاول تدبر قول موسى هذا:

- ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ ... ٩٧﴾ [طه: 97]

إن أول ما يمكن أن نستنبطه من كلام موسى هذا هو أن قول موسى للسامري يعتبر بمثابة مكافأة معجلة له (وإن كانت في الوقت ذاته عقابا مؤجلا له). فموسى يعطي للسامري ثلاث جوائز دنيوية عاجلة، وهي على النحو التالي:

1. البقاء في الحياة كلها (فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ)
2. قدرة السامري أن يقول لا مساس (أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ)
3. وأن للسامري موعدا لن يخلفه (وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ)

السؤال: كيف يمكن أن نفهم قول موسى هذا للسامري؟

رأينا المفترى: نحن نفهم قول موسى (ربما مخطئين) على النحو التالي: يستطيع السامري أن يذهب في الحياة، لذا فهو باق ما بقيت الحياة. فلا موت يصيب الرجل.

نتيجة مفتراة خطيرة جدا جدا: مادام أن السامري يستطيع أن يذهب في الحياة، فهو إذن باق ما بقيت الحياة، ولكن حتى يستطيع السامري أن يبقى في الحياة فلا يصيبه الموت، يصبح لزاما أن يتحول السامري من جسم (يأكل الطعام) إلى جسد (لا يأكل الطعام). فما عاد بحاجة أن يأكل الطعام، فأصبح بذلك (نحن نرى) من الخالدين.

السؤال: كيف يمكن أن يصبح السامري من الخالدين؟

رأينا المفترى: مادام السامري قد أصبح جسدا (لا يأكل الطعام) ومادام أنه قد أصبح من الخالدين، فهو إذن يستطيع أن يقول لا مساس.

السؤال: كيف كان السامري يستطيع أن يقول لا مساس؟ وما فائدة ذلك بالنسبة له؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن عبارة (لَا مِسَاسَ) لها علاقة بالمس. وهي بكلمات أكثر دقة مفردة تدل على الجمع، فالمساس هو جمع المس. ولو تدبرنا النص القرآني جيدا، ربما حق لنا أن نقول أن المس يأتي من المصادر التالية:

أولا، يمكن أن يأت المس من الله، فيكون ضرا، قال تعالى:

- ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [الأنعام: 17]

ثانيا، يمكن أن يأت المس من الشيطان:

- ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾ [ص: 41]

ثالثا، يمكن أن يأتي المس من الكبر:

- ﴿قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ٥٤﴾ [الحجر: 54]

السؤال: كيف يمكن أن نفهم الآن قدرة السامري على أن يقول لا مساس؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: مادام أن السامري يستطيع أن يقول لا مساس، فهو إذن في حصانة من أن يمسه الضر من الله، كما أنه في حصانة من أن يمسه الشيطان بنصب وعذاب، وهو أيضا في حصانة من أن يمسه الكبر. لذا فهو في نهاية المطاف جسدا لا يأكل الطعام وهو إذن من الخالدين. انتهى.

السؤال: ما الذي أودع هذه الخصائص في السامري؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: إنها تلك القبضة التي قبضها من أثر الرسول، فنبذها، أي جعلها مخفية وراء ظهره.

السؤال: كيف يمكن أن نتخيل ذلك الرجل إذن؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن الرجل هو شخص عادي باستثناء أنه ينبذ وراء ظهره قبضة من أثر الرسول. وهي جزء من تلك العصا التي هي آية الله الكبرى، والتي ما دخلت في شيء إلا دبت فيه الحياة الأبدية.

السؤال: ما علاقة هذا بالجسد الذي ألقي على كرسي السامري؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: ما أن طلب موسى من الرجل الذهاب حتى ذهب فعلا، فكان جسدا طليقا لا يمسه الضر ولا النصب أو العذاب ولا الكبر، فكان يستطيع أن يفعل ما يريد. وما أن اختفى موسى عن مشهد الأحداث بموته حتى عاث ذاك الرجل (شيطان الإنس الأكبر - السامري) مع شياطين الجن فسادا في الأرض. فكانت الحقبة الزمنية اللاحقة لموسى هي فترة ذهبية لشياطين الإنس والجن، خاصة عندما استفادوا مما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت:

- ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: 102]

وما توقف خطرهم إلا بمجيء سليمان الذي أصبح هو الحاكم الأوحد للجن والإنس، وكان ذلك كله بسبب وراثته لوالده داوود، وهو الذي عثر على المنسأة (بقية العصا) في التابوت الذي جاء تحمله الملائكة كآية ملك لطالوت:

- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة: 248]

فما أن توافرت المنسأة في يد سليمان حتى استطاع أن يخضع الجن والإنس والطير لملكه، فحشرهم جميعا:

- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: 17]

وفي هذه الفترة الزمنية وجد السامري (شيطان الإنس الأكبر) أن الحياة قد ضاقت عليه بوجود سليمان، فكان لابد له من فعل أي شيء للتخلص من ملك سليمان الذي ضيق عليه الخناق، فما أتيحت له الفرصة إلا يوم أن غفل سليمان عن كرسيه عندما انشغل بحب الخير (الصافنات الجياد) عن ذكر ربه.

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: عندما وجد السامري أن سليمان قد غفل عن كرسيه وانشغل مع الصافنات الجياد، انقض فورا على ملك سليمان، فجلس على كرسيه، وكان ذلك بسبب مقدرته على ركوب الريح، فألقي جسدا على كرسي سليمان:

- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: 34]

عاد سليمان من عند الصافنات الجياد، ليجد كرسيه غير شاغرا له بعد مادام أن جسدا قد ألقي عليه، وهنا أدرك سليمان بأن ملكه قد أخترق، فما كان من سليمان إلا أن ينيب إلى ربه. فاستغفر ربه طالبا منه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده:

- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: 35]

وهنا بالضبط جاء الرد الإلهي على طلب سليمان له بأن يسخر له الريح الذي لم يكن مسخرا له من قبل:

- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: 36]

وكانت هذه الريح عاصفة:

- ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: 81]

السؤال: لماذا جاء الرد الإلهي على طلب سليمان بتسخير الريح له؟ لِم لَم يسخر له الماء أو الجبال ونحو ذلك؟

رأينا: كان سليمان بحاجة لأن يسخر له الريح لمواجهة ذاك الشيطان الأكبر (السامري) الذي كان قادرا على التنقل بواسطة الريح.

السؤال: كيف جرت المواجهة بين السامري وسليمان بعد ذلك؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: ما أن أصبح بإمكان سليمان (لنقل) ركوب الريح حتى جرت المواجهة الشرسة بينه وبين ذلك الجسد في الفضاء الطلق، فركب سليمان الريح العاصفة، وطارد ذلك الجسد الذي يستطيع هو الآخر ركوب الريح.

السؤال: كيف استطاع سليمان التغلب عليه؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن بأنه لولا امتلاك سليمان لتلك المنسأة، لما استطاع التغلب على ذلك الشيطان الأكبر (السامري). لكن لما كان سليمان هو من بيده المنسأة، استطاع أن يتغلب عليه وعلى كل شياطين الإنس والجن، قال تعالى:

- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص: 36-38]

السؤال: ماذا فعل سليمان بالرجل بعد أن تمكن منه؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لو دققنا في تتمة هذا السياق القرآني، لوجدنا فيه العجب خاصة في عبارة (وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ)، فمن هم هؤلاء الآخرين المقرنين في الأصفاد؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: ما أن حصلت الفتنة لسليمان بوجود ذلك الجسد على كرسيه حتى ظهر من بين حاشية سليمان من هم غير مخلصين له ولملكه، وما أن أتيحت لهم الفرصة بالانقضاض على ملك سليمان حتى كانوا إلى جانب هذا الشيطان الأكبر، وهو الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان (السامري)، ظانين أن ملك سليمان قد انتهى وأن الحكم قد آل لهذا الشيطان.

لقد كانت هذه الفرصة (أي الفتنة) فرصة ذهبية لسليمان أن ينظف البيئة المحيطة به من جميع الخونة. لذا ما أن تمكن سليمان من شيطان الإنس الأكبر (السامري) حتى جمع معه كل شياطين الإنس الآخرين من حوله، وما كان عقابهم أفضل من يقرنهم في الأصفاد. فكيف فعل سليمان ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الأصفاد هي عبارة عن صناديق محكمة الإغلاق كما السجن الحديدي، فعمد سليمان (نحن نتخيل) أن يضع هؤلاء في تلك الأصفاد، وأن يقرّنهم فيها. فكيف فعل ذلك؟

جواب مفترى: لو تفقدنا مفردة (مُقَرَّنِينَ) لوجدنا بأن لها علاقة بالقرين (التي تجمع على قرناء)، قال تعالى:

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء: 38]
- ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ٥١﴾ [الصافات: 50-51]
- ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ٣٨ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٩﴾ [الزخرف: 36-39]
- ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾ [ق: 23]
- ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٢٧ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨﴾ [ق: 27-28]
- ﴿۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥﴾ [فصلت: 25]

السؤال: كيف يمكن أن نفهم أن سليمان قد قرّنهم في الأصفاد؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: ما أن وضع سليمان الخونة في الأصفاد حتى عمد إلى تقرينهم فجعل على كل زاوية من تلك الأصفاد (نحن نتخيل) شيطانا، ليكونوا لهم قرناء، ليزينوا لهؤلاء ما بين أيديهم وما خلفهم، وليحق القول عليهم، فلا يؤمنون، فيكونوا من أصحاب النار.

السؤال: هل استفاد سليمان من هذا الجسد (السامري) عندما قرّنه في الأصفاد؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نعم، لقد استفاد سليمان من ذلك الجسد (أي السامري) حتى وهو مقرّن في الأصفاد؟

السؤال: كيف كان ذلك؟

رأينا المفترى: ما أن حصلت قصة إحضار عرش تلك المرأة من سبأ حتى طلب من سليمان ممن هم حوله أن يأتوه بعرشها، فتبرع أولا عفريت من الجن بأن يأتيه بعرشها قبل أن يقوم من مقامه:

- ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل: 39]

وهنا انبرى من عنده علم من الكتاب أن يقدم خدماته لسليمان، مادام أنه مسخر له، فقال:

- ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: 40]

السؤال: من هو هذا الذي عنده علم من الكتاب فاستطاع أن يأتي بعرش المرأة قبل أن يرتد طرف سليمان إليه؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: إنه هذا الجسد المقرن في الأصفاد (إنه السامري).

الدليل

لو تفقدنا الآية الكريم نفسها، لوجدنا بأنها تتحدث عن من عنده علم من الكتاب:

- ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: 40]

ولو تفقدنا مفردة الكتاب، لوجدنا أن ظهور لها قد جاء عند موسى:

- ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة: 53]

وأصبحت تلك الأمة منذئذ تعرف بأنهم هم أهل الكتاب:

- ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: 105]

لتكون النتيجة التي نحاول جاهدين الوصول لها هي أن هذا الرجل الذي كان حاضرا في مجلس سليمان وعنده علم من الكتاب له ارتباط بموسى. فكيف حصل ذلك؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: ما أن عاد موسى من لقاءه ربه حتى عاد يحمل الألواح وفي نسختها هدى لبني إسرائيل:

- ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ١٥٤﴾ [الأعراف: 154]

فما أن سكت عن موسى الغضب حتى أخذ الألواح واهتم بنسخها ليستطيع بنو إسرائيل الاستفادة منها، ونحن نتخيل بأن الرجل (السامري) كان حاضرا ذلك الحدث، فأخذ شيئا من علم الكتاب الموجود في نسخة الألواح، وما أن انتهى موسى من نسخ الألواح حتى انتقل ليصفي الحساب مع السامري:

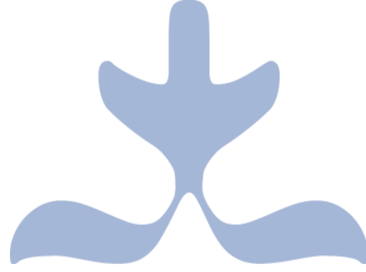
- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ٩٦ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ٩٧﴾ [طه: 95-97]

السؤال: طيب، ما علاقة هذا كله بالصلاة وبعدد الركعات؟ نحن نسأل مرة أخرى.

جواب: هذا ما سنحاول الخوض فيه في الجزء القادم بحول الله وتوفيقه.

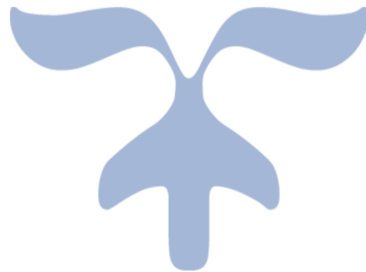
فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأن يهديني لأقرب من هذا رشدا، وأن يزيدني علما، إنه هو العليم الحكيم – آمين.

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح
20 نيسان 2017



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟

الجزء السادس



لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟ – الجزء السادس

حاولنا في الجزء السابق من هذه المقالة تدبر مفردة السجود وحالاتها المتعددة مثل السجود (كسجود النجم والشجر) والوقوع سجدا (كما في حالة الملائكة الذين وقعوا لآدم ساجدين) والخرور ساجدين (كما في حالة إخوة يوسف) والإلقاء سجدا (كما في حالة السحرة). وذهب بنا النقاش بعيدا إلى قصة الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان، فافترينا الظن من عند أنفسنا بأن ذلك الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان هو السامري نفسه (بعد أن أصبح جسدا بسبب تلك القبضة التي قبضها من أثر الرسول)، وظننا أنه قد نبذها وراء ظهره، وكان ذلك سببا في تحوله من جسم يأكل الطعام غير خالد إلى جسد خالد لا يأكل الطعام.

وكان افتراؤنا الخاص بالصلاة أن في الصلاة الحركية التي نقيمها قيام وركوع وسجود، وظننا أن تلاوة الآيات تكون في حالة القيام:

- ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٣﴾ [آل عمران: 113]

بينما التسبيح باسم ربنا العظيم وتسبيحنا باسم ربنا الأعلى تكون في حالتي الركوع والسجود:

- ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ١٠٨﴾ [الإسراء: 107-108]

نتيجة مفتراة 1: نقرأ في القيام بفاتحة الكتاب ونتلوا آيات الله

نتيجة مفتراة 2: نسبح بحمد ربنا العظيم في الركوع

نتيجة مفتراة 3: نسبح بحمد ربنا الأعلى في السجود

والآن دعنا ننتقل بالنقاش إلى الأقوال الأخرى التي يجب أن ترد في صلاتنا، ولنبدأ بما يسمى بالتشهد وما يسمى بالصلاة الإبراهيمية في الصلاة.

باب التشهد والصلاة الإبراهيمية: رؤية جديدة

تعرضنا في مقالات سابقة لنا للحديث عن الصلاة الإبراهيمية، وحاولنا تسويق رؤيتنا المفتراة من عند أنفسنا عن كيفية الصلاة الإبراهيمية، ومن أراد التعرف على وجهة نظرنا بشيء من التفصيل، فليرجع

إلى تلك المقالات. أما الآن، فإننا سنتحدث عن فكرة الجلوس للتشهد والصلاة الإبراهيمية في سياق بحثنا هذا، وسنبدأ بالجزء الأول وهو الجلوس للتشهد التي وردتنا صيغته من عند أهل الدراية كما نقلها لنا أهل الرواية في أصح رواياتهم على النحو التالي:

التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

السؤال الأول: ما هذه البداية التحيات المباركات الصلوات الطيبات؟ وما معنى ذلك؟ ألا ترى - عزيزي المؤمن المصلي- أنك تردد كلمات ربما يغلب عليها طابع السجع غير المفهوم؟ وهل وجدت يوما أن أهل العلم قد أفهموك لم هي على هذا النحو؟ من يدري؟!

جواب مفترى: لو رجعت إلى تفسيرات أهل العلم لوجدت فيها العجب، وهو ما لا نريد الخوض فيه. لكن يكفينا أن نسجل القول (مفترينه من عند أنفسنا) بأن هذه – برأينا- ليست أكثر من خدعة لتظليل الناس عن الهدف من التشهد في آخر الصلاة. فهذه – برأينا- واحدة من أساليب التعمية التي تغلب على مؤلفات أهل العلم الذين ما انفكوا يوما يوهمون الناس بأنهم يعلمون ما لا يعلم غيرهم. وأن عندهم من العلم المكنوز ما لا يستحق العوام من الناس أن يطلعوا عليه.

السؤال: إن صح ما تقول، فكيف يكون التشهد للصلاة؟ ربما يرد صاحبنا قائلا.

جواب مفترى: نحن نفتري القول بأن التشهد هو شهادة بوحدانية الله. وكفى.

السؤال: وكيف يكون ذلك التشهد؟

رأينا: لو تفقدنا الجلوس في نهاية الصلاة لوجدنا أنها مقسومة إلى قسمين رئيسيين هما:

1. التشهد
2. الصلاة الإبراهيمية

السؤال: كيف يمكن أن نفهم ذلك؟

رأينا: نحن نظن أن التشهد هو خاص بالله وحده، أما الصلاة الإبراهيمية فهي دعاء خاص بالنبي وأهل بيته، أليس كذلك؟

ولو دققنا في فعل الصلاة نفسه أكثر، لوجدنا أن التشهد يكون في الجلوس الأول في الصلاة الرباعية وفي الجلوس الثاني في الصلاة الثلاثية كصلاة المغرب والصلاة الرباعية كصلاة الظهر والعصر والعشاء. بينما الصلاة الإبراهيمية لا تكون إلا في الجلوس الأخير للصلاة بغض النظر عن عند ركعاتها، أليس كذلك؟

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن التشهد هو إقرار الشهادة لله وحده. أما الصلاة الإبراهيمية فهي لا تكون إلا في الجلوس الأخير (سواء كانت الصلاة ثنائية أو ثلاثية أو رباعية) وذلك لهدف الخروج من الصلاة.

السؤال: ما تبعات هذا الفهم؟

افتراءات خطير جدا جدا: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن التشهد يجب أن يكون خالصا لله وحده، فلا ذكر لأحد معه حتى وإن كان محمد نفسه. انتهى.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: أعتقد أن التشهد يجب أن يكون مبنيّا على العقيدة التي مفادها أنك تجلس في الصلاة بعد كل ركعتين لتشهد لله علانية بأنه هو الإله الواحد الذي لا شريك له، ولا يجب أن تأتي على ذكر غيره في هذا الجزء من الصلاة.

أما الحديث عن النبي محمد، فيجب أن يبدأ في الجزء الثاني المُسمى بالصلاة الإبراهيمية، لذا، نحن نتجرأ على افتراء الظن بأنه لا يجب أن تأتي على ذكر محمد إلا في ذلك الجزء من الصلاة، وكفى.

افتراء (1): الجلوس للتشهد يجب أن يكون خالصا لله وحده

افتراء (2): الصلاة الإبراهيمية هي دعاء خاص بالنبي وأهل بيته

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن عقيدة المؤمن الذي يصلي لربه ويجلس في نهاية الصلاة يجب أن تكون مبنية على الاعتقاد بأن ذلك الجزء مقسوم إلى قسمين، في القسم الأول (المسمى بالتشهد) تفرد الحديث فيه لله وحده فلا تذكر معه غيره:

- ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ١٩﴾ [الأنعام: 19]

ولا يقتصر ذلك النهي على أن تدعو مع الله آلهة أخرى، وإنما أن تدعو مع الله أحدا:

- ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: 18]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: لا يجوز أن ندعو مع الله أحدا خاصة في العبادات التي نؤديها في المساجد.

أما في القسم الثاني (المسمى بالصلاة الإبراهيمية) فهو دعاء بالصلاة والسلام على محمد والدعاء بالبركات على أهل بيت محمد. انتهى.

السؤال: لماذا يجب إفراد الحديث لله وحده في التشهد؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الهدف من ذلك هو إقرارك العلني بعدم الإشراك بالله بأي طريقة كانت خاصة في المساجد التي هي أصلا لله:

- ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن: 18]

السؤال: لماذا؟

جواب مفترى: لكي تكون من المسلمين؟

السؤال: ومن هو المسلم؟

جواب: نحن نظن أن المسلم لا يكون مسلما إلا أن يشهد لله بالوحدانية.

السؤال: وماذا عن الشهادة لمحمد بالرسالة؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نفتري القول أن الشهادة لمحمد بالرسالة ليست من شروط الإسلام، انتهى.

السؤال: ما معنى ما تقول؟ لم أفهم قصدك؟ يرد صاحبنا مستغربا.

جواب مفترى خطير جدا: أنا افتري القول أن الشخص (أي شخص) يدخل الإسلام بمجرد الشهادة لله بالوحدانية حتى وإن لم تشهد لمحمد بالرسالة. انتهى.

السؤال: هل جننت يا رجل؟ ما الذي تقوله؟ ألا ترى أنك ذهبت إلى أبعد مما يجب؟ ربما يرد القارئ وهو يكاد يشاط غضبا.

جواب: تمهل قليلا عزيزي القارئ، وحاول أن تتدبر ما نقول بعد أن نسوق لك ما نظن أنه دليل يثبت افتراءنا هذا.

السؤال: وأين الدليل على ما تقول؟

جواب مفترى: نحن نظن أن علينا الرجوع إلى كل آيات الكتاب الحكيم التي ستعيننا (بما نفهمه منها طبعا) على الخروج بتعريف أكثر دقة مما عرفناه من عند أهل العلم عن الشخص الذي يمكن أن يسمى مسلما. فنحن بحاجة أن نطرح السؤال الآن على النحو التالي: من هو المسلم؟

رأينا المفترى: دعنا نبدأ النبش في كتاب الله عن هذه اللفظة لنرى كيف يمكن استنباط التعريف من مجملها.

أما بعد،

أولا، نحن نعلم يقينا بأن الدين عند الله هو الإسلام، أليس كذلك؟

- ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: 19]

ثانيا: ونحن نعلم يقينا أيضا بأن إبراهيم هو الذي سمّانا المسلمين:

- ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج: 78]

ثالثا: ونحن على العقيدة الراسخة أن الله هو من أتمم علينا نعمته ورضي لنا الإسلام دينا، أليس كذلك؟

- ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [المائدة: 3]

رابعا: ونحن نعلم بأن الله هو من بيّن لنا أنه لن يقبل ممن يبتغي غير الإسلام دينا:

- ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: 85]

فلقد كان إبراهيم وذريته من بعده مسلمين:

- ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ [آل عمران: 67]
- ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة: 132]

- ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 133]

وعلى ذلك الدين اختار يوسف أن يموت:

- ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: 101]

وكذلك كان موسى وهارون ومن آمن معهم:

- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: 84]
- ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: 126]

وكذلك كان داوود وولده سليمان وكل من آمن معهما:

- ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: 31]
- ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [النمل: 38]
- ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [النمل: 42]

وكذلك كان الحواريون:

- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: 111]

وكذلك كان محمد وصحبه الصادقين:

- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: 64]

وكذلك كان جميع رسل الله:

- ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: 136]
- ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: 84]

- ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: 90]
- ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت: 46]

خامسا: نحن نفتري القول بأن هذا هو الدين الذي هدى الله إليه محمدا (وهي ملّة إبراهيم)

- ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: 161-163]

فكان محمد مأمورا أن يكون بنفسه أول المسلمين:

- ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢﴾ [الزمر: 11-12]

وهذه – لا شك – عندنا هي العقيدة الأحسن:

- ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: 33]

تساؤلات مهمة جدا

⇐ إذا كان الدين عند الله هو الإسلام، فكيف كان من جاءوا قبل محمد زمنيا مسلمين؟

⇐ فإذا كان إبراهيم هو من سمّانا كذلك، فكيف شهد لمحمد بالرسالة؟

⇐ فهل كان من واجبات إسلام إبراهيم أن يشهد لمحمد بالرسالة، وهو الذي دعا ربه أن يبعث في هذه الأمة رسولا من أنفسهم؟

⇐ وإذا كان رسل الله جميعا مسلمين كنوح وإسماعيل وإسحق وموسى وغيرهم، فهل شهد هؤلاء لمحمد بالرسالة؟

⇐ وهل كان من متطلبات إسلامهم أن يشهدوا لمحمد بالرسالة؟

⇐ وإذا كان يوسف قد طلب من ربه أن يتوفاه مسلما، فهل شهد لمحمد بالرسالة حتى أصبح كذلك؟

⇐ وإذا كان الحواريون (أنصار الله وتلاميذ المسيح عيسى ابن مريم) قد أشهدوا ربهم بأنهم مسلمين، فهل شهدوا هم أيضا لمحمد بالرسالة؟

⇐ الخ

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (1): إن الدين منذ أن خلق الله الخلائق كلهم هو الإسلام

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (2): كان هناك مسلمون في كل زمان حتى قبل مجيء محمد بالرسالة

نتيجة مفتراة من عن أنفسنا (3): كان محمد متبعا لملة إبراهيم وهي الإسلام

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (4): لم يبدأ الإسلام بمجيء محمد وذلك لأن الذين سبقوه كانوا أيضا مسلمين

نتيجة مفتراة خطير جدا جدا: الإسلام هو الشهادة لله بالوحدانية وكفى.

السؤال: وأين تندرج الشهادة لمحمد بالرسالة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الشهادة لمحمد بالرسالة تقع في باب الإيمان فقط:

- ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: 285]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: 136]
- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾ [الحديد: 19]

فالإيمان بمحمد هو جزء من الإيمان بالرسل، وذلك لأن محمد ليس أكثر من رسول من رسل الله:

- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران: 144]

فالإيمان بمحمد هو كالإيمان بإبراهيم وموسى وعيسى ونوح وجميع رسل الله، فعقيدة المؤمن الصحيحة يجب أن تكون (نحن نفتري القول) مبنيّة على عدم التفريق بين رسل الله:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾ [النساء: 150]
- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء: 152]

فأنا أؤمن بمحمد كإيماني بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجميع رسل الله، ولا أفرق بين أحد منهم، لأن الذي يفرق بين رسل الله هو من أراد التفريق بين الله ورسله، وهذه لا تعدو أكثر من عقيدة الذين كفروا. انتهى.

لكني في الوقت ذاته، أؤمن يقينا بأن بعض الرسل مفضلين على بعض:

- ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البقرة: 253]

السؤال: كيف إذن يمكن التوفيق بين عدم التفريق بين الرسل وفي الوقت ذاته نؤمن بأن بعض الرسل مفضلين على بعض؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن ننفي جملة وتفصيلا بأن التفضيل يحمل في ثناياه الخيرية، فالجميع هم رسل الله ولا يجب التفريق بينهم، لكن التفضيل يحمل – برأينا – حجم المسئولية الملقاة على عاتق كل رسل. ففي حين أن رسل الله سواسية في الخيرية، إلا أن هناك رسل محددين ألقي على كاهلهم مسئولية أعظم من مسئولية الرسل الآخرين. ففي حين أن يوسف رسول وإبراهيم رسول إلا أن التكليف الذي وقع على عاتق إبراهيم لا شك عندنا أكبر بكثير من المسئولية التي ألقيت على كاهل يوسف الذي هو ليس أكثر من رسول متبع لملة أبيه إبراهيم:

- ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: 38]

ففي حين أن إبراهيم كان رسولا مشرعا إلا أن يوسف كان رسولا متبعا. انتهى.

السؤال: من هم الرسل المفضلين على بقية الرسل الآخرين؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الرسل المفضلين هم أولي العزم من الرسل الذين جاء ذكرهم في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿٣٤ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف: 35]

- ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾ [الأحزاب: 7]

فهؤلاء الرسل (وهم محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى) هم الرسل المفضلين لأنهم هم أصحاب الشرائع السماوية الثابتة، وفيما عداهم هم جميعا رسل متبعين لشرائع هؤلاء الرسل المفضلين.

لذا، عندما نقرأ في كتاب الله الآيات التالية، فيجب أن نفهم بأن تفضيل بني آدم على غيرهم كان بحجم المسئولية الملقاة على عاتقهم مقارنة بغيرهم من خلق الله الكثير:

- ﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: 70]

وكذلك هي الحال بالنسبة لبني إسرائيل الذين هم لا شك مفضلين على العالمين:

- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الجاثية: 16]

وذلك لأنهم مؤهلين أكثر من غيرهم لذلك بما آتاهم الله من العلم:

- ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ [الشعراء: 197]

فمادام أن في بني إسرائيل من شهد الله لهم بنفسه أنهم علماء، فهم من تقع إذن على كاهلهم المسئولية الأكبر. لذا نحن نفتري القول بأن هؤلاء محاسبون أما ربهم أكثر من غيرهم، مادام أن التكليف بحجم الوسع:

- ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢﴾ [المؤمنون: 62]

السؤال: ما علاقة هذا بفعل الجلوس للتشهد بالصلاة؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن فعل التشهد في الصلاة هو فعل الغاية منه – برأينا- إقرار الوحدانية لله، فلا نشرك مع الله أحدا.

السؤال: وما الغاية التي نرجوها من ذلك؟

جواب: حتى نكون من المسلمين، أي ممن أسلم وجهه لله حنيفا، فلا يشرك به شيئا، كما في الشكل التوضيحي التالي

الجلوس للتشهد في الصلاة	
الفعل	الغاية
الشهادة لله وحده	لنكون من المسلمين

السؤال: كيف يمكن تنفيذ ذلك على أرض الواقع؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أنه يجب علينا أن نشهد لله بالوحدانية بأفضل طريقة ممكنة.

السؤال: وما هي الطريقة الأفضل على الإطلاق للشهادة لله بالوحدانية؟

جواب مفترى: لو أني قدمت لك – عزيزي القارئ- طريقة من عندي، وزعمت بأنها هي الطريقة الأفضل، هل تقبل بها؟ وماذا لو قدمت أنت طريقة أخرى من عندك وزعمت أنها هي الطريقة الأفضل؟ فهل تراني أقبل بها أنا؟ وماذا لو زعمت أحدى الفرق الإسلامية أو بعض طوائفها بأنها تملك طريقة مثلى للتشهد، فهل تقبل بها الفرق والطوائف الأخرى؟

جواب مفترى من عند نفسي: لعلي أكاد أجزم الظن بأن أيّا منا لن يقبل بطريقة الآخر. فكل منا سيزعم أن طريقته هي المثلى وأن طريقة غيره ليست صحيحة أو ربما يشوبها الغلط (بالنقص أو بالزيادة أو بالتحريف).

السؤال: ما المخرج من هذا المأزق؟

جواب مفترى: نحن نظن أن المخرج يتمثل بأن نجد طريقة نرضى بها جميعا. تحقق لنا الفعل والغاية، فنشهد لله بالوحدانية بأحسن طريقة، وتتحقق الغاية بأن نكون من المسلمين.

السؤال: وأين سنجد هذه الطريقة التي ننشدها جميعا؟

جواب مفترى: لعلي لا أتردد أن أقول أننا نرضى جميعا بأن نحتكم إلى الله وحده. فهل ترضى - عزيزي القارئ - بالطريقة الإلهية في التشهد؟ وهل أقبل أنا بالطريقة الإلهية لأشهد له بالوحدانية وأكون من المسلمين؟ وهل نحن على استعداد أن نقبل جميعا بالطريقة الإلهية (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً)؟

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء: 122]

جواب مفترى: لعلي أكاد أجزم الظن بأننا نرضى جميعا بالطريقة الإلهية متى ما وجدناها.

السؤال: وهل هناك طريقة إلهية للتشهد أصلا؟ هل علّمنا الله الطريقة الأحسن للقرار له بالوحدانية، فنكون من المسلمين؟

جواب مفترى : نعم، أظن أن هناك طريقة إلهية للتشهد هي الأحسن وهي لا شك الأصدق، وهي التي جاءتنا من الله نفسه.

السؤال: وأين ذلك؟

جواب مفترى: لعلي أكاد أجزم الظن بأن الآية الكريمة التالية تعلمنا التشهد الأحسن (الذي لا نقص ولا زيادة ولا تحريف فيه)، قال تعالى:

- ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: 18]

نتيجة مفترى من عند نفسي: هل تجد عزيزي القارئ شهادة لله بالوحدانية أحسن من هذه الشهادة؟ هل يمكن لبشر أن يشهد لله بالوحدانية بطريقة أحسن من شهادة الله نفسه؟ ألسنا من أصحاب العقيدة التي مفادها "وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا"؟ ألا يجب أن نكون ممن يشهدون على شهادة الله؟ ألسنا من أصحاب العقيدة التي مفادها (وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ)؟

ثم أليس هذا ما هو مطلوب منا أن نقر به كمسلمين في كل عبادتنا:

- ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: 162-163]

السؤال: ما الذي يجب أن يقوله المسلم في جلوسه للتشهد الأول في نهاية كل ركعتين من الصلاة، وفي التشهد الثاني في نهاية الصلاة، فيقر لله بالوحدانية ويكون من المسلمين؟

جواب مفترى من عند نفسي: أنا افتري القول أن التشهد الأحسن يكون بالنطق بالشهادة كما جاءت في كلام الله:

- ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: 18]

السؤال: كيف تصبح الصيغة للشهادة كلها التي تحقق للمصلي إقرار الشهادة بالوحدانية لله وتحقق له بأن يكون هو من المسلمين؟ هل هذا يكفي؟ هل نحن مأمورون أن نظيف قولا آخر غير هذا؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: دعنا ندقق في الآيات الكريم التالي:

- ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: 162-163]

ألسنا إذن مأمورين بأن نردد هذا القول الإلهي بدليل (قُلْ)؟ فمتى يجب علينا أن نردد ما أمرنا به الله في هذه الآيات الكريمة؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ما يسمى بالتشهد هو المكان الأفضل لترديد هذه الآيات، فتصبح الصيغة التالية هي – برأينا- الصيغة الأمثل للقرار بالوحدانية لله وبأننا من المسلمين:

- ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: 18]
- ﴿... وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦﴾ [الأنبياء: 56]
- ﴿... إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: 162-163]
- ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: 182]

وفي هذه الحالة تكون قد شهدت لربك الواحد الأحد الفرد الصمد بالوحدانية وامتثلت العبودية المطلقة له. فلا تأت على ذكر أحد معه في ذلك. فتصبح الصورة – برأينا- على النحو التالي:

التشهد
• ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: 18] • ﴿... وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦﴾ [الأنبياء: 56] • ﴿... إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: 162-163] • ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: 182]

وما أن تنهي هذه الشهادة حتى تنتقل إلى الجزء الثاني في نهاية الصلاة وهي ما يسمى بالصلاة الإبراهيمية.

الصلاة الإبراهيمية: رؤية جديدة

ما أن تنتهي من الشهادة لربك بالوحدانية والإقرار بالعبودية المطلقة له في الجزء الأول من الجلوس الأخير في الصلاة حتى تنتقل إلى الجزء الثاني وهو المسمى بالصلاة الإبراهيمية عند العامة وأهل الاختصاص على حد سواء. في هذا الجزء من الصلاة، أنت مأمورون (نحن نفتري الظن من عند أنفسنا) بأن تنفذ غايتين اثنتين وهما:

1. الصلاة والسلام على النبي محمد امتثالا لقوله تعالى:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

2. الدعاء بالبركات على أهل بيت محمد:

- ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب: 33]
- ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هود: 73]

والمقصود بأهل بيت النبي هن (نحن نفتري القول) أزواجه اللاتي نزلت بحقهن هذه الآية الكريمة، وأقرأ عزيزي القارئ – إن شئت- الآية كلها:

- ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب: 33]

لتكون الصورة كما هي في ذهننا على النحو التالي:

نتيجة مفتراة (1): الدعاء بالصلاة والسلام خاص بشخص النبي محمد فقط

نتيجة مفتراة (2): طلب البركات خاص بأهل بيت النبي فقط

السؤال: كيف يمكن تنفيذ ذلك على أرض الواقع؟

فقه الصلاة الإبراهيمية: باب ما نتلفظ به من قول داخل الصلاة

أولا، تفنيد الفكر السائد

لنبدأ القصة من أولها، فلقد اشتهر عند أهل العلم حول هذه الجزئية الحديثُ المرفوع إلى النبي والمتفق عليه بين رواته التالي:

عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صلُّوا كما رأيتموني أصلّي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم"

لنطرح التساؤل التالي على الفور: إذا كان من هم حول النبي قد نقلوا لنا ما قام به النبي من حركات في الصلاة (كالوقوف والركوع والسجود)، فكيف نقلوا لنا ما كان يتلفظ به محمد من أقوال داخل الصلاة؟ فهل كانت صلاة النبي جهريّة بما فيها من أفعال وأقوال؟ فهل كان يسمع من هم حول النبي ما كان يقول وهو واقفا؟ وهل كانوا يسمعون ما كان يقول وهو راكعا؟ وهل سمعوا ما قال وهو ساجدا؟ وهل سمعوا ما قاله محمد في جلوسه للتشهد في الصلاة؟

السؤال مرة أخرى: هل سمع من كان حول النبي كيف تلفظ محمد بالصلاة الإبراهيمية في التشهد الأخير للصلاة؟ فهل قالها النبي الكريم على النحو الذي ألفناه من عند آبائنا:

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رأينا المفترى: إن كان هذا نقلا صحيحا عن النبي، فدعني أثير التساؤلات التالية حوله.

أولا، على من نسلم في نهاية الصلاة عندما نقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفكر السائد: لعل الجواب الشائع بين العامة (ربما بما فهموه من سادتنا أهل الدراية) أن المصلي يسلم في نهاية صلاته على الملكين اللذين عن اليمين وعن الشمال. ولقد تجرأ بعضهم على القول بأن أهل العلم قد استنبطوا ذلك من قوله تعالى:

- ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق: 17-18]

فهم يظنون أن الذي على اليمين هو رَقِيبٌ وأن الذي على الشمال هو عَتِيدٌ ، أليس كذلك؟

رأينا: دعنا بداية نعلن صراحة مخالفتنا إياهم الرأي بالقول بأن عبارة رَقِيبٌ عَتِيدٌ تعود على كينونتين اثنين، وإنما هو – برأينا- كينونة واحدة (رَقِيبٌ عَتِيدٌ)، وذلك لأن "صيغة الترادف الثنائية" هذه قد وردت كثيرا في كتاب الله، خاصة بحق الإله نفسه. فالله هو حفيظ عليم وهو عليم حكيم وهو لطيف خبير، الخ. فهل يعني ذلك أننا نتحدث عن كينونتين اثنتين؟

جواب: كلا وألف كلا، لأنه لو كان الحديث عن كينونتين اثنتين، لجاء اللفظ بصيغة العطف على نحو (رقيب وعتيد)، ولأصبح تواجد حرف العطف بينهما أمرا لازما، ليعطف الثاني على الأول كما في بداية الآية الكريمة نفسها:

- ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: 17]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن الذي على اليمين وعلى الشمال هو كينونة واحدة وهو نفسه رَقِيبٌ عَتِيدٌ . وربما يؤكد ظننا هذا ما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق: 23]
- ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق: 4]

نتيجة مفتراة مهمة جدا: نحن نفتري القول أن كل نفس عليها حافظ واحد.

نتيجة مفتراة مهمة جدا: نحن نظن أن هذا الحافظ الموكل بكل نفسه هو رقيب عتيد. انتهى.

إن الذي يهمنا من هذا النقاش بغض النظر عن عدد الذين عن اليمين والشمال هو التساؤل التالي: لم نحتاج أن نلقي عليهم (حتى وإن كانوا ملائكة) السلام في نهاية كل صلاة؟ أليس هم من يصلون ويسلمون علينا:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: 43]

(دعاء: اللهم صل عليّ وملائكتك، وأدعوك وحدك أن تخرجني من الظلمات إلى النور، إنك أنت الغفور الرحيم - آمين)

مفارقات مضحكة مبكية: لعلي أظن أن الأخطر من هذا هو أن بعض سادتنا العلماء أهل الدراية قد أفهموا الناس أن إلقاء السلام على من هو على اليمين واجب للخروج من الصلاة، ولكن إلقاء السلام على من هو عن الشمال غير واجب؟ فهل يعود هذا (نحن نسأل) إلى الظن بأن الذي على اليمين يكتب لنا الحسنات، لذا فهو "طيب مليح"، بينما الذي على الشمال فهو غير ذلك لأنه يسجل علينا سيئاتنا؟ من يدري!!!

رأينا الخطير المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أننا لا نلقي السلام على ملائكة متواجدين عن يميننا ولا نلقي السلام على ملائكة متواجدين عن شمالنا بغض النظر عن عددهم، فنحن لا نلقي عليهم السلام إطلاقا، ونعتقد جازمين أن السلام الذي نلقيه عن اليمين وعن الشمال للخروج من الصلاة ليس له علاقة بالملائكة إطلاقا. انتهى.

السؤال: على من نلقي السلام إذن للخروج من الصلاة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري القول بأننا نلقي السلام على محمد وأهل بيته كما نلقي السلام على إبراهيم وأهل بيته.

الدليل

أولا، نحن لا نحتاج أن نلقي السلام على الملائكة إطلاقا لأن الملائكة هم من يصلوّن علينا:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: 41-43]

فنحن مطالبون أن نذكر الله، ومطالبون أن نسبحه، وهو بالمقابل من يصلي علينا وملائكته.

ثانيا، لو تدبرنا ما يسميه أهل العلم بالصلاة الإبراهيمية، لوجدنا أنها تتحدث عن محمد وعن إبراهيم كما تتحدث عن أهل محمد وعن أهل إبراهيم، ولنعيدها هنا مرة أخرى كما تعلمناها في المدارس على أيدي أهل الرواية كما علمهم إياها أهل الدراية:

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد	كما صليت على	إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد	كما باركت على	إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته		السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السؤال: إذا كان الحديث كله منصبا منذ البداية على محمد وعلى آل محمد (كما يريدون) وعلى إبراهيم وعلى آل إبراهيم (كما يريدون)، فلم هذا الانتقال العجيب في النهاية للسلام على الملائكة عن اليمين وعن الشمال؟

رأينا: نحن نظن أن الحديث يجب أن يكون متناسقا مادام أنه دعاء نرجو من الله أن يحققه، فمادام أن الشطر الأول (أو الصدر بلغة أهل الشعر) يتحدث عن محمد وعن آل بيت محمد فإن السلام الأول يجب أن يكون على هؤلاء. ومادام أن الشطر الآخر (أو العجز بلغة أهل الشعر) يخص إبراهيم وآل إبراهيم، فإن السلام الثاني يجب أن يكون على هؤلاء. فنحن نسلم على محمد وأهل بيت محمد كما نسلم على إبراهيم وعلى أهل بيت إبراهيم فقط، ولا دخل للرقيب العتيد في ذلك.

ثالثا، لو تفقدنا تلك الصلاة كما ألفناه من عند أهل العلم لوجدنا فيها العجب العجاب، وأخص بالذكر هنا نهايتها في عبارة إنك حميد مجيد. فلعل الذي لفت انتباهي إلى هذه القضية برمتها هو أننا كمسلمين على اختلاف طوائفنا لا نختلف في هذه العبارة على وجه التحديد، ولكن لماذا؟

رأينا الخطير جدا: لأنها هي العبارة الوحيدة الصادقة في هذه الصلاة المنقولة إلينا برمتها، فهي العبارة التي نظن أنه لم يعتريها التحريف من عند أهل العلم. ولكن كيف ذلك؟

جواب: نحن نستغرب لم بقيت تلك العبارة على حالها؟ لم لا يقول بعضنا في نهاية صلاته إنك حميد حكيم أو إنك عليم حكيم أو إنك لطيف خبير، أو إنك سميع بصير، الخ. أليست الأسماء الحسنى جميعها لله؟

- ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: 110]

فما بالنا لا ندعو ببعضها في كل مرة نود الخروج من صلاتنا؟ لم نتمسك بهذه العبارة (إنك حميد مجيد) على وجه التحديد في نهاية الصلاة الإبراهيمية؟

رأينا المفترى: إن صح منطقنا المفترى من عند أنفسنا، فإننا نظن أن هذه العبارة وحدها ستروي لنا قصة الصلاة الإبراهيمية كلها منذ بدايتها، وستكشف لنا (بحول الله وتوفيق منه) عن كل التحريفات التي خطها بعض أهل العلم ربما عن قصد مسبق وربما عن جهل فاضح، ولحق بهم الكثيرون منهم عن غير قصد، غير متنبهين للتبعات الجمّة لذلك على العقيدة برمتها. فهذا ما سنفتريه من قول من عند أنفسنا، سائلين الله وحده أن يهدينا رشدنا، وأن يؤتينا رحمة من عنده وعلما من لدنه، فلا نفتري عليه الكذب، إنه حميد مجيد - آمين

أما بعد

قصة الصلاة الإبراهيمية: من أين جاءت

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن الصلاة الإبراهيمية قد جاءت عندما شعر النبي محمد ببعض الضيق بسبب بعض ما أنزل إليه من ربه، فأخذ يدعو بهذا الدعاء في نهاية صلاته ليحصل على ما لم يتمكن من الحصول عليه من قبل، وليتأتى له ولأهل بيته ما كان الله قد آتاه لغيره (وهو إبراهيم على وجه التحديد وأهل بيت إبراهيم). فكيف ذلك؟

أولا: نحن نجد أن أول دليل يأتي من الحقيقة الثابتة التي تظهر من مجمل تلك الصلاة (الدعاء) وهو محاولة النبي محمد التشبه بإبراهيم، فإلى الذين يظنون أن محمدا هو سيد الخلق أجمعين، فعليهم أن يجيبونا على التساؤل التالي: لما يدعو محمد أن يُصلّي الله عليه كما صلى على إبراهيم؟

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد

ولم يدعو محمد أن ينزل الله بركاته عليه وعلى آل بيته (كما يرغب أهل الدراية) بنفس الطريقة التي تمت المباركة فيها على إبراهيم وعلى أهل إبراهيم.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد

رأينا: ربما لا يخفى على الصغير (قبل الكبير) وعلى طالب العلم (قبل الذي أمسك بناصيته) بأن المشبه (محمد) لم يتحصل على ما كان للمشبه به (إبراهيم). وإلاّ لانتفت الحاجة إلى عقد المقارنة أصلا (للتفصيل انظر سلسلة مقالاتنا تحت عنوان لماذا قدم نبي الله لوط بناته بدلا من ضيوفه؟ خاصة الجزء الثالث عشر والرابع عشر)

السؤال ما الذي كان لإبراهيم ولم يكن لمحمد حتى يجهد محمد نفسه في طلبه؟ وبكلمات أكثر دقة، نحن نسأل: ما الذي كان لأهل إبراهيم ولم يكن لأهل محمد حتى يجهد محمد في طلبه؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الفرق بين محمد وأهله من جهة وإبراهيم وأهله من جهة أخرى هو ما تصوره الآيتان الكريمتان التاليتان، حيث تتحدث الأولى عن ما تحصل لإبراهيم وأهله وتتحدث الثانية عن ما كان متحصلا لمحمد وأهله:

- ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هود: 73]
- ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب: 33]

الاستنباطات

1. لو تدبرنا الآيتين الكريمتين، لوجدنا أنهما تتحدثان عن إبراهيم وعن محمد
2. لو تدبرنا الآيتين الكريمتين، لوجدنا أنهما تتحدثان عن أهل بيت إبراهيم وعن أهل بيت محمد
3. لو تدبرنا الآيتين الكريمتين، لوجدنا أنهما تتحدثان عن نساء هؤلاء الأنبياء
4. لو تدبرنا الآيتين الكريمتين، لوجدنا أن رحمت الله وبركاته قد نزلت فعلا على أهل بيت إبراهيم
5. لو تدبرنا الآيتين الكريمتين، لوجدنا أن رحمت الله وبركات لم تنزل على أهل بيت محمد
6. لو تدبرنا الآيتين الكريمتين، لوجدنا أن ما كان يمكن أن يتحصل لمحمد لم يتحصل فعلا لأنه كان في طور الإرادة الإلهية ولم يتنقل إلى مرحلة القول الإلهي (أي التنفيذ الفعلي). للتفصيل حول إرادة الله وقول الله انظر مقالتنا تحت عنوان مقالة في التسيير والتخيير التي فحواها الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: 82]

حيث التمييز بين إرادة الله وقول الله، مفترين الظن بأن الأمور لا تتحقق بإرادة الله وإنما تتحقق فقط متى ما صدر قول الله بحقها.

السؤال: ما علاقة هذا كله بمحمد وأهل بيته وإبراهيم وأهل بيته؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري القول بأن النتيجة يمكن أن نستنبطها من هذه الآيات الكريمة (إن كان منطقنا صحيحا) هي أن رحمت الله وبركاته قد صدر قول الله فيها بحق أهل بيت إبراهيم:

- ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: 73]

ولكن مثل هذا القول الإلهي لم يصدر بحق أهل بيت محمد وبقي الأمر في طور الإرادة الإلهية لهم:

- ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: 33]

ونحن نظن بأنه لما تحققت الرحمة والبركات الفعلية لأهل إبراهيم، جاء في نهاية الآية نفسها قوله تعالى (إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ)، فنحن لم نجد هذه العبارة في كتاب الله إلا في هذه الآية الكريمة التي تتحدث عن رحمت الله وبركاته على أهل بيت إبراهيم:

- ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: 73]

ولكن – بالمقابل- نحن نظن بأنه لما لم يصدر قول الله بالرحمة والبركات بحق أهل بيت محمد، وبقيت في طور الإرادة الإلهية، لم تأت هذه العبارة (إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) في نهاية الآية التي تتحدث عن أهل بيت محمد:

- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ [الأحزاب: 33]

الصلاة الإبراهيمية الحكاية التي لم تروى: افتراءات من عند أنفسنا

نحن نظن (مفترين القول من عند أنفسنا) أن قصة الصلاة الإبراهيمية قد حصلت على النحو التالي: ينزل على قلب محمد قرآنا يتلى يبين بشكل لا لبس فيه ما حصل في بيت إبراهيم، فها هم الملائكة الذين جاءوا رسلا من ربهم معذبين لقوم لوط يصلون أولا إلى بيت من كان الله قد أراه ملكوت السموات والأرض، وهو إبراهيم:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: 75]

فهم الآن (نحن نتخيل) في بيت إبراهيم ضيوفا ربما لإخباره بما سيحصل بقوم لوط قبل إنزال العذاب الذي جاء به أمر ربهم:

- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨﴾ [الحجر: 57-58]

وفي ذلك اليوم بالذات تأتي البشرى إبراهيم بإسحق:

- ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢﴾ [الصافات: 112]

وتتعجب امرأته التي كانت قائمة من الأمر:

- ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢﴾ [هود: 72]

فما يكون من الملائكة (رسل ربها) إلاّ أن تزفّ لها الخبر العظيم بأن رحمت الله وبركاته قد نزلت على أهل هذا البيت الطاهر:

- ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝٧٣﴾ [هود: 73]

انتهت حكايتنا بالنسبة لإبراهيم. فما الذي حصل بالنسبة لبيت محمد؟

افتراء من عند أنفسنا: ما أن ينزل هذا القرآن الذي يخص إبراهيم وأهل بيته على قلب محمد حتى يبقى محمد يدعو ربه خوفا وطمعا، رغبا ورهبا، أن ينزل على أهل بيته من الرحمت والبركات ما أنزل منها على أهل بيت إبراهيم، فينتظر محمد طويلا، ولكن كانت المفاجأة الكبرى (ربما غير السارة) بالنسبة لمحمد أن تلك الرحمة والبركات لم تنزّل، وأن جلّ ما نزل ببيت محمد هو وجود الإرادة الإلهية بأن يذهب عنهم الرجس، قال تعالى:

- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: 33]

فلم يكن ذلك ليرضي محمدا تمام الرضا، فما كان منه إلا أن يُقْبِل على ربه بدعاء لازلنا نردده في نهاية كل صلاة نقيمها، سائلين الله أن يتحقق لأهل بيت محمد ما كان قد تحقق لأهل بيت إبراهيم، فكان هذا الدعاء الذي نظن أن أهل العلم قد حرفوا بعضه ولم يتمكنوا من تحريف بعضه الآخر، ألا وهو ما يطلق عليه مصطلح الصلاة الإبراهيمية:

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد	كما صليت على	إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد	كما باركت على	إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته		السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السؤال: فما الذي لم يحرّف منه؟ ما الذي لم يضع أهل العلم أيديهم فيه ليحرفوه؟

جواب مفترى: إنه العبارة الأخيرة فيه وهي (إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ). فمحمد قد استخدم هذا الأسماء الحسنى ليدعو ربه به لكي يتم عليه وعلى أهل بيته من الرحمت والبركات ما كان قد تحصّل لإبراهيم وأهل بيته.

السؤال: وما الذي تم تحريفه في هذا الدعاء؟

جواب: حرف واحد فقط، وهو إسقاط حرف الهاء من كلمة أهل كما جاءت في كتاب الله في الآيتين الكريمتين اللتين تتحدثان عن أهل بيت إبراهيم وأهل بيت محمد:

- ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: 73]
- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: 33]

ليصبح اللفظ على لسان أهل الرواية كما نقلوا ذلك عن أهل الدراية على نحو آل البيت.

باب الفرق بين الآل والأهل (آل البيت أم أهل البيت؟)

نحن نظن أن إسقاط هذا الحرف من كلمة أهل لتصبح كلمة آل قد أسقط الأمة بأكملها في شرك ما فعل علماؤهم بهم، فانقسمت الأمة إلى فريقين متناحرين على هذا الحرف. فأصبح هناك من يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة يقابلهم المدافعين عن آل البيت والتشيّع.

السؤال: لماذا أسقط هذا الحرف؟ ومن الذي فعل ذلك؟ وما الغاية من ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن شياطين الإنس الذي لم يريدوا بهذا الدين خيرا هم من فعلوا تلك الفعلة النكراء. ونحن على يقين أن دراويش الأمة (من أصحاب اللحى الطويلة والثياب القصيرة) لم يستطيعوا أن يدركوا مقدار خطورة تلك الفعلة وتبعاتها الجمة على الدين أولا ثم على الأمة بأكملها من بعد ذلك.

السؤال: ولماذا فعلوا ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الهدف غير المعلن لهؤلاء الشياطين هو إخراج أزواج النبي من المعادلة كلها. فهم لا يريدون أن يدع الناس في صلاتهم لأزواج النبي بالرحمت والبركات، فأسقطوا حرف الهاء من كلمة أهل (التي لا شك تشمل أزواج النبي كما سنرى بعد قليل) لتصبح كلمة آل (التي قد لا تشمل نساء النبي إطلاقا). للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان حديث الإفك.

الدليل

لجلب الدليل على ذلك، لابد من التعرف على معنى مفردة أهل مقابل معنى مفردة آل كما ترد في السياقات القرآنية.

باب الأهل: تشمل الزوجة

بداية، نحن نفهم أن مفردة الأهل قد استخدمت في سياقاتها القرآنية المتعددة لتشمل الزوجة.

السؤال: كيف ذلك؟

جواب مفترى:

1. لم تكن امرأة فرعون من آل فرعون (وإن كانت من أهله) لأنه لو كانت امرأة فرعون من آل فرعون لحاق بها سوء العذاب:

- ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥﴾ [غافر: 45]

ولكانت من المغرقين:

- ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ [البقرة: 50]

ولكان مصيرها النار لا محالة لأن آل فرعون مصيرهم جميعا النار:

- ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: 46]

2. لم تكن امرأة لوط من آله لأن الله قد نجّ آل لوط أجمعين:

- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤﴾ [القمر: 34]

ولكنها لا شك كانت من أهله، لذا جاء الاستثناء صريحا بحقها في قوله تعالى:

- ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ۖ وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٣٣﴾ [العنكبوت: 33]

3. لو تدبرنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾ [النساء: 54-55]

لوجدنا على الفور بأن آل الرجل يمكن أن يكون منهم مؤمن ويمكن أن يكون منهم من يصد عن الإيمان. فليس بالضرورة أن يكون كل آل إبراهيم مؤمنين مادام أن منهم من آمن به ومنهم من صد عنه. وهذا ينطبق أيضا على آل محمد. فليس كل من كان من آل محمد قد آمن به، فكثير منهم قد صد عنه.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نفتري الفهم بأن المرأة هي من أهل الرجل ولكنها قد لا تكون من آله.

(للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان من هي زوجة موسى؟ ومقالتنا تحت عنوان حديث الإفك)

السؤال: ما علاقة هذا بالصلاة الإبراهيمية؟

عندما كان بعض أهل العلم على دراية بأن الصلاة على أهل بيت محمد سيصيب زوجاته جميعا، لم يكن ليروق للبعض منهم ذلك، ربما بسبب الخلاف التاريخي والسياسي بينهم وبين بعض أزواج النبي (وعلى وجه الخصوص السيدة عائشة)، فلعبوا لعبتهم القذرة في التحريف والتبديل، فما كان منهم إلا أن يسقطوا حرف الهاء من مفردة أهل التي تعني بالضبط بيت النبي محمد نفسه، واستبدلوها بمفردة آل

محمد (ليخرجوا بعض أزواجه من المعادلة) وليدخلوا فيها في الوقت نفسه بعض أقرباء محمد (من عشيرته) إلى تلك الصلاة. فبدل أن تكون الصلاة على محمد وعلى أهل بيت محمد، أصبحت الصلاة على محمد وآل بيت محمد.

السؤال: كيف يجب أن نقرأ الصلاة الإبراهيمية إذن؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الصلاة الإبراهيمية يجب أن تمر بثلاث مراحل، وهي – برأينا- على النحو التالي:

1. الصلاة على محمد والسلام عليه فقط وعطفها على إبراهيم، فنحن مأمورون بالصلاة والتسليم على من صلى الله وملائكته عليه:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

لذا، نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن الصلاة الإبراهيمية يجب أن تبدأ على النحو التالي:

الصلاة والسلام على النبي محمد (كما صليت وسلمت صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد)

فعندما قدمت الملائكة إلى بيت إبراهيم كان الخطاب الأول بينهم على النحو التالي:

- ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾ [هود: 69]
- ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ٥٢﴾ [الحجر: 52]
- ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾ [الذاريات: 25]

2. الدعاء بالرحمة والبركات على أهل بيت محمد وعطفها على أهل بيت إبراهيم لأن الله قد أنزل رحمته وبركاته عليهم:

- ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هود: 73]

لذا نحن نطلب رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ لأهل بيت محمد، فنتابع الصلاة الإبراهيمية بالقول:

اللهم بارك على أهل بيت محمد كما باركت على أهل بيت إبراهيم إنك حميد مجيد

3. السلام على أهل محمد وأهل بيته وعطفها بالسلام على إبراهيم وأهل بيته

فنختم تلك الصلاة (وذلك الدعاء) بالسلام على محمد وأهل أهل بيت محمد ونخرج من الصلاة بالسلام على إبراهيم وأهل بيت إبراهيم، فنقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (ونقصد محمد وأهل بيته)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (ونقصد إبراهيم وأهل بيته)

فيصبح التشهد والصلاة الإبراهيمية عند الجلوس في الصلاة على نحو ما في الجدول التوضيحي التالي:

التشهد	الصلاة الإبراهيمية
• ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: 18] • ﴿...وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنبياء: 56] • ﴿...إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: 162-163] • ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: 182]	وأشهد أن محمدا رسول الله وخاتم النبيين (وكفى بالله شهيدا) الصلاة والسلام على النبي محمد (كما صليت وسلمت على إبراهيم إنك حميد مجيد) اللهم بارك على أهل بيت محمد كما باركت على أهل بيت إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

باب الصلاة على النبي محمد

غالبا ما تسمع الناس يرددون العبارة التالية للصلاة على النبي (اللهم صلي على محمد)، ظانين أنهم بذلك يصلون على النبي محمد كما أمر الله بقوله تعالى:

- ﴿... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: 56]

افتراء من عند أنفسنا: نحن نود أن نلفت الانتباه أن هذه العبارة (اللهم صلي على محمد) المستخدمة بين الناس للصلاة على النبي هي غير صحيحة لأنها ليست تنفيذا للأمر الإلهي بالصلاة على النبي.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا: لو تدبرت أخي القارئ الكريم هذه العبارة جيدا، لوجدت أن جل ما تفعله هو دعاء الله بقولك (اللهم) ليصلي هو (أي الله نفسه) على النبي (صلي على محمد). فما الذي فعلته أنت في هذه الحالة؟ هل صليت أنت بنفسك على النبي كلا كما تأمرك الآية الكريمة التالية؟

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

ونحن لا نملّ أن نطرح التساؤل التالي أكثر من مرة: لم تطلب أنت من الله أن يصلي هو على النبي بقولك (اللهم صلي على محمد)؟ ألم تقرأ الآية كلها التي تحثك على الصلاة على النبي؟ ألم تبدأ الآية نفسها بإخبارك يقينا بأن الله قد صلى وملائكته على النبي؟

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

تساؤلاتنا: مادام أن الله قد صلى وملائكته على النبي، ومادام أن صلاة الله وملائكته هذه على النبي دائمة غير منقطعة، فما الحاجة أن تدعو الله أن يصلي هو على النبي بقولك (اللهم صلي على محمد)؟

رأينا المفترى: سواء دعوت أنت اللهَ أم لم تدعوه أن يصلي على النبي، فإن صلاة الله وملائكته على النبي دائمة غير منقطعة (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ). لذا فإن دعاءك هذا بالقول (اللهم صلي على محمد) لا يزيد في الأمر شيئا ولا ينقص منه شيئا.

ولو تدبرنا ما يقوله بعض الناس عندما يردون الصلاة على النبي (خاصة في كتابتهم) تجدهم يرددون العبارة التالية: (صلى الله على محمد).

ولو حاولنا تدبر هذه العبارة جيدا، لوجدنا أنها ليست أكثر من جملة خبرية مفادها أن الله قد صلى فعلا على النبي محمد. لكن هل تلبي هذه العبارة المطلوب منا وهو أن نصلي نحن بأنفسنا على محمد؟

جواب: كلا وألف كلا، وذلك لأننا نقر بأن الله قد صلى على محمد

افتراء 1: عبارة (اللهم صلي على محمد) هي عبارة عن دعاء منا نرفعه لله بأن يصلي هو على محمد، لذا لا تحقق المراد بأن نصلي نحن بأنفسنا على محمد كما أمرنا الله

افتراء 2: عبارة (صلى الله على محمد) هي عبارة خبرية تدلنا على أن الله قد صلى على محمد، لذا لا تحقق المراد بأن نصلي نحن بأنفسنا على محمد كما أمرنا الله

السؤال: ما المطلوب إذن؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن المطلوب لا يتمثل بأن تدعو الله بأن يصلي هو على النبي، ولا أن تخبر بأن الله قد صلى فعلا على محمد، بل أن تقوم أنت نفسك بالصلاة على النبي لأن الأمر الإلهي للذين آمنوا هو:

- ﴿... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

السؤال: وما الذي يجب عليّ أن أقوله حتى أكون قد صليت أنا بنفسي على النبي؟

جواب مفترى: نحن نظن أن صيغة الصلاة على النبي يجب أن تكون بلفظ يشبه التالي:

الصلاة والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته

فتصبح صيغة الصلاة الإبراهيمية (أي الجزء الأخير من الصلاة الخاص بالنبي وأهل بيته) كلها – كما نفتريها من عند أنفسنا- على النحو التالي:

وأشهد أن محمدا رسول الله وخاتم النبيين (وكفى بالله شهيدا)
الصلاة والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته (كما صليت وسلمت على إبراهيم إنك حميد مجيد)
اللهم بارك على أهل بيت محمد كما باركت على أهل بيت إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ملاحظة غاية في الأهمية: نحن نود التأكيد لكل قارئ لهذه السطور بأن هذه هي عقيدتنا وحدنا، ونطلب منه بكل أدب جم أن لا يأخذ بها إذا لم يجد أن الدليل القاطع يثبتها، وإن هو تجرأ على الأخذ بها، فليكن في ذهنه دائما أنه هو وحده من يتحمل تبعات الأمر إن ثبت أن كلامنا مغلوط. فنحن لا نقدم فتاوى للناس، ولكننا نفكر فقط بصوت مرتفع. والله أعلم.

فقه صلاة الجنازة

لو تفقنا الآيات الكريمة الخاصة بما يسمى بصلاة الجنازة، لوجدنا الآية الكريمة التالية حاضرة على الفور:

- ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾ [التوبة: 84]

فهناك إذن صلاة تقام على من مات من المسلمين، وهذه الصلاة تكون بالقيام على قبره، لذا نحن نتجرأ على القول بأن صلاة الجنازة كلها صلاة قيام لا يوجد بها ركوع ولا سجود. ليكون السؤال الآن على النحو التالي: كيف هي ماهية هذه الصلاة؟

رأينا المفترى: مادام أن هذه الصلاة هي كلها قيام، لذا يجب أن تكون عبارة عن مجموعة الترتيلات يفصل بينها التكبير. فالانتقال من جزء إلى جزء يكون بالتكبير، أي يقولون "الله أكبر".

السؤال: ما الذي يجب قوله في حالة القيام لصلاة الجنازة؟

رأينا: نحن نفتري الظن بأن هناك أربع تكبيرات هي على النحو التالي:

1. في التكبيرة الأولى يقرأ القائم لهذه الصلاة بفاتحة الكتاب، وذلك لأنها كما أسلفنا تبين الغاية من عبادة الله والاستعانة به وهي هداية الصراط المستقيم.

2. في التكبيرة الثانية تكون ما يسمى بالصلاة الإبراهيمية، وذلك لأنها صلاة على محمد ودعاء بالبركات على أهل بيت محمد، فنحن في كل صلاة جنازة نصلي على محمد، فالإضافة إلى أن هذه الصلاة هي صلاة على من مات من المسلمين في هذه اللحظة، لكن يجب أن يسبقها صلاة على محمد مادام أنه قد مات:

- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: 30]

فأولى البشر أن نقوم على قبره ونصلي عليه هو محمد وأهل بيت محمد، لذا يجب أن يسبق دعاؤنا لمحمد دعاءنا لأي شخص آخر مات من المسلمين.

3. ما أن ينقضي دعاؤنا لمحمد في التكبيرة الثانية حتى يأتي الآن دعاؤنا لمن كان حاضرا من أموات المسلمين، لذا نحن ندعو له بالمغفرة بالصيغة التي يراها كل شخص قائم يصلي على هذا الميت مناسبة لمعرفته المسبقة به.

4. ما أن تنتهي من الدعاء للميت (بالصيغة التي تعرفها) حتى تعود في نهاية الأمر تدعو لنفسك على نحو ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 10]

وهو ما يمكن أن نفهمه من سر الدعاء في نهاية صلاة الجنازة بالقول (ربنا لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر اللهم لنا ولهم)

باب عدد الركعات في كل صلاة

وبنفس هذا التفكير بالصوت المرتفع، دعنا ننتقل الآن من الحديث عن بعض أقوال الصلاة إلى الحديث عن بعض حركاتها، مبتدئين بالسؤال الجدلي الخطير جدا التالي: كم عدد ركعات كل صلاة؟ وهل يمكن جلب الدليل على ذلك من كتاب الله نفسه؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: غالبا ما ظن الناس (بما ألفوه من عند أهل العلم) أن عدد الركعات لكل صلاة غير مفصل في كتاب الله، وأن تفصيل ذلك قد جاء بالتطبيق العملي لما وصلهم في روايات منسوبة إلى النبي الكريم بما يسمى بالأحاديث. فهل فعلا لم يأت التفصيل الواضح لعدد ركعات كل صلاة في كتاب الله؟ نحن نسأل.

رأينا المفترى: نحن نفتري القول بأنه من الاستحالة بمكان أن لا يكون كتاب الله قد فصل لنا عدد الركعات لكل صلاة، وذلك لأننا على العقيدة التي مفادها أن كتاب الله تبيانا لكل شيء، قال تعالى:

- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: 89]

ومادام أن الكتاب الذي أنزله الله على نبيه هو تبيان لكل شيء، فإن من أبجديات التفكير أن كتاب الله لم يفرط فيه بشيء:

- ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: 38]

لذا يجب أن تكون الصلاة (بكل جزئياتها) مفصلة تفصيلا:

- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: 12]

فحتى لو سلمنا بمنطق أهل الدراية أن هذا (أي عدد ركعات كل صلاة) من فعل محمد، فسيكون السؤال الحتمي هو: من أين جاء محمد بذلك؟ ألم يكن محمد متبعا لما كان يوحى إليه من ربه؟

- ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: 50]
- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس: 15]

لذا، لا بد من العودة إلى المربع الأول وهو كتاب الله الذي أُوحي إلى محمد، فكان محمد متبعا لما يوحى إليه:

- ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: 9]

منطقنا المفترى: إن كانت العقول البشرية قد قصّرت في فهم ما في كتاب الله، فإن من أكبر الجرائم بحق البشرية القول بأن كتاب الله غير مفصل، والظن بأنه لابد من وجود مصدر آخر للتشريع ليكمل هذا

"النقص" الذي ظنوا أنه موجود في كتاب الله (وإن لم يقولوها صراحة بأفواههم). أما نحن، فإننا نتجرأ على القول بأن هذا "النقص" المزعوم هو في الحقيقة نقص غير موجود إلا في عقول من ظنوا أن كتاب الله يحتاج إلى كتاب آخر ليسانده. وذلك لأن الله قد أكمل الدين بهذا التنزيل، فما عاد هناك حاجة لغيره:

- ﴿... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ... ٣﴾ [المائدة: 3]

ولعلي أجد الحاجة ملحّة هنا أن أعتذر للقارئ الكريم عن حدة هذه اللهجة التي استخدمها هنا لما يجول في خاطري، ولكني في الوقت ذاته أشعر بأن القارئ الكريم يستطيع أن يتفهم سبب ذلك، فلقد كان أهل الدراية (الذين لا أشعر بالحاجة أن أعتذر لهم) هم من أضاعوا علينا ديننا وأوقعونا في الفخ الذي ربما أصبح من الصعب الخروج منه بعد هذا الزمن الطويل من التيه. فهم الذين أقنعوا العامة من الناس بمصداقية أحاديثهم التي نسبوها – برأينا- زورا وبهتانا إلى محمد في الوقت الذي نقرأ في كتاب الله الآيات التالية التي تدعونا إلى عدم الإيمان بأي حديث (على إطلاقه) بعد الله وآياته، قال تعالى:

- ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١﴾ [الجاثية: 6-11]

ليكون السؤال الآن هو: ما هو الحديث؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الحديث هو كل ما أنزله الله على نبيه، قال تعالى:

- ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر: 23]

نتيجة مفتراة: الحديث هو الكتاب المتشابه

السؤال: هل يمكن الإيمان بغير هذا الحديث؟

جواب مفترى: كلا وألف كلا، مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧﴾ [الجاثية: 6-7]

السؤال: هل هناك سنّة؟

جواب مفترى: نعم هناك سنة؟

السؤال: ما هي السنّة؟

جواب مفترى: نحن نجزم القول أن السنّة لله وحده، ولا سنّة إلا سنّة الله وحده:

- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: 62]
- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: 23]

نتيجة مفتراة 1: الحديث هو الكتاب المتشابه

نتيجة مفتراة 2: السنة هي سنّة الله

السؤال: من الذي حرف هذه المفردات (الحديث والسنّة) عن معانيها القرآنية؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن المسئول عن تحريف هذه المفردات (الحديث والسنّة) عن معانيها القرآنية إلى معاني اصطلاحية لا تمت إلى اللفظ القرآني بصلة هم – برأينا- شياطين الإنس بمعونة مباشرة من شياطين الجن.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: دعنا نحاول تدبر الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: 112]

إن المدقق في هذه الآية الكريمة سيجد على الفور أن هناك شياطين من الإنس كما أن هناك شياطين من الجن (شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ). ليكون السؤال الحتمي هو: من هم شياطين الإنس؟

رأينا المفترى: لو تدبرنا الآية الكريمة نفسها، لوجدنا بأن صنعة هؤلاء الشياطين هي زخرفة القول، فهم الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا (يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا)، لذا لا يمكن أن نجدهم (نحن نفتري القول) يعملون في حرفة الصناعة أو التجارة أو الزراعة، وذلك لأن جل عملهم (نحن نفهم) هو في زخرفة القول. فمن هم إذن؟

جواب مفترى: نحن نظن أن شياطين الإنس هم الذين اتخذوا من زخرفة القول صنعة لهم، وهم القادرون على افتراء الكذب على الله:

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ... ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: 93]
- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: 68]
- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الصف: 7]

السؤال: كيف يمكن أن نتعرف عليهم؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لو بحثنا في السياقات القرآنية على مساحة النص القرآني كله، لوجدنا (حسب فهمنا طبعا) بأن أهم ما يميز الشياطين هي رؤوسهم، قال تعلى:

- ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: 64-65]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: إن هذا المنطق يذهب بنا إلى افتراء الظن (ربما مخطئين) بأن أهم ما يميز الشياطين هي رؤوسهم، فإن أنت أردت أن تتعرف على شياطين الإنس فابحث (يرحمك الله) في الرؤوس المختلفة، الرؤوس التي تميز أصحابها عن غيرهم من الناس العاديين في كل مجتمع.

السؤال: من هم أصحاب الرؤوس المختلفة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أنهم رجال الكهنوت الديني من مختلف العقائد والطوائف. فرجل الدين البوذي أو الهندوسي رأسه يختلف عن عامة الناس الذين يعتنقون البوذية أو الهندوسية، وكذلك هو رجل الديني اليهودي أو المسيحي أو الإسلامي. فهؤلاء هم من أرادوا أن ينظر الناس إليهم بعين مختلفة، ويكأنهم يمثلون الدين بما حباهم الله به من علم. فصنعوا لأنفسهم رؤوسا تميزهم عن بقية خلق الله ممن هم حولهم. ففي حين أن الله يمتدح المتقين على الدوام، فإنه يذم كل من يشتري بآيات الله ثمنا قليلا:

- ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: 76-77]

فلو دققنا في هذا السياق، لوجدنا أن المتقين هم الذين لا تظهر عليهم علامات الدين، وهم فعلا من الربانيين الحقيقيين.

- ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: 79]

فالربانيون الحقيقيون هم الذين يعلمون الكتاب وهم الذين يدرسون، ولكنهم في الوقت ذاته من المتقين الذين لا يشترون بعهد الله وآياته ثمنا قليلا. فما نود قوله هو أن المتقين الحقيقيين هم الذين لا يصنعوا لأنفسهم صورة فارقة بين الناس تدل عليهم، فهم الذين ينأون بأنفسهم عن الظهور بين الناس بشكل يجلب الانتباه، يجعل من السهل الإشارة إليهم بالبنيان.

ولو دققنا في تصرفات الناس ومشاعرهم تجاه هؤلاء (الذين صنعوا لأنفسهم رؤوسا مختلفة)، لوجدنا أنهم غير مقبولين إلا في طائفتهم، فلو نظر من هم من غير المؤمنين من تلك الطائفة إلى رأس رجل الدين من تلك الطائفة، لأصابه الحنق والكراهية منه، فالمسلم لا يرتاح لرجل الدين اليهودي صاحب الرأس المختلف، واليهودي لا يرتاح لرجل الدين الإسلامي صاحب الرأس المختلف، وينسحب هذا أيضا على رجال الدين من مختلف الطوائف داخل العقيدة الواحدة، فرجل الدين الشيعي الذي يظهر برأس مختلف ليدل على تشيّعه غير مرغوب (وربما ممقوت) عند أهل السنة، وكذلك هو رجل الدين السني صاحب الرأس المختلف في نظر الشيعة من المسلمين، وهكذا.

السؤال: لماذا لا ترتاح أنت كشخص عادي لمن يشهر رأسه كعلامة مميزة لانتمائه لطائفة دينية محددة؟

جواب مفترى: أكاد أجزم الظن بأن السبب في ذلك ربما يعود إلى أن الناس العاديين من مختلف المشارب ينظرون إلى هذه الرؤوس المختلفة بشيء من عدم الراحة لأنها تذكرهم (نحن نفتري القول) برؤوس الشياطين.

وهنا يبرز التساؤل التالي: من حرّف الدين الذين جاء به موسى عن جادة الطريق فأضل الناس بعلم غير أصحاب الرؤوس المختلفة المنتمين لتلك الديانة؟

- ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: 23]

ومن الذي أضل الناس عن شريعة عيسى الصحيحة غير رجال الكهنوت الديني المسيحي (أصحاب الرؤوس المختلفة)؟

ومن الذي أضل الناس عن شريعة محمد الصحيحة حتى أصبحت شيعا كل حزب بما لديهم فرحون غير أصحاب الرؤوس المختلفة من أهل العمائم البيضاء والسوداء على حد سواء؟

جواب مفترى: نعم، هؤلاء هم (نحن نفتري الظن ربما مخطئين) من اتخذوا إلههم هواه، فهم الذين شكلوا دينا بمواصفات ومقاييس من عند أنفسهم حتى أصبحت عقائد بشرية ربما (نحن نظن) لا تمت إلى الدين الحقيقي إلا ربما بالنزر اليسير. نعم، إنهم رجال الدين أصحاب الرؤوس المختلفة في كل الشرائع السماوية، الذين اتخذوا من زخرف القول صناعة لهم. فضلوا وأضلوا الناس على علم.

السؤال: كفاك تنظير على رؤوسنا، هل عدد الركعات لكل صلاة مفصلة في كتاب الله؟ هات ما عندك. ربما يريد أن يسأل صاحبنا وهو يستشيط غضبا على إرث الآباء والأجداد، ويختنق من هذا الهجوم (ربما غير المبرر) على رموزه الدينية من أصحاب اللحى الطويلة وغطاء الرأس المميز لطائفته وعقيدته.

جواب مفترى: نعم، عدد ركعات كل صلاة (نحن نفتري القول من عند أنفسنا) مفصلة في كتاب الله.

السؤال: هل تستطيع أن تبين ذلك لنا؟ يسأل صاحبنا مرة أخرى.

جواب مفترى: دعنا نبدأ الحديث هنا بالآية الكريمة التالية:

- ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٠٢﴾ [النساء: 102]

السؤال: ما الذي يمكن أن نستنبطه من هذه الآية الكريمة فيما يخص عدد ركعات كل صلاة؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لو دققنا في هذه الآية الكريمة، لوجدنا على الفور أنها تتحدث عن إقامة محمد الصلاة فيمن هم حوله (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ)، أليس كذلك؟

نتيجة مفتراة 1: الآية الكريمة لا تتحدث عن الصلاة على إطلاقها، ولكنها تتحدث عن إقامة الصلاة، أي الصلاة الحركية. (للتفصيل انظر الجزء الأول من هذه المقالة).

ولو دققنا أكثر في الآية نفسها، لوجدنا (حسب فهمنا لها طبعا) أنها تصوّر (على الأقل) طائفتين من المؤمنين يصلّون مع النبي، فتبدأ الصلاة بواحدة منهم (فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ)، ثم تنتهي بالطائفة الأخرى (وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ).

الاستنباط: أليس من الواجب أن تكون إقامة تلك الصلاة مقسومة بالتساوي بين الطائفتين؟ أليس من الواجب أن تحظى كل طائفة بالأجر الموازي الذي تظفر به الطائفة الأخرى؟ ألا يقع التكليف على الطائفتين بالتساوي؟ هل يمكن إذن أن تصلي الطائفة الأولى عددا من الركعات أكثر من تلك التي تصليها الطائفة الأخرى؟ هل يمكن أن تقبل طائفة منهم أن تصلي ركعة واحدة مع النبي ثم تصلي الطائفة الأخرى ركعتين أو العكس؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: كلا وألف كلا، مادام أن التكليف يقع على الطائفتين بنفس المستوى، وما دام أن الجميع ينشدون الأجر ذاته، ومادام أن كل طائفة مأمورة أن تصلي الصلاة ذاتها مع النبي الكريم، فلابد أن تكون القسمة بينهما (نحن نستنبط القول) متساوية. انتهى

السؤال: ما الذي تريد قوله؟ هات ما عندك بشكل أكثر وضوحا. يرد صاحبنا متعجلا الإجابة.

حسنا، دعنا إذن نسأل عن ماهية تلك الصلاة التي أقامها النبي في الطائفتين، أليس من العدل أن تكون صلاة زوجية في عدد ركعاتها؟

وبالمنطق نفسه هل يمكن (نحن لازلنا نتساءل) أن تكون تلك الصلاة فردية؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: كلا، لابد أن تكون الصلاة التي أقامها النبي فيهم زوجية في عدد ركعاتها حتى يتسنى للجميع أن يؤدي الصلاة صحيحة على أكمل وجه، فيؤدي ما عليه من التزام، وبالتالي الظفر بالأجر نفسه. انتهى.

السؤال: ما علاقة هذا بعدد الركعات في الصلاة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: إن صحّ منطقنا المفترى هذا بأن عدد ركعات الصلاة التي أقامها النبي فيهم هي صلاة زوجية في عدد ركعاتها، فإن أقل عدد ممكن من الركعات الزوجية اثنتان وأن الحد الأعلى لها أربعة. ليكون الافتراء الأول الذي نحاول جاهدين أن نصل له هو استحالة أن تقل عدد ركعات أي صلاة عن اثنتين ويستحيل أن تزيد عدد ركعات أي صلاة عن أربع ركعات.

نتيجة مفتراة مهمة جدا جدا 1: أقل عدد ركعات أي صلاة تقام هي اثنتين

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا 2: أكبر عدد ركعات أي صلاة تقام هي أربعة

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: تتراوح عدد ركعات أي صلاة تقام بين ركعتين اثنتين (كصلاة الفجر مثلا) وأربع ركعات (كصلاة الظهر مثلا).

السؤال: هل يمكن أن تقام صلاة بركعة واحدة مثلا؟

جواب مفترى: كلا. لأن العدد الأقل هو ركعتين

السؤال: وهل يمكن أن تقام صلاة بخمس ركعات مثلا؟

جواب مفترى: كلا، لأن العدد الأكبر هو أربع ركعات.

السؤال: هل جميع الصلوات يجب أن تكون إما ركعتين أو أربع ركعات فقط؟ لم لا يكون هناك عدد أكبر من الركعات (خمس أو ست ركعات مثلا)؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن استحالة أن يكون عدد الركعات أكثر من أربعة وأقل من اثنتين وذلك لأن هناك صلاة واحدة من بينهما جميعا يجب أن تكون وسطى، مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: 238]

لذا، يجب أن تكون عدد ركعات هذه الصلاة الوسطى ثلاث ركعات، وذلك لأن العدد ثلاثة يتوسط الاثنين والأربعة.

لذا، نحن نتجرأ على تقديم الضوابط التالية التي يجب مراعاتها عند حساب عدد ركعات كل صلاة تقام في المؤمنين من عباد الله:

الضابط الأول: أقل عدد ممكن من الركعات لأي صلاة تقام هي ركعتان

الضابط الثاني: أكثر عدد ممكن من الركعات لأي صلاة تقام هي أربعة

الضابط الثالث: هناك صلاة واحدة فقط هي صلاة وسطى، لذا تكون عدد ركعاتها ثلاث ركعات.

السؤال: ما هي تلك الصلاة الوسطى التي تتوسط الصلوات جميعا والتي جاء التخصيص لها واضحا في الآية الكريمة التالية:

- ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: 238]

رأينا المفترى: لو تدبرنا هذه الآية الكريمة، لوجدنا أن الله يطالبنا بأن نحافظ على الصلوات كلها (حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ)، ويبرز من بينها جميعا صلاة واحدة تسمى الصلاة الوسطى (والصَّلاَةِ الْوُسْطَى).

السؤال مرة أخرى: ما هي هذه الصلاة الوسطى التي طلب الله منا أن نحافظ عليها بشكل خاص من بين الصلوات جميعها؟

جواب مفترى: لقد تطرقنا لهذه الجزئية سابقا، وافترينا القول من عند أنفسنا بأن واحدة من الأسباب التي جعلت هذه الصلاة وسطى هي لأنها تتوسط الصلوات جميعا في كل شيء، ومن بينها عدد

ركعاتها. ففي حين أن جميع الصلوات يجب أن يكون عدد ركعاتها اثنتين أو أربعة، إلا أن صلاة واحدة فقط يجب أن تكون الوسطى بين ذلك، أي بين الصلاة التي تكون عدد ركعاتها اثنتين والصلاة التي يجب أن تكون عدد ركعاتها أربعة.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا مهمة جدا: هناك صلاة واحدة هي الصلاة الوسطى، لذا يجب أن تكون عدد ركعاتها ثلاث ركعات، لأن العدد ثلاث هو العدد الذي يتوسط الاثنين والأربعة. انتهى.

السؤال: ما هي هذه الصلاة التي يجب أن تكون هي الصلاة الوسطى، فيكون عدد ركعاتها ثلاث ركعات؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن بأن هذه الصلاة الوسطى هي صلاة المغرب.

السؤال: لماذا تكون صلاة المغرب على وجه التحديد هي الصلاة الوسطى؟ لم لا تكون أي صلاة أخرى هي الصلاة الوسطى؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن بأن الصلاة الوسطى هي صلاة المغرب وذلك لأنها الصلاة التي تتوسط الليل والنهار.

السؤال: وكيف يكون ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لقد تحدثنا في الأجزاء السابقة من هذه المقالة عن هذه الجزئية، وزعمنا الظن بأن صلاة المغرب على وجه التحديد هي الصلاة الوسطى، لأن وقتها يقع بين الليل والنهار. فهناك صلاتان اثنتان تقامان في الغياب التام للشمس (أي في الليل)، وهما صلاة الفجر وصلاة العشاء، قال تعالى:

- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78]

فالصلاة التي يجب أن تقام حتى دلوك الشمس هي صلاة الفجر، والصلاة التي يجب أن تقام إلى غسق الليل هي صلاة العشاء. فتكون هاتان الصلاتان هما اللتان تقامان في غياب تام للشمس، أي في الليل. (للتفصيل انظر الجزء الأول من هذه المقالة).

لكن بالمقابل هناك صلاتان اثنتان تقامان في حضور تام للشمس، وهما صلاتا طرفي النهار، قال تعالى:

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ...١١٤﴾ [هود: 114]

فصلاة الظهر وصلاة العصر تقامان في النهار، أي عندما تكون الشمس حاضرة، أي في النهار. (للتفصيل انظر الجزء الأول من هذه المقالة).

لكن تبقى صلاة واحدة على وجه التحديد يصعب أن يحدد وقتها بالليل المظلم أو بالنهار الواضح، وهذه الصلاة هي الصلاة التي تقام زلفا من الليل:

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: 114]

وقد حاولنا تسويق ظننا بأن هذه الصلاة تقام في الوقت الذي يسمى زلفا من الليل، أي الوقت الذي يكون الليل قد حل ولكن منذ فترة قصيرة جدا (وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ)، وفي هذا الوقت بالذات لا يمكن أن تكون الرؤية تامة كما في النهار، كما لا يمكن أن تكون الرؤية معدومة كما في الليل المظلم:

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس: 27]

ففي حين أن الليل يكون قطعا مظلما، إلا أن هناك وقتا محددا يكون "زلفا من الليل"، وفيه تقام الصلاة التي تقع بين الليل والنهار. إنها صلاة المغرب.

نتيجة مهمة جدا: عند إقامة هذه الصلاة (أي صلاة المغرب) في زلفا من الليل، فإن الصلاة تبدأ وهي أقرب إلى النهار منها إلى الليل، ولكنها تنتهي في وقت هو أقرب إلى الليل منه إلى النهار. ولو تدبرنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا أنها تقرر استحالة أن نحصي ذلك:

- ﴿۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ [المزمل: 20]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: هناك وقت يقع بين الليل والنهار، يصعب علينا أن نحصيه (وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ)، فلا نستطيع الجزم بأنه جزء من الليل أو أنه جزء من النهار، وذلك لأن الليل يسلخ منه النهار سلخا:

- ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ [يس: 37]

وفي المقابل فإن الليل هو من يغشى النهار:

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: 54]
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ [الرعد: 3]
- ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢﴾ [الليل: 1-2]

ولو دققنا في الآيات السابقة، لوجدنا أنه ما أن يغشى الليل النهار (يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ) حتى يطلبه حثيثا (يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا).

نتيجة مفتراة: هناك وقت يبدأ فيه الليل ليغشى النهار (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) بعد أن كان النهار جليا (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)، وهذا الوقت هو الوقت الذي نظن أنه هو ما يسمى زلفا من الليل (وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ). لكن الليل يبدأ يطلب النهار حثيثا (يَطْلُبُهُ حَثِيثًا)، فسرعان ما ينقضي هذا الوقت حتى يصبح الليل مظلما:

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس: 27]

نتيجة مهمة جدا: تبدأ صلاة المغرب في الوقت الذي يصعب أن نقرر أنه ليل أو أنه نهار، وتنتهي في الوقت الذي يكون لا محالة جزء من الليل، لذا طلب الله منا أن نتم الصيام إلى الليل (ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ):

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَـٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البقرة: 187]

لذا، نحن نتجرأ على القول بأنه من الأفضل أن لا يفطر الصائم بمجرد رفع المؤذن النداء لصلاة المغرب، بل يجب عليه الانتظار قليلا حتى يتحقق من دخول الليل، ولهذا ربما يكون من باب الحيطة أن يقوم المسلم بأداء صلاة المغرب قبل أن يعمد إلى أن يفطر من صومه في كل يوم من أيام الصيام.

السؤال: ما علاقة هذا كله بعدد الركعات لكل صلاة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لو دققنا في الفكرة المطروحة بأن هناك صلاة وسطى، تتمثل بصلاة المغرب التي يكون عدد ركعاتها على وجه التحديد ثلاث ركعات، فإن جميع الصلوات الأخرى يجب أن يكون عدد ركعاتها أقل من ثلاثة (أي ركعتين) أو أكثر من ثلاثة (أي أربعة).

السؤال: وكيف نستطيع توزيع ذلك على الصلوات الأخرى؟

افتراء خطير جدا من عند أنفسنا: نحن نظن أن عدد الركعات التي نقيمها في النهار يجب أن يكون مساو تماما لعدد الركعات التي نقيمها في الليل. فالشهر الشمسي (أي فترة الأربع وعشرين ساعة) تتوزع على مدار العام مناصفة بين الليل والنهار. فصحيح أن نهار الصيف أطول من نهار الشتاء، لكن ليل الصيف أقصر من ليل الشتاء، وهكذا. ففي يومين اثنين من السنة كلها يتساوى الليل مع النهار، فيحدث الاعتدال الربيعي تقريبا في 22 آذار ليقابله الاعتدال الخريفي في 22 أيلول، وهذا تعريفهما من موسوعة الوكيبيديا:

الاعتدال هو الزمن الذي يتساوى فيه الليل والنهار في شتى أنحاء العالم. ويصادف الاعتدال الربيعي والخريفي يومين في السنة، وذلك عندما تكون الشمس عمودية فوق خط الاستواء بشكل مباشر. وفي هذا الوقت، يكون طول الليل والنهار متساويين تقريبًا في كل بقعة من بقاع الأرض .ويحدث الاعتدال الربيعي في العشرين أو الحادي والعشرين من شهر مارس وفي الثاني والعشرين أو الثالث والعشرين من شهر سبتمبر. وفي نصف الكرة الشمالي يحدث الاعتدال الربيعي في شهر مارس، بحيث يعلن عن بداية شهر الربيع .وغالبًا ما يُطلق عليه الاعتدال الربيعي. أما اعتدال شهر سبتمبر، فيعلن عن بداية شهر الخريف ويسمى الاعتدال الخريفي. ويكون الحال في نصف الكرة الجنوبي على النقيض من ذلك.

نتيجة مفتراة: مادام أن الليل والنهار يتقاسمان أيام السنة كلها مناصفة، فإن إقامة الصلاة يجب أن تكون مناصفة بين الليل والنهار.

فتصبح الضوابط التي يجب مراعاتها في تحديد عدد ركعات الصلاة على النحو التالي:

الضابط الأول: أقل عدد ممكن من الركعات لأي صلاة تقام هي ركعتان

الضابط الثاني: أكثر عدد ممكن من الركعات لأي صلاة تقام هي أربعة

الضابط الثالث: هناك صلاة واحدة فقط هي صلاة وسطى، لذا تكون عدد ركعاتها ثلاث ركعات.

الضابط الرابع: يجب أن تكون عدد الركعات للصلوات التي تقام في الليل مساو تماما لعدد الركعات التي تقام في النهار.

السؤال: كيف يمكن أن نطبق ذلك عمليا؟

جواب مفترى: نحن نظن أن هذا ممكنا إذا ما أخذنا الافتراءات التالية بعين الاعتبار:

افتراء 1: صلاتا طرفي النهار (الظهر والعصر) هما صلاتا النهار المبصر

افتراء 2: صلاتا دلوك الشمس وغسق الليل (الفجر والعشاء) هما صلاتا الليل المظلم

افتراء 3: صلاة زلفا من الليل ليست جزء من النهار ولكنها ليست كلها من الليل

السؤال: إلى أي الفريقين تنتمي صلاة المغرب؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نكاد نجزم الظن بأن صلاة المغرب ليست جزءا من النهار لأنها زلفا من الليل، لكن في الوقت ذاته يستحيل أن تقع كلها في الليل لأن الليل مظلما:

- ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: 27]

لكن مادام أن الليل يطلب النهار حثيثا، فلابد أن الليل يأتي بسرعة:

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: 54]

لذا، نحن نتجرأ على الظن بأن صلاة المغرب تنقسم إلى قسمين، يكون جزء منها لا يقع في الليل ولا في النهار، فيكون هو الحد الفاصل بينهما، بينما يقع الجزء الآخر منها في الليل، مادام أن الليل يطلب النهار حثيثا.

ولو راقبنا هذه الصلاة على وجه التحديد، لوجدنا أن الآذان يرفع بمجرد مغيب الشمس في الأفق، فيحضر المصلون إلى المسجد، ويكون هناك وقت قصير بين رفع النداء للصلاة وإقامتها (أي دقائق معدودة)، وما أن تقام الصلاة، حتى يبدأ الليل يغشى النهار حثيثا، فما أن تنقضي هذه الصلاة حتى يكون الليل قد غشي النهار، فأصبح مظلما.

السؤال: ما الذي يمكن أن نستفيده من ذلك؟

جواب مفترى من عند أنفسنا خطير جدا جدا: نحن نظن أن الركعة الأولى من صلاة المغرب هي الحد الفاصل بين الليل والنهار، لذا يستحيل أن نعتبرها جزء من النهار كما يستحيل أن نعتبرها جزء من الليل، فهذه الركعة هي الحد الفاصل بين الليل والنهار، أي منطقة الشك الذي علم الله أننا لن نحصيه:

- ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ [المزمل: 20]

لذا، يتبقى الجزء الآخر من صلاة المغرب (أي الركعتين التاليتين) جزء من الليل. فتكون الافتراءات الجديدة على النحو التالي:

نتيجة مفتراة 1: الركعة الأولى من المغرب ليست من الليل وليست من النهار (أي هي الحد الفاصل بين الليل والنهار)

نتيجة مفتراة 2: ما تبقى من صلاة المغرب (أي الركعتين التاليتين) هما جزء من الليل

فتصبح الصلوات كلها مقسومة بين الليل والنهار (وما بينهما) على النحو التالي:

النهار	الحد الفاصل بين الليل والنهار	**الليل**
الظهر العصر	الركعة الأولى من المغرب	ركعتا المغرب العشاء الفجر

السؤال: كم عدد الركعات لكل واحدة من الصلوات الأخرى؟

رأينا المفترى: إن صح منطقنا المفترى من عند أنفسنا هذا، فإن عدد ركعات صلاة المغرب التي تقع في الليل هما ركعتان فقط، لذا يتطلب منا أن نحدد عدد الركعات لصلوات الليل الأخرى (وهي العشاء والفجر). ليكون السؤال الآن هو: كم يجب أن تكون عدد ركعات العشاء والفجر؟

رأينا المفترى: دعنا نفترض أن عدد ركعات كل واحدة منهما هو الحد الأدنى لعدد ركعات أي صلاة منهما (أي ركعتين اثنتين). فيصبح الجدول الآن على النحو التالي:

النهار	الحد الفاصل بين الليل والنهار	الليل
الظهر العصر	الركعة الأولى من المغرب	ركعتا المغرب (2) العشاء (2) الفجر (2)
		6

وبهذا يصبح مجموع ركعات الصلوات التي تقام في الليل ست ركعات، أليس كذلك؟

منطقنا المفترى: إذا كان عدد ركعات صلوات الليل هو ست ركعات، فإن عدد ركعات الصلوات التي تقام في النهار يجب أن تكون ستة كذلك.

السؤال: كيف يمكن تقسيم ذلك؟

جواب: هناك احتمالان لهذا التقسيم، وهما:

1. أن تكون كل صلاة ثلاث ركعات كما في الجدول التالي:

النهار	الحد الفاصل بين الليل والنهار	الليل
الظهر (3) العصر(3)	الركعة الأولى من المغرب	ركعتا المغرب (2) العشاء (2) الفجر (2)
6		6

السؤال: هل هذا ممكنا؟

جواب مفترى: كلا وألف كلا، لأنه لو كان عدد ركعات كل واحدة من هذه الصلوات ثلاث ركعات، لأصبحت كل واحدة منهما صلاة وسطى. ولقد حاولنا تبيان أن هناك صلاة واحدة فقط من بين الصلوات كلها هي صلاة وسطى، بينما يكون عدد ركعات الصلوات الأخرى جميعها إما أقل من ثلاثة (اثنين) أو أكثر من ثلاثة (أي أربعة)، وهذا ينقلنا إلى الاحتمال الثاني.

2. أن تكون واحدة من هذه الصلوات هي ركعتين بينما تكون الأخرى أربع ركعات كما في الشكل التوضيحي التالي:

النهار	الحد الفاصل بين الليل والنهار	الليل
الظهر (4) العصر (2)	الركعة الأولى من المغرب	ركعتا المغرب (2) العشاء (2) الفجر (2)
6		6

السؤال: هل هذا ممكنا؟

جواب مفترى: كلا وألف كلا، لأن هذا سيدخلنا في دوامة أخرى وهي لم تكون صلاة الظهر (مثلا) أربع ركعات بينما تكون صلاة العصر ركعتان. ولو عكسنا الصورة كما في الجدول التالي:

النهار	الحد الفاصل بين الليل والنهار	الليل
الظهر (2) العصر (4)	الركعة الأولى من المغرب	ركعتا المغرب (2) العشاء (2) الفجر (2)
6		6

لطرح السؤال مرة أخرى على النحو التالي: لم تكون صلاة الظهر ركعتا بينما تكون صلاة العصر أربع ركعات؟

السؤال: كيف يمكن أن نخرج من هذا المأزق الذي وضعنا أنفسنا فيه؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نظن أن هناك ضابط جديد يجب مراعاته في تحديد عدد الركعات، ألا وهو أن عدد ركعات طرف النهار الأول (الظهر) يجب أن تكون مساوية تماما لعدد ركعات الطرف الثاني من النهار (العصر)، وذلك لأن كل منهما طرف من النهار، وهما متساويين في الأهمية والوقت، فطرفك اليمين يجب أن يكون مساو لطرفك الشمل وإلا فإن الخلل لا محالة سيحصل في الجسم كله. فتصبح الضوابط على النحو التالي:

الضابط الأول: أقل عدد ممكن من الركعات لأي صلاة تقام هي ركعتان

الضابط الثاني: أكثر عدد ممكن من الركعات لأي صلاة تقام هي أربعة

الضابط الثالث: هناك صلاة واحدة فقط هي صلاة وسطى، لذا تكون عدد ركعاتها ثلاث ركعات.

الضابط الرابع: يجب أن تكون عدد الركعات للصلوات التي تقام في الليل مساو تماما لعدد الركعات التي تقام في النهار.

الضابط الخامس: يجب أن يكون عدد ركعات طرف النهار الأول مساو تماما لعدد ركعات طرف النهار الثاني

السؤال: كيف يمكن أن نحافظ على التوازن بين طرفي النهار، وفي الوقت ذاته نحافظ على أن هناك صلاة وسطى (ثلاث ركعات) واحدة فقط؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: نحن لا نستطيع أن نجعل صلاة طرف النهار الأول ركعتين وصلاة طرف النهار الثاني ركعتين كما في الشكل التوضيحي التالي:

النهار	الحد الفاصل بين الليل والنهار	الليل
الظهر (2) العصر (2)	الركعة الأولى من المغرب	ركعتا المغرب (2) العشاء (2) الفجر (2)
4		6

وذلك على الأقل لسببين اثنين، وهما:

1. يصبح مجموع الركعات التي نقيمها في النهار أربع ركعات فقط، وهذا يعد مخالفة لمبدأ أن تكون عدد الركعات في النهار مساوية لعدد الركعات في الليل، فإن نحن أقمنا فقط أربع ركعات في النهار فيجب أن نقيم كذلك أربع ركعات في الليل، فيبرز السؤال الآن على النحو التالي: كيف يمكن أن نقيم في الليل أربع ركعات مقسمات على ثلاث صلوات (المغرب والعشاء والفجر)؟

2. لو كان عدد ركعات صلوات النهار كلها (العصر والمغرب) أربع ركعات مقسمة على صلاتين، لأصبح نصيب كل صلاة ركعتين اثنتين، وبهذا يصبح من الاستحالة بمكان أن نحافظ على الصلاة الوسطى (ذات الركعات الثلاثة)، وبكلمات أخرى نقول أن هذا الاحتمال ينقض تماما مبدأ أن تكون هناك صلاة وسطى مادام أن أكثر صلاة سيكون عدد ركعاتها على أقصى تقدير ركعتين فقط.

السؤال: ما المخرج من هذه الدوامة إذن؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نظن أن الحل الأمثل هو أن تتساوى عدد الركعات في طرف النهار الأول مع عدد الركعات في طرف النهار الثاني (العصر)، بحيث يصبح عدد ركعات كل صلاة منهما هو الحد الأعلى للركعات، وهي أربعة، فيصبح الجدول على النحو التالي:

النهار	الحد الفاصل بين الليل والنهار	الليل
الظهر (4) العصر (4)	الركعة الأولى من المغرب	ركعتا المغرب (2) العشاء (2) الفجر (2)
8		6

لكن هذا الاحتمال الجديد يتطلب منا أن نعيد النظر في عدد الركعات التي يجب أن تقام في الليل لتصبح هي الأخرى ثمان ركعات بدلا من ستة. فكيف يمكن تنفيذ ذلك؟

رأينا المفترى: لما كنا نعتقد جازمين بأن حظ الليل من صلاة المغرب (وهي الصلاة الوسطى) ركعتين، فإنه يتبقى عندنا ست ركعات يجب أن يتم تقسيمها بين صلاتي العشاء والفجر، كما في الجدول التالي:

النهار	الحد الفاصل بين الليل والنهار	الليل
الظهر (4) العصر (4)	الركعة الأولى من المغرب	ركعتا المغرب (2) العشاء (4) الفجر (2)
8	1	8

فيصبح حظ صلاة العشاء أربع ركعات، بينما يتبقى ركعتان فقط لصلاة الفجر، وفي هذه الحالة تنقسم الصلاة بالتساوي بين الليل (8 ركعات) والنهار (8) ركعات، ويكون هناك ركعة واحدة، وهي الركعة الأولى من صلاة المغرب قائمة كحد فاصل بين النقيضين (الليل والنهار)، وهذه الركعة التي زيدت على صلاة المغرب هي التي جعلتها صلاة وسطى وحيدة بين جميع الصلوات الأخرى.

تلخيص ما سبق: نحن نظن أن عدد ركعات كل صلاة يمكن تحديدها إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الضوابط التالية:

الضابط الأول: أقل عدد ممكن من الركعات لأي صلاة تقام هي ركعتان

الضابط الثاني: أكثر عدد ممكن من الركعات لأي صلاة تقام هي أربعة

الضابط الثالث: هناك صلاة واحدة فقط هي صلاة وسطى، لذا تكون عدد ركعاتها ثلاث ركعات.

الضابط الرابع: يجب أن تكون عدد الركعات للصلوات التي تقام في الليل مساو تماما لعدد الركعات التي تقام في النهار.

الضابط الخامس: يجب أن يكون عدد ركعات طرف النهار الأول مساو تماما لعدد ركعات طرف النهار الثاني

ونحن نتجرأ أن ندعو كل متخصص في علم الحلول المثلى (optimal solutions) أن يجد الحل الأمثل لعدد الركعات عند الأخذ بعين الاعتبار هذه الضوابط. ونحن نتجرأ أيضا على الظن بأنه من الاستحالة بمكان أن يجد الحل الأمثل غير هذا الحل الذي قدمناه من عند أنفسنا.

إن هذا الطرح يتطلب منا الإجابة على عدة تساؤلات، نذكر منها:

السؤال الأول: لماذا كان هناك صلاتان فقط في النهار؟

السؤال الثاني: لماذا جاء التقسيم مناصفة بين صلاتين اثنتين في النهار (الظهر والعصر)؟

السؤال الثالث: لماذا كان حظ كل واحدة منهما في عدد الركعات مساو لعدد الركعات في الأخرى؟

السؤال الرابع: لماذا كان هناك ثلاث صلوات في الليل مقابل صلاتين اثنتين في النهار؟

السؤال الخامس: لماذا كان هناك تفاوت في عدد الركعات في صلوات الليل (المغرب والعشاء والفجر)؟

السؤال السادس: لماذا كان عدد ركعات صلاة العشاء أربعة بينما عدد ركعات صلاة الفجر اثنتين بالرغم أن كلاهما يقع في الليل؟

الخ.

السؤال: الأول: لماذا فرض الله علينا صلاتين فقط في النهار، وهما صلاتا طرفي النهار:

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ...﴿١١٤﴾﴾ [هود: 114]

رأينا المفترى: لو تدبرنا الآيات الخاصة بالنهار، لوجدنا أن الله هو من جعل لنا النهار معاشا، وفيه طلب الله منا أن نبتغي فيه من فضله (أي طلب الرزق):

- ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ: 10-11]
- ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: 73]
- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: 103]
- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: 10]

لذا، جاء التخفيف علينا من ربنا:

- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: 28]

فأعطانا فسحة من الوقت في ابتغاء فضله، أي طلب الرزق، فكان هناك فقط صلاتان اثنتان تقامان في النهار هما صلاتا طرف النهار الأول (الظهر) وطرف النهار الثاني (العصر).

ولو دققنا في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: 9-10]

لوجدنا أن هذه الصلاة التي تقام فيها صلاة الجمعة هي صلاة الظهر (أي طرف النهار الأول)، بدليل أن تلبية النداء لذكر الله من يوم الجمعة يسبقه وجود البيع، فيكون السوق منصوبا، ويكون الناس في بيع، فعلينا إذن أن نذر البيع من أجل تلبية النداء إلى ذكر الله من يوم الجمعة (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ)، وإذا ما قضيت هذه الصلاة عاد الناس إلى نشاطهم الاقتصادي، وذلك بالانتشار في الأرض والابتغاء من جديد من فضل الله (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ). ويستحيل أن يتحقق ذلك في غير وقت صلاة الظهر. فهي الصلاة الوحيدة التي يمكن أن يسبقها نشاط تجاري ويتبعها نشاط اقتصادي.

فلو أن موعد تلك الصلاة (أي صلاة الجمعة) هو طرف النهار الثاني (أي العصر) لصح أن يسبقها نشاط اقتصادي (البيع)، لكن يستحيل أن يتبعها نشاط اقتصادي من جديد (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ)، لأن الوقت الذي يأتي بعد ذلك سيكون ضيقا لا يتيح أن ينصب السوق من جديد، ويكون الناس قد قضوا معظم يومهم في تجارة وحان الوقت الآن للراحة (أي الذهاب إلى بيوتهم).

أما في الأيام الأخرى (غير يوم الجمعة)، فإن طرف النهار الأول يتساو مع طرف النهار الثاني، لذا يجب أن تكون عدد ركعات صلاة الظهر مساوية لعدد ركعات صلاة العصر.

وإذا ما أراد الشخص الاستزادة من العبادة في النهار، فإن ذلك لن يقع في باب إقامة الصلاة وإنما في باب التسبيح، مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾ [المزمل: 7-8]

والتسبيح يكون بحمد الرب في أي وقت من أطراف النهار:

- ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ۝١٣٠﴾ [طه: 130]

وهذا التسبيح بحمد الرب هو ما ظننا أنه يقع في باب ما يسمى في الفكر الشعبي الدارج بصلاة السنة، وما هي – برأينا- أكثر من صلاة يطلب فيها العبد من ربه أن يعينه على أمور دنياه. أما إقامة الصلاة (أي ما يسمى بالفرض)، فهو حق الإله الذي فرضه على عبده. فالله يطلب منا أن نقدم حقه علينا في النهار مرتين عند إقامة الصلاة في طرف النهر الأول وفي الطرف النهار الثاني، لكنه يتيح لنا المجال أن نطلب منه ما نشاء (حتى نرضى) في أي طرف من أطراف النهار. فكلما وجد الإنسان فسحة من الوقت، وكلما وجد أنه

بحاجة إلى إعانة من ربه، فالباب مفتوح أن يلجأ إلى ربه فيسبح بحمده طالبا العون منه، لا يخجل بذلك مادام أنه قد قدّم حق ربه عليه عندما أقام الصلاة عبادة لربه في طرفي النهار.

السؤال الثالث: لماذا كان هناك ثلاث صلوات في الليل (المغرب والعشاء والفجر)؟

رأينا المفترى: لو تفقدنا الآيات الكريمة الخاصة بالليل، لوجدنا أن لليل ميزة خاصة في العبادة:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: 1-6]

فبعد أن يكون الشخص قد أنفق جل يومه في ابتغاء فضل من ربه في النهار، فإنه يفرغ من ذلك كله مع قدوم الليل، فيصبح الليل كله لباسا بعد أن كان النهار معاشا:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ۝٤٧﴾ [الفرقان: 47]

فيصبح الليل كله فسحة له أن يمد حبل الاتصال المباشر مع ربه، ومادام أن الله قد جعل الليل لباسا، فإنه يصبح هو الوقت الأفضل لحصول التقوى:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۝٢٦﴾ [الأعراف: 26]
- ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه: 132]

فالليل (نحن نفتري الظن) هو الوقت الأمثل للمتقين، الذين يناجون ربهم تضرعا وخفية:

- ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: 55]

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا أن الليل هو الوقت الأمثل لأن يمد الإنسان حبل اتصاله مع ربه خفية، فيناجيه ويناديه بمعزل عن أعين الناس، فكما أن هناك فسحة للتسبيح بحمد الرب في أطراف النهار، فهناك أيضا فسحة أخرى في آناء الليل:

- ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ۝١٣٠﴾ [طه: 130]

وهناك أيضا قيام في الليل نصفه أو أنقص منه قليلا أو زد عليه قليلا، وهناك فسحة أخرى في ترتيل القرآن في هذا الوقت:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: 1-6]

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن حبل الاتصال يجب أن يمد أكثر مع الله في الليل منه في النهار، وذلك لسببين اثنين على الأقل:

في الليل يكون الإنسان غير منشغلا بطلب الفضل من الله (أي الرزق)، فمشاغل الحياة أقل منها في الليل عنها في النهار

الليل هو الوقت الأمثل للتقوى، أي للانعزال عن أعين الناس، وبالتالي الاتصال الفردي المباشر مع رب الليل والنهار.

السؤال: إذا كان هناك صلاتان في النهار (الظهر والعصر)، فانقسمت الركعات بالتساوي بين الطرفين (أربعة لكل واحدة منهما)، فلم كان عدد الركعات غير متساو في صلوات الليل (المغرب والعشاء والفجر)؟

جواب مفترى: لعلي أجزم الظن أننا قد أجبنا عن هذا التساؤل سابقا عندما حاولنا تحديد الوقت لكل صلاة.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لما كان هناك فسحة من الوقت في طرف النهار الأول مساوية تقريبا للفسحة المتاحة في طرف النهار الثاني، كان لزاما أن يكون عدد ركعات كل صلاة منهما مساو لعدد ركعات الصلاة الأخرى. فوقت إقامة صلاة الظهر هو وقت الغدو (انقباض الظل) بينما وقت إقامة صلاة العصر هو الآصال (مد الظل). وهذا الوقتان يتساويان تماما، فالفترة اللازمة لانقباض الظل تساو الفترة اللازمة لامتداده، فحركة الشمس ثابتة فهي تنقبض بمقدار ما تمد، وهكذا.

لكن لو حاولنا بالمقابل تفقد وقت إقامة الصلوات في الليل (المغرب والعشاء والفجر)، لوجدنا أن الوقت الأطول بينهما هو وقت العشاء، فصلاة العشاء تمتد حتى غسق الليل (أي ما يقرب من منتصف الليل)، لذا هناك فسحة من الوقت كافية لإقامة هذه الصلاة براحة تامة، فكان عدد ركعاتها هو الأكثر. لكن وقت الفجر لا يطول بمقدار ما يطول وقت العشاء، لكنه يقرب لما هو متاح في المغرب. فتكون صلاة الفجر والمغرب قصيرتان من حيث الفترة الزمنية المتاحة لكل واحدة منهما، فكانت كل منهما ركعتان. مع الأخذ بعين الاعتبار أن الركعة الأولى من صلاة المغرب هي حد فاصل بين الليل والنهار.

باب الإمامة في الصلاة: للذرية

السؤال: من الذي يجب أن يؤم الناس في الصلاة الجماعية؟

رأينا المفترى: لو تفقدنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن الله هو من جعل إبراهيم إماما للناس:

- ﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة: 124-125]

ولكن لو دققنا في ردة فعل إبراهيم، لوجدنا أنه يطلب الإمامة لمن هم من ذريته (قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ)، ولو تفقدنا لفظ الذرية في جميع السياقات القرآنية، لوجدنا أن الذرية محصورة في جنس الذكور، ولا يمكن أن تطلق على الإناث، قال تعالى:

- ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾ [البقرة: 266]
- ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران: 34]
- ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران: 38]
- ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾ [النساء: 9]
- ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ [الأنعام: 133]
- ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣﴾ [الأعراف: 173]
- ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣﴾ [يونس: 83]
- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨﴾ [الرعد: 38]
- ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ [الإسراء: 3]

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ [مريم: 58]

وسنفرد لهذه الجزئية مقالات مفصلة لاحقا متى ما أذن الله لنا بشيء من علمه فيها.

فالله وحده ندعو أن يعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يزدنا علما، وأن يهدينا لأقرب من هذا رشدا، ونعوذ به أن نكون ممن يفترون عليه الكذب أو ممن يقولون عليه ما ليس لهم بحق.

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح
2 أيار 2017